

د. رأفت الشيخ

المسلمون في العالم
تاريخيا و جغرافيا

الطبعة الثانية

المسلمون فى العالم

تاريخيا وجغرافيا

تأليف
دكتور رافت الشيخ

الطبعة الثانية
١٩٩٨



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN-FOR HUMAN AND SOCIAI STUDIES

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٦ شارع يوسف فهمى - اسباتس - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون ٣٨٧١٦٩٣

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

5, Maryoutia St., Elharam A.R.E. Tel : 3871693

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه صفحات من تاريخ العالم الإسلامى المعاصر يبدأ منذ تكونت الدولة الإسلامية علي عهد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ثم اتسعت وازدهرت فى عـهـد الخلفـاء الراشـدين ثم فى عـهـدالخلفـاء الأمـويين ،ثم فى عـهـد الخلفـاء العـبـاسـيين .

نستعرض عوامل وحدة وقوة الدولة الإسلامية الكبرى فى شكلها الواسع المزدهر ، ثم نسوق عوامل تفكك الدولة الإسلامية فى العهد العباسى الثانى بحيث صارت هناك دويلات إسلامية فى المشرق الإسلامى ودويلات إسلامية فى المغرب الإسلامى وإمارات إسلامية فى الأندلس.

ولأن العالم الإسلامى يتميز بديناميكية واضحة وأصيلة معتمدة على التراث الإسلامى والرجـال المسلمين الذين آمنوا بالرسـالة وحـملوها ، فـقـد تصـدى المسلمـون لأعـداء الوحدة الإسلامية وللمشكلات التي واجهت العالم الاسلامى ، سواء كانت من الشيوعية أو الرأسمالية الغربية أو الصهيونية .

وكـان ظهور منظمـة المؤتمر الاسلامى تجسـيدا من جديد للوحدة الاسلامية ومواجهة قوي العـدوان ومـشكلات المسلمين فى أرجـاء العـالم الاسـلامى سـواء فى آسـيـا وأفـريقـيـا وأوروبا وأمريكا .

وكـان لابد من الإشـارة إلى صـراع الشـيـشـان ضـد التـسلط الروسى وصـراع المسلمين فى البوسنة والهرسك مع الصرب ..

ويجب أن أشير بكل العرفان والتقدير إلى جهد المرحوم الاستاذ الدكتور عبد الشافى غنيم استـاذ التـاريخ الراحل فى الإسـهـام بالكتـابة فى بعض مـوضـوعـات كتابنا قضـايا إسـلامـيـة معاصرة والتى أخذنا منها صفحات فى الفصلين الأول والثانى . والله ولى التوفيق .

دكتور رأفت الشيخ

عميد معهد الدراسات الآسيوية

جامعة الزقازيق

الفصل الأول

عوامل قوة ووحدة الدولة الإسلامية

- عدم التناقض بين العقيدة والفكر .
- الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة .
- النظرة الشمولية للحياة فى الإسلام .
- الأفادة من الحضارات السابقة وامتصاصها .
- الأخذ بمبادىء العدل والحرية والمساواة .
- الدور الذاتى فى الدعوة إلى الاسلام .
- غلبة الإيمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية .
- وحدة مصادر التشريع وإرساء قواعد ونظم الحكم الإسلامى بعد الهجرة .

عوامل قوة ووحدة الدولة الإسلامية

أولا : عدم التناقض بين العقيدة والفكر :

أهم ما يميز الإسلام أنه لا يقيم أى حواجز بين العقيدة والفكر ، الإسلامى والقرآن الكريم مليء بالآيات التى تتناول المعرفة فى مختلف فروعها وتوجه الإنسان المسلم إلى التعمق فى أغوارها والبحث فى أدق تفصيلها .

يذكر القرطبى[1] نقلا عن ابن الطيب أن أول ما نزل من القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذى خلق » إلى قوله تعالى « الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

ويقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النحل[2]« وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل» .

وفى قوله تعالى « فمن يعلم كمن لا يعلم» ، و « وما يستوى الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات »[3].

إذا قارنا هذا بما حدث بعد ذلك بأكثر من خمسة قرون حين وقفت الكنيسة الغربية فى روما موقف العداء من مناهج المدارس الفلسفية وإحراق مؤلفاتها وإصدار قرارات الحرمان ضد مؤلفيها ومنع جماعات العصور الوسطى من تدريسها ، أدركنا إلى أى حد لم يكن هناك تناقض فى المناهج العلمية بين العقيدة الإسلامية وبين الأخذ بكثير من العلوم العقلية حتى منها التى عربها علماء المسلمين عن اليونان والرومان وغيرهم .

لم يكد يأتى القرن الرابع الهجرى « العاشر الميلادى » حتى كانت الحضارة الإسلامية قد وصلت أوج عظمتها وكان من بين رواد العلوم العقلية علماء من مختلف الشعوب التى أعتنقت الدين الإسلامى فى المشرق والمغرب الإسلاميين .

لقد أتاحت هذه السمة الواضحة للعقيدة الإسلامية أن يعتنق العديد من ملايين البشر الديانة الإسلامية ، بل أن نطاق معتنقى هذه العقيدة تخطى الحدود السياسية للدولة الإسلامية

١- الجامع لاحكام القرآن جـ ١ ص ٥٩ .

٢- آية رقم ٧٦ .

٣- سورة فاطر آية ١٩-٢٢ .

داخل الصحراء الأفريقية وعلى سواحلها الغربية والجنوبية وفى أعماق القارة الهندية والسواحل الجنوبية والشرقية لآسيا وهى كلها من المناطق التى لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد ولم تضمها أرجاء الدولة الإسلامية الشاسعة [١].

ثانيا : الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة :

كان اعتراف الإسلام بالرسالات والكتب السماوية السابقة عليه وإعتبارها من التنزيلات الالهية ، واحترام وتقدير رسلها وأنبيائها من بين العوامل التى حببت الكثيرين من أصحاب هذه الديانات فى الإسلام ، وتوجيههم إلى اعتناقه والأخذ بمبادئه ، فلم يحاول الإسلام أن ينسخ ما سبقه من أديان أو يقلل من شأنها أو شأن معتنقيها وإنما على العكس من ذلك صور القرآن الكريم هذه الرسالات السماوية فى أحسن صورة ولذلك رأينا الأعداد الغفيرة من الشعوب التى دخلها الاسلام تعتنقه عن رغبه وطواعية خاصة وإن المسلمين لم يحاولوا فرض العقيدة بالسيف أو بالاكراه كما فعل من سبقهم وكما فعل من جاء بعدهم ، وإنما كانوا يتركون أمر اعتناق الاسلام للرغبة الصادقة عن اقتناع وتفكير ، وكان الخراج والجزية على غير المسلمين ضريبة الدم والذود عن أمن الدولة وحدودها وثغورها .

ولقد ساعد على تفهم هذه الشعوب لمبادىء العقيدة انتشار اللغة العربية بأنتشار الفتوحات الاسلامية وتعلم هذه الشعوب لها وقراءة القرآن الكريم والاحاديث النبوية وكتب الفكر والشريعة .

وعلى الرغم من اختلاف الفقهاء وظهور المذاهب الاسلامية بظهور الاجتهاد إلا أن ذلك لم يصل فى يوم من الايام إلى حد الخلاف على المبادىء الأساسية للعقيدة وهو أمر أفتقدته كثير من العقائد الأخرى مما ترتب عليه اختلافات جذرية كان لها أسوأ العواقب .

ومن هنا كان إقبال الأفراد والشعوب على اعتناق الاسلام واتساع رقعته وآفاقه ظاهرة تاريخية دعت الكثيرين من المستشرقين إلى محاولات الاجتهاد فى تفسيرها .

ثالثا : النظرة الشمولية للحياة فى الاسلام :

إن نظرة الاسلام إلى الحياة الانسانية - مستمدة من الكتاب والسنة - تستبعد تماما نظرية الرهبانية فى الاسلام وتجعل من العقيدة الاسلامية مظلة لكل ما يهم الحياة الانسانية من أمور

١- للتوسع فى هذا الموضوع يمكن الرجوع الى كتاب (الدعوه الى الاسلام) للسير توماس أرنولد ترجمةحسن ابراهيم وعابدين .

الدين والدنيا ، ومن هنا تناول القرآن الكريم كل ما يمس جوانب الحياة والعلاقات بين الأفراد في الأسرة والمجتمع والأهتمام بالجوانب الخلقية والسلوكية والثقافية لتكوين الشخصية الحضارية المسلمة مع التركيز على تقنين وتنظير كل هذه المعاملات في إطار من الرقابة التنظيمية المرتبطة بالمنهج العلمي الصحيح . وإذا كان العرب قد أدركوا لأول وهلة دور الدين الجديد في معالجة كل جوانب حياتهم الخاصة والعامة فان الشعوب التي أنضوت تحت لواء الاسلام لم تلبث أن أدركت نفس الادراك ووجدت في العقيدة الاسلامية إجابة عن كل أمورهم الدنيوية والأخروية وتطويعا لكل مشاكل الحياة بما فيها الأحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والمنطلقات الفكرية .

ومن هنا لم تجد هذه الشعوب في الاسلام سوى سلطة واحدة تشرف على الشئون الدينية والزمنية معا ، ولم يكن للدين الاسلامي رجال يحتكرون علوم العقيدة والشريعة والفقه ، انما كان هناك علماء يتفقهون في علوم الدين دون ما تدخل بين الخالق والمخلوق .

رابعا : الافادة من الحضارات السابقة وامتصاصها :

تفريعا على ما سبق أن ذكرناه من عدم التناقض بين الفكرة والعقيدة رأينا الاسلام لا يرفض ما سبقه من نظم سياسية وقيم حضارية ونظريات علمية بل على العكس من ذلك استفادت الدولة الاسلامية من كل النظم والحضارات السابقة واضطر علماء المسلمين في سبيل ذلك إلى إجادة اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية ونقل التراث ومؤلفات هذه الحضارات والثقافات إلى اللغة العربية ، ولم يكتف المسلمون بمجرد ترجمة ونقل هذا التراث إنما أضاف وحذف وابتكر كثيرا من الحقائق والمعلومات ويذكر المستشرق هاكنز Hakins في كتابه عن دراسات في تاريخ العلوم في العصور الوسطى[١]. إن عددا كبيرا من المؤلفات اليونانية واللاتينية فقدت أصولها ولم تعرفها جامعات أوروبا في العصور الوسطى إلا من خلال التراجم العربية التي تم معظمها في العصر العباسي الأول .

وليس من شك في أن تقدير الحضارة الاسلامية لما سبقها من حضارات والدور الكبير الذي قامت به في التأثير على الحضارات الأوروبية الوسيطة والحديثة أكسب العقيدة الاسلامية تقديرا وحبا وانتشارا .

١- Studies in History of Med. Science, p. 30

خامسا : الأخذ بمبادىء العدل والحرية والمساواة :

اهتم الاسلام بابراز الشخصية الأنسانية وتميزها على كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى من كائنات أخرى ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة الاسراء « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » [١].

ويرى كثير من علماء الفقه الاسلامى أن الوحدانية وهى أول أركان الاسلام الخمسة قصدت إلى جانب إعلاء ذات الله سبحانه وتعالى وإفراده بالصمدية ووحدة الالوهية الإعلاء أيضا من شأن قدر الانسان وتنزيهه عن السجود لغير ذاته العلية لأن فى ذلك إهدار لكرامته وكيف يستطيع مفقود العزة والكرامة أن يسعى لتأصيل أى معنى من المعانى الحضارية فى نفسه .

وإذا كان إصرار الرسول (ﷺ) فى فجر الدعوة من الدور المكى على تحرير المسلم من عبودية الجاهلية بمختلف صورها أول الدروس الانسانية فى إدراك مفهوم العدالة والحرية والمساواة ، ذلك الشعار الذى بدأ المفكرون المعاصرون فى نشره منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر بينما كان خليفة المسلمين الأول قد أقره فى أول مادة من مواد الحكم الاسلامى فى خطابه الهام عشية اختياره لخلافة الرسول (ﷺ) .

وكانت كل محاولة لنقد هذا المبدأ بين الشعوب التى أعتنقت الاسلام تثير نقاشا وحوارا يرجع فيه الجميع إلى المصادر الأصولية فى الاسلام من قرآن وحديث وسنة ويرجع كثير من المستشرقين المنصفين دوافع انتشار الاسلام بهذه السرعة المذهلة إلى هذا المبدأ الأساسى من مبادىء الدولة فى الاسلام .

سادسا : الدور الذاتى فى الدعوة إلى الاسلام :

لم تعتمد العقيدة الاسلامية فى انتشارها فى أرجاء القارات على مؤسسات تنظيمية وارساليات تبشيرية وميزانيات معتمدة تستهدف إغراء الناس باعتناق الاسلام ، ولكنها أعتمدت على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة فى قلوب اصحابها نخص من هؤلاء علماء الاسلام وفقهاؤه والرحالة والتجار والجغرافيون والمعلمون ، كما اعتمدت أيضا على اهتمام التجمعات الاسلامية بانشاء الجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من الأبنية الدينية والتعليمية التى كانت تقوم أساسا على الجهود الذاتية والتبرعات المادية والعينية .

١- الآية رقم ٧٠ سورة الاسراء .

ولعل مما يثير التساؤل عند كثير من المفكرين ظاهرة عمق العقيدة الإسلامية فى بلاد لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد فى شرق وغرب وجنوب أفريقيا وجنوب شرقى آسيا حتى أن هؤلاء المسلمين خاضوا وما زالوا يخوضون لعدة قرون حروبا ضد المستعمرين والأغلبيات المسيحية على الرغم من عدو التكافؤ فى المال والسلاح .

ويصف المستشرق بيكر[١] Beker . هذه الظاهرة فى أفريقيا أنها ترجع إلى أن عملية التبشير المسيحية المنظمة الممولة من المؤسسات الكنيسية كانت ترتبط فى أذهان الأفارقة بالعملية الاستعمارية مما كان يؤدى إلى نفور الكثيرين منها ، بالإضافة إلى عملية(التعميد) التى لم يكن يتقبلها الأفارقة بسهولة إذا قورنت بسهولة وسماحة ويسر اعتناقهم للإسلام حيث تحتاج إلى أكثر من النطق بالشهادتين وأداء الأركان الاسلامية الاساسية .

فالدويلات الاسلامية فى المغرب العربى لعبت دورها الكبير فى نشر الاسلام فى أفريقيا وتعمقه فى الصحراء الغربية الموحشة بل أن دولة الأغالبة فى تونس لعبت دورا واضحا فى نشر الاسلام فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وكذلك فعلت الدولة الأموية فى الأندلس .

أما فى المشرق فيكفى الحديث عن الدور الكبير الذى قامت به الدولة الغزنوية فى الهند وكيف تسرب الاسلام من شبه القارة الهندية إلى جزر جنوب وجنوب شرق آسيا .

سابعا : غلبة الايمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية :

ليس من شك فى أن الحركات الانفصالية عن جسم الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الثانى كان لها أثرها على قوة الدولة السياسية خاصة بعد أن سيطرت العناصر الداخلية على عاصمة الخلافة تركية أو بويهية أو سلجوقية ولكن هذا التأثير لم يمتد إلى الجوانب العقيدية والفكرية ، حتى أن القيادات الادارية والتنظيمية للدويلات الاسلامية الشرقية والغربية كانت شديدة الولاء والانتماء للعقيدة الاسلامية حيث أنها كانت تعتبر هذا الايمان جسر بقائها واستمرارها فى قواعدها وكانت وسيلتها إلى تمكين هذا التعبير تكمن فى الجوانب التالية :-

١- كثرة اهتمامها ببناء المؤسسات الدينية وفى مقدمتها الجوامع والمساجد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وتدريس الفقه والحديث والشريعة واللغة العربية ونجد ذلك واضحا فى الدويلات الاسلامية المستقلة كالطولونية والاخشيدية والايوبية والمملوكية ، فقد كثر تشييد السبل

١- Islam in Deutch - Ostafrica,P . 10

ومدارس تحفيظ القرآن إضافة إلى الجوامع والمساجد ، وما حدث فى القسم الغربى من الدولة الاسلامية حدث فى قسمها الشرقى .

٢- الاهتمام باجتذاب الفقهاء والمحدثين وغيرهم من علماء الدين ، الذين ساعد اجتهادهم ومؤلفاتهم ومناظرتهم على تعميق وتأصيل العقيدة الدينية عند الناس لدرجة أن سمعة هؤلاء العلماء كانت تجذب إليهم التلاميذ والمريدين من مختلف أنحاء العالم الاسلامى وانتشرت المذاهب الفقهية خارج نطاق حدودها كما حدث بالنسبة للفقه المالكى الذى انتشر فى شمالى أفريقيا والمغرب والأندلس وفقه الأحناف الذى أنتشر فى شرق العالم الاسلامى .

٣- الاهتمام بنشر الديانة الاسلامية سواء كان ذلك بعمليات التوسع التى سبق أن تحدثنا عنها فى الهند وشرقى آسيا أو عن طريق الفقهاء والعلماء الذين نشروا العقيدة فى المجاهل الأفريقية والجزر المتناثرة فى جنوب شرقى آسيا .

وهكذا لم تكن للحركات الأنفصالية تأثيرات عكسية على نشر العقيدة الاسلامية وشيوعها بل كانت على العكس من ذلك عاملا من عوامل انتشارها وذيوعها .

ثامنا : وحدة مصادر التشريع وإرساء قواعد ونظم الحكم الاسلامى بعد الهجرة :

لدراسة هذا العامل لابد من الاشارة إلى النقاط التالية :

١- وحدة مصادر التشريع فى الاسلام .

٢- الوحدانية والتكوين الحضارى للشخصية المسلمة .

٣- وضع الأصول التكوينية للمجتمع الاسلامي .

٤- إرساء قواعد ونظم الحكم الاسلامى بعد الهجرة .

وفيما يلى تفصيل لهذه النقاط :

أ- وحدة مصادر التشريع فى الاسلام :

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسول الله (ﷺ) موزعا على ثلاث وعشرين سنة منذ البعثة حتى الوفاة ، فى مائة وأربع عشر سورة تضم مائتين وأربعين ربعا فى ثلاثين جزاء ، وتحوى بضعا وستة الاف آية كريمة [1]نزل بمكة منها سبع وثمانون سوره ونزل بالمدينة سبع وعشرين سورة بعدد غزواته (ﷺ)[2]قام رسول الله باملائها على كتاب الوحى

١- القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦٥ .

٢- بلغ عدد سرايا الرسول (ﷺ) سبع واربعون انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ ٢ ص ٦٢٥ .

ووزعها ورتبها قبل وفاته كما أوحى اليه على لسان جبريل عليه السلام وهى نقطة هامة يجب التركيز عليها حيث ان بعض غلاة المستشرقين حاول أن يضفى نوعا من الشكوك حول هذه الحقيقة التاريخية اسوة بما حدث لبعض الكتب السماوية السابقة مستغلين اختلاف بعض السلف ممن أثر قبل تدوين (المصحف الأمام)[١] ان يقدم المكى على المدنى وقد نبه إلى ذلك الشيخ أبوبكر الانبارى فى كتاب الرد (بقوله ان الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ثم فرقه على النبى (ﷺ) فى عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل فى أمر يحدث ، والأية جوابا لمستخبر يسأل ، ويوقف جبريل الرسول على موضع السورة والأية ، فاتساق السور كأتساق الأيات والحروف والكلمات كله من محمد خاتم النبيين عن رب العالمين فمن أخر سورة مقدمة أو قدم سورة مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات وكان رسول الله (ص) يقول « ضعوا هذه السورة وضع كذا وكذا من القرآن الكريم »[٢].

ولعل حرص الرسول (ﷺ) فى ألا يحدث فى القرآن بعض ما حدث للكتب السماوية الأخرى من ضياع وتغيير واختلاف أمره لصحابته وكتاب الوحى الا ينشغلوا بتدوين غير القرآن حتى ما كان من أحاديثه (ﷺ) مصداقا لقوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » [٣].

من أجل ذلك كان القرآن الكريم وما يزال المصدر الرئيسى الذى لا يختلف عليه أثنان وحتى فى بعض الأوقات التى انفرط فيها عقد الوحدة السياسية الاسلامية وتعددت الفرق والملل والنحل والأحزاب ظل القرآن الكريم المصدر الرئيسى الذى لا يتغير والدستور الموحد أينما وجد المسلم فى ظل الدولة الاسلامية أو غير الاسلامية .

وكان المختلفون سياسيا وحزبيا وانتمائيا يحاولون قدر الامكان دعم وجهات نظرهم بالقرآن فلا أصحاب الفكر الملتزم من طلاب المنهج المدرسى ، ولا أصحاب الفكر العقلانى من طلاب المنهج الفلسفى يختلفون حول المصدر الرئيسى الذى حاول كل فريق منهم أن يتخذ منه سندا لشريعة تفسيره للأمور إضافة إلى السنة الكريمة والأحاديث الصحيحة .

هذا المصدر الموحد للتشريع فى الدولة الأسلامية منهجا ونظاما ومرجعا كان أعظم العوامل فى ظاهرة القوة والتوسع والانتشار التى صاحبتها لم يتأثر بالضعف السياسى التى صاحبتها

١- مصحف عثمان

٢- القرطبى : الجامع لاحكام القرآن جـ ١ ص ٦٠

٣- سورة الحجر : آية رقم ٩ .

فى بعض مراحل وجودها وإنما كان فى كثير من الأحيان يشكل عامل التوازن بين الصعود والافول فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ويفسر المعادلات الصعبة التى كانت تنشأ فى أزمنة أخرى ، بل كان الزاد الذى تنهل منه الاقليات الاسلامية اينما وجدت ، مما أدى إلى حقيقة تاريخية وحيدة وفريدة ومحيرة هى قدرة المسلمين على الصمود اينما وجدوا واينما كانوا .

ولقد شرع القتال والجهاد على المسلمين فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة دفعتهم الى توسيع رقعة الدولة الاسلامية عاما بعد عام ، فى حالة الدفاع عن النفس كما جاء فى قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . ومن اجل استرداد الحق عملا بقوله « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .ولنصرة المظلوم حيث قال جل شأنه: « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ».كما شرع القتال والجهاد لوأد الفتنة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله» . والقتال والجهاد فى سبيل الله للإعلام بالاسلام والاستشهاد فى سبيل الدعوة كان علم الجيوش الاسلامية أينما اتجهت كما جاء فى الآية الكريمة « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ب - الوحدانية والتكوين الحضارى للشخصية الاسلامية :

الوحدانية ركن اساسى من أركان الاسلام ، وهى الى جانب ما تستهدف من عظمة وانفراد الله سبحانه وتعالى بربوبيته وألوهيته وصفاته التى لا يدرك كنهها إلا هو تستهدف أيضا اعلاء قدر الانسان وتفضيله على غيره من مخلوقات الله فالسجود للأوثان والاصنام وغيرها من المخلوقات الالهية والمصنوعات الانسانية اهدار لكرامته وانتقاص لآدميته ووصل الأمر الى بعض الفقهاء يرون فى الرياء والنفاق من ألوان الشرك بالله لأن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وميزه على غيره من الكائنات ومن هذه النقطة الهامة فى الفهم الاسلامى تبرز حقيقة وجود الشخصية الحضارية الاسلامية الرافضة لكل معنى من معانى الرق والاستعباد واستعذاب كل أذى قد يصادفه فى سبيل تحقيق هذا المصير . وهكذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع المسلمين على أول طريق الحرية والمساواة واحترام آدمية الانسان ومن هنا

كانت وقفة السابقين من المعذبين فى الاسلام ضد أسيادهم السابقين ، والتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل الدعوة للإسلام والاستشهاد فى ميادين القتال فى غير نكوص أو أدبار عملا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير » [١].

جـ - وضع الاصول التكوينية للمجتمع الاسلامى بوجه عام :

لعل أهم ما يلفت نظر الباحث فى العقيدة الاسلامية أن من بين المائة وأربع عشرة سورة التى يتضمنها القرآن الكريم سبع وثمانين سورة نزلت كلها فى مكة أى فى فجر الدعوة كلها تتجه إلى إرساء وتكوين المجتمع الاسلامى فى مختلف جوانبه ، لم تترك شاردة أو واردة إلا وتناولتها بالتوجيه والتوضيح الكامل فالجوانب الخلقية والسلوكية لها اياتها التى ركزت عليها ، والعلاقات الانسانية والمعاملات الخاصة والعامة لها مضامينها ، وقواعد الاحوال الشخصية واركان العبادات فصلت تفصيلا ،والدعوة الى العلم والمعرفة الشاملة فى مختلف جوانب الحياة قضت على كل ما يؤدى الى تناقض بين العقيدة والعلم ، كل ذلك فى آيات محكمات رائعات تكونت منها الصفوة القائدة فى كل المجالات .

ولعل أبرز ما يسعى اليه المصلحون اليوم - على الرغم مما بلغه الانسان من حضارة علمية وتقنية - هو البحث عن مضامين خلقية وسلوكية وعقيدية تحول بين هذا التطور الهائل وبين هاوية السقوط أو الانفجار . لقد استطاع الاسلام أن يضع القواعد لكل هذه الاصول التكوينية فى المجتمع الاسلامى فاندفع بكل الطاقات خارج الجزيرة العربية إلى كل أطراف الأرض .

١- سورة الانفال آية رقم ١٥ ، ١٦

أهتم المستشرقون بتفسير هذه الآية الكريمة لانهم وجدوا فيها اجابة لكثير من التساؤلات عن اسباب انتصار المسلمين فى كثير من الغزوات على اعدائهم على الرغم من ضآلة عددهم فى معظم الاحيان وقلة عددهم وبداءة أسلحتهم خصوصا عندما تتفق الروايات الاجنبية مع الروايات العربية فى وصف هذه المواقع واهتم المستشرق الايطالى أمارى فى كتابه عن تاريخ المسلمين فى جزيرة صقلية بتحليل هذه الظاهرة وقال ان المسلمين كان يحرم عليهم الادبار أو النكوص على أعقابهم متى بلغ عددهم (الزحف)أى اثنا عشر الف ، ومن هنا كانت تكمن الاسرار العميقة وراء هذا الصمود فى القتال الذى أثار دهشة المؤرخين .

انظر إلى قوله تعالى لتنظير القيم الاخلاقية والسلوكية فى المجتمع الاسلامى على سبيل المثال لا الحصر : « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بأيآت الله » .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، « وجادلهم بالتى هى أحسن » ، «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » ، « ادفع بالتى هى أحسن السيئة » وقوله فى وصف المؤمنين « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » ، « والذين هم عن اللغو معرضون » ، «والذين هم للزكاة فاعلون » ، « والذين هم لفروجهم حافظون » وحين ينصح لقمان ابنه يقول: « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ،واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، وقوله تعالى «ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم» .

وتناول القرآن القرآن الكريم العلاقات الاسرية والاجتماعية والانسانية بصوره لو تحققت لمجتمع كان خير المجتمعات تكوينا وانشاء .

د- إرساء قواعد ونظم الحكم الاسلامى بعد الهجرة :

واجه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة عددا من القضايا العامة منها ما يتصل بالوحدة التكافلية بين المهاجرين والانصار ، والوحدة الوطنية بين المسلمين وأهل الذمة ، ومنها يتصل بالجهاد فى سبيل الله ، ونظام الحكم فى الدولة الجديدة ، مما جعل من السور المدنية فى مجملها تفصيلا لما سبق إجماله فى الدور المكى فى هذه القضايا وغيرها ، وأن مجرد النظر إلى أول صحيفة وضعها الرسول لمجتمع المدينة والموضوعات التى تناولتها[١] يدرك إلى أى حد أرسى رسول الله دعائم الدولة الاسلامية فى قواعد وبنود ساعدته صلى الله عليه وسلم فى اجتياز الصعوبات التى صادفته فى الداخل والخارج ، فالى جانب التنظيم الدقيق للحقوق والواجبات المفروضة على كل مواطنى المدينة ، والعهود والمواثيق التى بها ، وكانت هناك الغزوات والسرايا التى توج بها بنيان هذه الدولة قبل وفاته مما أتاح لمن أتى بعده الانطلاق بها فى مختلف الميادين.

١- ابن هشام : سيرة النبى جـ ٢ ص ٩٤-٩٨ .

كما أن نظرة الاسلام إلى الحياة الانسانية - مستمدا من القرآن والسنة - تستبعد تماما فكرة الرهبانية وتجعل من العقيدة الاسلامية مظلة لكل ما يهم الحياة من أمور الدين والدنيا متخطيا بذلك كثيرا من الأخطاء التى وقعت فيها المسيحية فلم تكن هناك سلطة زمنية وسلطة روحية، ولم يكن هناك رجال دين ولم يكن هناك صدام بين الفكر المدرسى والفكر الفلسفى وإنما اتجه الاسلام إلى إدماج السلطتين وأصبح خليفة المسلمين يمثل الجانبين الزمنى والشرعى واشترط فيه العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس ، وكان من اهم واجباته الحفاظ على امن الدولة الاسلامية فى الداخل وحماية حدودها فى الخارج ، كما اعترف الاسلام بعلماء الدين وليس برجال الدين والفرق بينهما واضح ، ووقف المنهج العقلى عند علماء الكلام وفلاسفة المسلمين يستمد قوته من الاعتماد على الشريعة الاسلامية ، وحتى عندما ظهرت الفرق والاحزاب والدعوات المختلفة كان كل منها يحاول إبراز انتمائه الى الأصول والقواعد الاسلامية حتى لو اضطر إلى الدعاوى والاختلاق ومن هنا كانت خصوبة الاسلام حتى فى أحرج فترات الانقسامات السياسية والحركات الانفصالية ، ولم يقتصر حمل رسالة الاسلام على جنوده وقواته وإنما تعدى ذلك إلى الدعاة والوعاظ والفقهاء والتجار وغيرهم .

الفصل الثانى
عوامل تفكك الدولة الاسلامية الكبرى

العوامل الداخلية :

أولا : الخلافات الحزبية والمذهبية .

ثانيا : العصبيات القبلية .

ثالثا : الشعوبية .

رابعا : طموحات العناصر الداخلية .

خامسا : ظهور العديد من الدويلات الاسلامية المستقلة .

سادسا : عدم الإدراك الواعى لفلسفة العقيدة والفكر الاسلاميين .

العوامل الخارجية :

أولا : العدوان المغولى والصليبى والاستعمارى .

ثانيا : حركة الاستشراق .

ثالثا : بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الاسلامية النامية .

رابعا : انحياز النظام العالمى الجديد ضد العالم الاسلامى .

عوامل تفكك الدولة الاسلامية

تعرضت الدولة الاسلامية لبعض عوامل الضعف والتفكك والاضمحلال منها ما هو داخلى ذاتى : كالسبئية والعصبيات القبلية وحركات الخوارج والقرامطة والزنج والباطنية والشعوبية والزندقة والحركات الانفصالية وأطماع العناصر الداخلية ، ومنها ما هو خارجى مادى عدوانى كالغارات المغولية ، والحركات الصليبية والمد الاستعمارى والعدوان الصهيونى ، ومنها خارجى فكرى كالايدلوجيات المستوردة والاتجاهات الفكرية المنحرفة وافتراءات بعض المستشرقين .

العوامل الداخلية :

أولا : الخلافات الحزبية والمذهبية

كانت السبئيه المنطلق المذهبى لبعض الحركات الشيعية المتطرفة ، وفى مقدمتها الكيسانية والرافضة والقرامطة وغيرها ، والسبئية نسبة إلى (عبد الله بن سبأ) وهو يهودى من أصل يمنى ادعى الاسلام وبدأ يستغل المرارة التى كانت عند بعض العلويين الذين كانوا يؤمنون بأحقية سيدنا على بن أبى طالب فى الخلافة وينحرف بها إلى منعطفات واتجاهات رفضها الامام رفضا قاطعا وكذلك انصاره ، ومن بين المبادىء التى أطلقها مبدأ الرجعة والوصاية والحلولية وانفراد على بالإمامة ، وقد انضوى تحت لوائه كثير من السطحيين المتعصبين الذين لعبوا دورا كبيرا فى إثارة الامصار الاسلامية على الخليفة الثالث عثمان بن عفان لدرجة أن بعض المؤرخين يؤكدون ان عبد الله بن سبأ لم يترك قطرا من الاقطار الاسلامية إلا دخله مثيرا الرأى العام على (عثمان) ، وكان لبقا ذكيا لماحا استطاع فى فترة ما أن يطوى صحابيا جليلا (كأبى ذر الغفارى) فى الشام ويجمع الفقراء من حوله [1]. ثم انتقل إلى البصرة الى أن طرده منها عاملها (عبد الله بن ابى عامر) فرحل الى الكوفة ، وعاد ثانية الى الشام ومنها الى مصر حيث أخذ ينشر دعاويه المنحرفة فى لباس من الدين وأخذ يروج لنظرية التفويض الالهى التى عرفها فى اليمن من خلال السيطرة الفارسية ، واستطاع بأساليبه المعسوله أن يصل إلى بعض أهدافه فى صبغ مذهبه السبئية الذى كان يدعو له بصبغات يهودية ومجوسية وفارسية ، وكان أنصاره فى مقدمة المحاصرين (لعثمان بن عفان) بل إن واحدا ممن كانوا يؤون ابن سبأ فى بيوتهم هو الذى رفع أول ضربة على قارىء القرآن (عثمان بن عفان) ومهما يكن من أمر فقد كان على بن أبى طالب برىء من هؤلاء الخارجين على سماحة الاسلام[2].

١- المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٤٣٩ .　　٢- الطبرى جـ ٥ ص ٧٠-٧١ ، ١٣٥ .

والحقيقة أنه على الرغم من الجهود المضنية التى بذلها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة حياته لتحقيق الوحدة العقيدية للمسلمين ، وتغليب العقيدة الاسلامية على ما عداها من الصراعات الحزبية او المطامع الدنيوية ، فانه ما كاد ينتقل الى الرفيق الاعلى حتى بدأ خلاف بين الانصار والمهاجرين حسمه الصحابة فورا بولاية ابى بكر رضى الله عنه ، واستمرت هذه الوحدة فى عهد عمر بن الخطاب إلى أن تفجرت بعض مظاهر الخلاف فى عهد الخليفة الثالث وانتهى الامر باستشهاده ، ثم فتح الباب على مصراعيه بين الامام على والمعترضين على بيعته الى أن حسم الموقف لصالح معاويه بن ابى سفيان .

ويجب هنا أن نستوضح حقيقة سبق أن ذكرناها ونحن نتحدث عن عدم التناقض بين التطورات السياسية وازدهار وتقدم الحضارة الاسلامية وهو ما نؤكده الان وسوف نؤكده فى كل مناسبة وهو أن أية خلافات سياسية أو مذهبية أو فكرية كانت تطرأ على ساحة الدولة الاسلامية لم يكن لها أى ارتباط مع وحدة العقيدة والتمسك بها بل وصل الأمر إلى حد استشهاد كل أصحاب مذهب بمصادر الشريعة الاسلامية من قرآن وحديث وسنة ، وعندما وصل الحوار الساخن بين الملتزمين من أنصار المنهج المدرسى عند أهل السنة ، وأنصار المذهب الفلسفى من المعتزلة والكلاميين ، وكان كل طرف يحاول أن يؤكد انتماء فلسفة تفكيره إلى الأصول العقيدية الخالصة والمتفق عليها .

نقول ذلك لأن بعض السطحيين يتصور فى تسجيل المؤرخين لبعض الحقائق التاريخية فى التاريخ الاسلامى خاصة ما يرتبط منها بالخلافات المذهبية أو الفكرية أو العصبية ما قد يؤدى إلى التشكيك فى قدرة الاسلام على التصدى لهذه الخلافات مع أن الدليل الحى الواضح أمامنا أنه رغم الاختلافات العديدة على مدى القرون الأربعة عشرة الماضية حول كثير من الموضوعات السياسية والمذهبية والفكرية مازال القرآن الكريم هو القرآن الكريم ، لم يتغير ولم يتبدل وصدق الله العظيم حين يقول « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وفى عهد الدولة الأموية ظهرت على مسرح الاحداث مذاهب فكرية وسياسية وكلامية ، وانطلق الخوارج من قماقمهم يثيرون الفتن والقلاقل فى كل مكان[1]، وظهرت بعض الأحزاب السياسية وفى مقدمتها الكيسانية والزيدية ، وانشطرت بعض هذه الاحزاب من داخلها إلى

١- ينظر بعض المستشرقين والمفكرين الى الخوارج نظرة تقدمية انهم يمثلون النظرية الجمهورية فى حين يجعلون من الخلافة حقا لكل مسلم حر ، لا ترتبط أيما ارتباط بالقرشية او العروبة او الهاشمية .

عشرات الفرق كما حدث بالنسبة للخوارج ، وأعلن كثير من الموالى سخطهم على الدولة الاموية .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلتها الدولة الاموية فى توسيع رقعة الدولة الاسلامية إلا أن هذه الثورات المضادة من الداخل أدت فى النهاية إلى زوالها سنة ١٣٢ هـ وقامت الدولة العباسية وشهدت قرنا كاملا من أعظم فترات وجودها ، إلا أنها لم تلبث نتيجة تصدر العناصر الدخيلة لمقومات حياتها السياسية والعسكرية أن بدأ يدب الضعف الى كيانها السياسى ، وتوارت أسماء الخلفاء وراء الأسماء الفارسية والتركية والبويهية والسجلوقية ، حتى انتهى الأمر باغارات المغول على الدولة إنهاء وجودها السياسى فى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) .

ثانيا : العصبيات القبلية :

إن من يطلع على الصحيفة (أو العهد)[١] الذى وضعه رسول الله صلى عليه وسلم بعد الهجرة ، والذى يعتبره المؤرخون أول دستور لأول دولة إسلامية ظهرت فى الاسلام يجد أن العهد قد أبرز اهتماما خاصا بالقضاء على العصبية القبلية وتنقية الأنصار والمهاجرين من شرور أخطارها وإحلال الوحدة العقيدية والايمانية مكانها ، إلى درجة أنه وضع هذه الوحدة العقيدية قبل الروابط الأسرية نفسها ، فالمؤمنون المتقون على من بغى منهم أو ظلم أو أثم أو أفسد ولو كان أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وأن المؤمنين بعضهم موالى دون الناس .

غير أنه حدث فى عهد الخلافة الأموية ، وفى أواخر الفرع السفيانى ، أن انضم المضريون إلى الزبيريين فى المطالبة بخلافة (عبد الله بن الزبير) ووقف اليمنيون إلى جانب الأمويين ، وعادت لأول مرة نيران العداوة العصبية التى أخمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقعة (مرج راهط) التى ظلت رايتها الخلافية ترفع فى كل موقع من مواقع الدولة الاسلامية، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، كلما قام الخلاف بين اليمنيين والمضريين ، إلى الدرجة التى اعتبرها بعض المؤرخين أشبه بالداء العضال الذى كان يضعف من قوة الدولة ، ويؤثر على وحدتها وكيانها ، لدرجة أن النداء الذى توارثه المضريون جيلا بعد جيل كلما قام بينهم وبين اليمنيين أو الكلبيين (يالثارات مرج راهط)، حدث ذلك فى المشرق العربى وفى المغرب العربى

١- ابن هشام : السيرة جـ ٢ ص ٩٤-٩٨ .

وفى الأندلس ، بل إن من المؤرخين من يرد كثيرا من الأحداث الاندلسية إلى هذه العصبية القبلية التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : الشعوبية :

الشعوبية حركة عدائية للعرب والعروبة ، وكانت كما قال البعض كلمة حق يراد بها باطل استنادا إلى قوله تعالى « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ولكن هذه الحركة نبتت فى أول الأمر كظاهرة احتجاج ضد سياسة الدولة الأموية فى فارس وما والاها من البلاد التى انضوت تحت الاسلام واتهموها باتجاهات عنصرية تقصر على إسناد الوظائف الهامة فى الدولة كامارة البلدان وجباية الخراج والشرطة والحسبة وغيرها إلى العناصر العربية وقد اشتد الغضب الشعوبى حين اضطر بعض خلفاء الأمويين بسبب الخوف من تناقص موارد بيت المال الى إبقاء الجزية عمن يعتنقون الاسلام من الموالى ، وأن تظل أراضيهم أراضى خراجية ولا تتحول إلى أراضى عشرية كتلك التى جعلت الكثيرين من الموالى يساندون كل الثورات السياسية والمذهبية التى قامت ضد الدولة الأموية فوقفوا إلى جانب الكيسانيين والخوارج وأخيرا ساندوا العباسيين فى دعوتهم ضد الأمويين حتى سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ[1] ولقد كان من المفروض أن تخف وطأة الشعوبية بقيام الخلافة العباسية - إذا صح ما وجه إلى الامويين - خاصة وأن الكثيرين من الخراسانيين اشتركوا فى المواقع التى دانت للدولة الأموية حتى أن بعض المتطرفين يذكرون أن العباسيين استعانوا بالمطارق الفارسية لدق أعناق الأمويين .

غير أن الاتجاهات الشعوبية فى الخلافة العباسية ازدادت استشراء ، وخاصة بعد المواقف التى اتخذها خلفاء العباسيين من القيادات الفارسية التى ساندتهم فى معركتهم مع الأمويين وفى مقدمة هؤلاء (أبى سلمة الخلال) وزير آل البيت ، وأبى (مسلم الخراسانى) وقيادات (البرامكة) وغيرهم ورأينا الشعوبية تنتقل من مجرد نقد العرب والتحدث عن مثالبهم إلى محاولة الحط من شأنهم والحديث عن جهالتهم وجلافتهم وسوء تدبيرهم ، وأخذت كتب الشعوبيين فى مثالب العرب ونقائصهم تبرز إلى الوجود ثم تطور الأمر إلى انتقال الشعوبية إلى مرحلة الزندقة والتطاول على الديانة الاسلامية ، ونقد القرآن الكريم والعودة إلى إيقاظ

١- هناك اتجاهات حديثه للرد على هذه الآراء وتبرئه الامويين من ذلك يمكن الاطلاع عليها فى كتابى دولة بنى امية للدكتور نبيه عاقل وطبيعة الدعوة العباسية للدكتور فاروق عمر .

الديانات والمذاهب المجوسية القديمة ، وظهور الحركات العدائية للاسلام والمسلمين وفى مقدمتها حركات البابكية والحزمية والمقنعية والخراسانية الفاطمية التى تنتمى إلى فاطمة بنت الخراسانى وغير ذلك من الحركات الهدامة فى جسم الدولة ، مما دعا العرب وعلماء الفقه والكلام للرد على هذه السموم العاتية بالقول والحوار والمؤلفات ، وأنشأ المهدى العباسى ديوانا خاصا بهؤلاء الشعوبيين الزنادقة ، كانت مهمته محاولة إقناع هؤلاء بالعودة إلى الرشد والرد على المفتريات وإثارة الحوار حتى إذا لم يجد كل ذلك نفعا سيقوا إلى صاحب الزندقة ليقتلوا كما حدث بالنسبة لابن المقفع وبشار بن برد[1].

رابعاً:طموحات العناصر الدخيلة :

الاسلام دين عالمي شامل يتسع لكل الناس و الشعوب والامم والقبائل،مصداقاً لقوله تعالي «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » ومن هذا الموقف كان رفض الاسلام للتمييز العنصري و التفرقة بين الناس علي أساس من السلالة أو اللون أو الثروة و لذلك فان مجرد دخول وانضواء عناصر وشعوب وأمم فى الاسلام وانخراطها في إطار الدولة الاسلامية لايشكل تهديداً أو خطورة علي الدولة بل علي العكس من ذلك يؤكد شمولية و عالمية الاسلام وهي طبيعة الامور في إطار العقيدة ، وكثيراً ماقام مسلمون من غير العرب بادوار ريادية فى الفكر والعلم والسياسة والحرب ، بل إن معظم علماء العلوم العقلية والنقلية كانوا من بين هذه الشعوب الاسلامية . ولكن الخطورة تكمن حين تتحول بعض هذه العناصر (بعيداً عن ساحة الاسلام) تتحول إلي أدوات لإضعاف نظام الدولة الاسلامي كما حدث في محاولات بعض المتطلعين من زعماء الخراسانيين في الدولة العباسية ثم تسلط الاتراك والبويهيون وغيرهم مما أدي إلي إضعاف الخلفاء العباسيين ، وإنهاء الدولة العباسية علي يد المغول سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨م .

لقد كانت أطماع قيادات هذه العناصر فى العصر العباسي الثاني عاملاً ليس فقط في إضعاف أمر الخلفاء العباسين وإنما المساعدة علي خلق كيانات ودويلات مستقلة أضعفت من وحدة الدولة الاسلامية .

١- انظر الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع للقاسم بن إبراهيم .

خامساً-ظهور العديد من الدويلات الاسلامية المستقلة:

كان من نتيجة الحركات الشعوبية و طموحات زعامات العناصر الدخيلة أن تفككت عري وحدة الدولة الاسلامية شرقاً و غرباً و بدأت الصراعات المختلفة تقوم بين هذه الدول و بعضها وأن الدارس لتاريخ الدولة الاسلامية ابتداء من العصر العباسي الثاني يلمس الي حد كبير قيام هذه الدويلات وسقوطها وصراعاتها وخلافاتها مما كان له تأثير كبير علي وحدة الدولة الاسلامية ابتداء من العصر العباسي الثاني ونحن لا ننكر أن بعض هذه الدويلات قد و وصلت إلي حد كبير من الازدهار السياسي و الفكري ، بل ان كثيراً من عمليات التوسع الاسلامي شرقاً وغرباً قامت علي أكتاف هذه الدول ، و لكنها في النهاية لم تكن الا عاملاً من عوامل الضعف والتفكك العام في محيط الدولة الاسلامية . و ما يقال عن المشرق العربي يمكن أن يقال عن المغرب العربي ، و الاندلس خاصة بعد سقوط الخلافة الاموية الاندلسية سنة ٤٢٢هـ وقيام الدويلات المستقلة في ظل نظام إقطاعي أتاح في النهاية للقوة المسيحية المعادية إنهاء الوجود الاسلامي في الاندلس .

سادساً: عدم الادراك الواعي لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين :

سبق أن تناولنا بالحديث عدم وجود أي تناقض بين العقيدة و الفكر في الاسلام ، وأن الدين الاسلامي دين شمولي يجمع الدين و الدنيا مصداقاً لقوله صلي الله عليه و سلم (اعمل لدينك كأنك تموت غداً و اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) .

وليس أبلغ من هذا الحديث دليلاً علي أنه لا رهبانية و لا كهنوتية و لا انعزالية في الاسلام، ولكن بعضاً ممن لم يكن عندهم تصور واضح لفلسفة العقيدة و الفكر الاسلاميين تصور لفترة من الفترات أن الدين الاسلامي يقتصر علي مجرد العبادات الظاهرة و أنه يتعارض مع مظاهر التطور العلمي و الفكري الانساني ، و نحن لاننكر علي الدولة العثمانية مثلاً دورها القيادي في الذود عن كثير من الاراضي الاسلامية ضد الهجمات الصليبية الشرسة الاتية من جانب الاسبانيين و البرتغاليين عقب نجاحهم في ازالة الدولة الاسلامية في الاندلس ، و الحيلولة دون الافكار الاجرامية ضد الاماكن المقدسة ،و لكن عدم الإدراك الحقيقي لفلسفة وفكر الاسلام وقف حائلاً دون عمليات التطور الفكري و الحضاري ، في وقت بدأ فيه الحركات السياسية و الانقلابات الصناعية تجتاح أوربا مما أدي إلي إصابة العالم الاسلامي بظاهرة التخلف الحضاري وقد أتاح ذلك الاستعمار الاجنبي استغلال هذا الركود والجمود لبسط ظلاله علي كثير من البلاد الاسلامية الواقعة في إطار الدولة العثمانية .

العوامل الخارجية :

اولاً: العدوان المغولي و الصليبي و الاستعماري

مهدت كل هذه العوامل الداخلية او بعضها أن تتعرض الدولة الاسلامية لموجات متوالية من العدوان الخارجي بأشكاله المادية والعسكرية و الاقتصادية و أشكاله الفكرية بأبعادها المختلفة .

ومن القوانين الاجتماعية و التاريخية المعروفة أن العدوان على أية أمة من الأمم يبدأ أولا من الداخل بل إن من النظريات الحديثة في تاريخنا المعاصر أن الغزو كله يبدأ و ينتهي من الداخل و في الداخل .

وهكذا تعرضت الدولة الاسلامية للعدوان الخارجى عليها اعتبارا من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وتمكن المغول من تقويض الدولة العباسية بعد أن استمرت فى الحكم قرابة خمسة قرون ونصف ، ثم حاولوا اجتياح بقية العالم الاسلامى لولا وقوف مصر الاسلامية ضد هذا الغزو وإنهاء هذا الزحف المدمر للحضارة الاسلامية عند (عين جالوت) فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى .

فى أثناء ذلك كانت الصليبية المسيحية تستعد لعدوانها على العالم الاسلامى الذى كان يقترب رويدا رويدا من رئتيها المسيحيتين فى روما وبيزنطة ، وظهرت فى أوربا موجة صليبية عاتية تتجه للقضاء على الكيان الاسلامى ، وقد بدأت هذه الموجة أول ضرباتها فى المغرب الاسلامى والأندلس فى محاولات للقضاء على الوجود الإسلامى فى أسبانيا ، وفى نفس الوقت كانت الحملات الصليبية تتابع واحدة بعد الأخرى ، إلى أن تمكنت الوحدة المصرية السورية بقيادة صلاح الدين الأيوبى من وقف هذا المد الصليبى .

وليس من شك فى أن ذلك كله قد أصاب العالم الاسلامى بضربات شديدة فى مختلف مواقعه مما أتاح للحركة الاستعمارية المادية والاقتصادية أن تجد سبيلها الميسر إلى مختلف أراضيه وتحولت الشعوب الاسلامية إلى أفواه مستهلكة لكل ما ينتجه الانقلاب الصناعى الأوروبى ، وبدأ الامر باحتلال انجلترا لعدن سنة ١٨٣٩ م ومحاولة فرض السيطرة على شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، واحتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م وتونس ١٨٨١م ، وبريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ ثم لم يلبث أن أحتلت إيطاليا ليبيا واحتلت فرنسا مراكش ، ولم تكد تنتهى الحرب العالمية الأولى حتى كان الهلال الخصيب كله تحت الاحتلال الاجنبى .

ثم كانت الطامة الكبرى حين تمت الزيجة السياسية بين الامبريالية الاستعمارية والصهيونية العالمية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكانت هدية هذه الزيجة تقديم فلسطين للصهيونية العالمية ، ومنذ ذلك الوقت والامبريالية الاستعمارية والصهيونية العالمية تشكلان أكبر خطر يهدد العالم العربى والاسلامى بوجه عام .

ثانيا : حركة الاستشراق :

ولم يقتصر العدوان الخارجي على العالم الاسلامي في جانبيه المادي والعسكري وإنما تمثل في عملية التسرب الفكري والثقافي التي تعتبر أشد خطرا وفتكا فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي ومحاولات المخاطرين والمكتشفين الأجانب مستمرة في العدوان على تراثنا الفكري والثقافي بطرق وأساليب مختلفة ، منها ما يتسم بالعلنية ، ومنها ما يتسم بالسرية ، وأنشئت كليات ومعاهد الاستشراق في دول أوروبا الغربية ، حيث كان ينقل إليها ما أمكن حمله من مصادر التراث الاسلامي .

وكثيرا ما قرأنا وسمعنا لعشرات البعثات الاستكشافية والارساليات التبشيرية الموفدة من المعاهد الاستشراقية والهيئات الكنسية ، التي كانت تستهدف في الاصل الاستئثار بالمصادر الاسلامية ، وغسل العقول البدائية من أركان العقيدة ، وأنشئت المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية في الداخل ، كما ألفت الكتب والمراجع المليئة بالمغالطات المكشوفة في التاريخ الاسلامي .

وليس من شك في أن ما قامت به الجامعات الاسلامية ، ومازالت تقوم به من كشف لهذه المغالطات العلمية بالاساليب العلمية الصحيحة ، إنما يمثل دورا أساسيا في إضعاف موجات الالحاد والتشكك والتيارات الفكرية التي يتعرض لها الشباب الاسلامي .

ثالثا : بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الاسلامية النامية :

يضاف إلى كل ما سبق بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الاسلامية النامية ، ذلك البعد الذي يزداد اتساعا يوما بعد يوم بسبب عملية التطور العلمي والتكنولوجي عند الدول الصناعية خاصة وأن هذه الدول تسعى جاهدة للحيلولة دون المحاولات التي تبذلها الدول الاسلامية للحصول على التكنولوجيا الحديثة ، وانتقالها من مرحلة الدول المستهلكة إلى مرحلة الدول المنتجة .

وعلى الرغم من الخلافات التي قد تبدو بين الكتل المتصارعة في العالم اليوم إلا أنها تتفق على شيء واحد وهو الوقوف في وجه هذا العملاق الاسلامي بشتى الطرق لأنهم يقرأون التاريخ ويعلمون إلى أي حد تمتد جذور هذا العالم الاسلامي إلى الأعماق .

ولعلنا نذكر في هذا المجال ذلك المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٠٧ واكتملت فيه كل الدول الصناعية الاستعمارية برياسة كامبل بنرمان رئيس الوزراء البريطاني وكان هذا المؤتمر ينظر في الوسائل التي توصل إلى الابقاء على الظاهرة الاستعمارية في مواجهة حركات التحرر، وانتهى النقاش إلى أن العالم الاسلامي يشكل الخطر الرئيسي لمستقبل الدول

الصناعية ، وكانت العقيدة القرآنية واللغة المشتركة من بين الأسس التى رؤى التركيز على ضرورة إضعافها وتصفيتها ووضعت سياسة هذا المؤتمر على أساس تشجيع اللهجات العامية ، وإضعاف العقيدة الاسلامية وإثارة الطائفية الدينية والعنصرية وخلق دولة يهودية فى قلب هذا العالم الاسلامى تمتص كل موارده القومية الرئيسية ، وزيادة مساحات التخلف بين الدول الصناعية المتقدمة والدول الاسلامية النامية .

وعلى الرغم من امتلاك العالم الاسلامى لأكبر نسبة من أعظم مصادر الطاقة وهو البترول ، واعتماد الدول الصناعية على هذا النفط إلا أن السياسة المخططة لهذه الدول بمؤسساتها الضخمة وشركاتها العالمية و إمكانياتها الواسعة تحول دون شك فى الوصول إلى ما تصبو إليه الدول البترولية الاسلامية من تطور وتقدم يواكب التطور والتقدم العالميين .

ولازال الصراع محتدما بين الجانبين الدول الاسلامية البترولية تسعى إلى توكيد حقوقها ، والحصول على عائداتها كاملة ، والدول الصناعية متشبثة بسياستها التقليدية التى تقوم على أن الشرق شرق والغرب غرب .

رابعا : انحياز النظام العالمى الجديد ضد العالم الاسلامى :

ذلك أنه منذ انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالقمة فى عالمنا المعاصر بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، اتخذ النظام العالمى الجديد سياسة غير منصفة وغير متوازنة بل وغير عادلة فى أية قضية أو مشكلة سياسة يكون أحد الأقطار الاسلامية طرفا فيها ، مثال ذلك :

١- تكتيل القوى العالمية لمحاربة العراق عندما اجتاز الخط الأحمر المرسوم له بضم الكويت وتهديد المملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية الأخرى ، فى الوقت الذى ساندت فيه إسرائيل فى عدوانها على الأرض العربية واستخدام حق النقض (الفيتو) ضد أى مشروع قرار يقدم لمجلس الأمن للتنديد باسرائيل أو فرض عقوبات ضدها .

٢- التغاضى عن امتلاك إسرائيل أسلحة نووية والتشهير بمحاولة الباكستان صنع القنبلة الذرية الاسلامية وتهديد ليبيا بدعوى إنشاء مصنع للمواد الكيماوية .

٣- التغاضى عما فعله صرب البوسنة والهرسك من مجازر بحق المسلمين أهل البلاد ، وإثارة وجود مساعدات إسلامية ومجاهدين مسلمين فى صفوف المقاتلين من أهل البوسنة والهرسك .

٤- التغاضى عما يفعله الروس من قتل وتدمير فى حق شعب الشيشان المسلم ، بينما سارعت إلى التحرك بعد العمليات الانتحارية التى قام بها شباب فلسطين المسلم ضد الاحتلال الاسرائيلى لبلادهم .

الفصل الثالث

الوحـدة الاسـلامية

مقدمة :

- الأعداء
- المدافعون
- مشكلات العالم الاسلامى المعاصر
- موقف المسلمين من المشكلات
- نظرة المسلمين إلى الشيوعية
- موقف المسلمين من الرأسمالية
- موقف المسلمين من الصهيونية
- ما هو الحل

مقدمـة :

يعتبر قيام منظمة المؤتمر الإسلامي فى شهر رجب عام ١٣٩٨ هـ الموافق لشهر سبتمبر عام ١٩٦٩ م تجسيدا لفكرة الوحدة الإسلامية التى ترجع إلى ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية وما أتصل به وما يمكن تسميته بالحركة العربية التى ظهرت بها قوة اللغة العربية التى رافقت الإسلام كدين فى انتشاره السريع قد أثرت على المجتمعات التى انتشر بها من القرن السابع الميلادى حتى الوقت الحاضر وظهر تأثيرها فى جميع نواحى حياة الإنسان المسلم .

وتعتبر المرحلة الأولى لظهور الإسلام وانتشاره هامة نظرا لظهور عوامل أساسية أدت إلى وحدة الثقافة الإسلامية لب الوحدة الإسلامية وجوهرها وهذه العوامل هى :

١- الوحدة الروحية التى جمعت الشعوب الإسلامية عربية وغير عربية .

٢- ارتباط الدين بالسياسة ، فقد كان خليفة المسلمين هو الزعيم السياسى إلى جانب كونه الزعيم الدينى للمسلمين مما ساعد على أن يكون للدين الإسلامى أثر عميق فى كل مرافق الحياة فى أنحاء العالم العربى والإسلامى .

٣- شيوع مبادىء الإخاء والمساواة التى تحطم الحواجز بين الناس دون النظر إلى الجنس أو اللون : وهذه المبادىء تستند إلى الشرائع السماوية التى أتى بها الإسلام .

وقد انتشر الإسلام بمبادئه الروحية والإجتماعية والسياسية والفكرية خارج شبه الجزيرة العربية ، ووصل فى انتشاره إلى مختلف قارات الأرض ، فقد أظلت راية الإسلام ما بين نقطة المغرب الأقصى إلى « تونازنى » على حدود الصين فى عرض ما بين « قازان » من جهة الشمال وبين « سرنديب » تحت خط الإستواء أقطارا متصلة وديارا متجاورة يسكنها المسلمون وكان لهم فيها السلطان الذى لا يغالب [١] .

وكانت حركة انتشار الإسلام قوية نشطة فى بدايتها حتى بدا كأن الأقطار التى انتشر بها تكون كتلة إسلامية متماسكة قوامها أن المسلمين مهما بعدت بينهم الديار التى يسكنونها ، وتباينت اللغات واختلفت الأجناس ، هم أصحاب وحدة فى التوجيه وأصحاب وحدة فى اعتبار المصدر المقدس الأكبر - وهو القرآن الكريم - لواء يلتف المسلمون جميعا تحت رايته ، وهذا كان كفيل بتقوية أواصر الوحدة الروحية وبعث النهضة الإسلامية القوية الجديرة بالقيادة والتوجيه لخير الإنسانية موجهة نحو بناء مجتمع قوى الدعائم متكامل الروابط فى ظل الأخاء والاسلامى .

١- جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى ص ١٠٧ .

ولا يقلل من هذه الوحدة الإسلامية ما تقتضيه طبيعة التفكير من اختلاف وجهات النظر في الإستنباط والتدليل . وما تمليه سنن الإجتماع من التسابق الذهني ، في الوصول إلى الحقائق العلمية ، فهذا خلاف مرغوب يدل على الثروة الفكرية والعظمة الإسلامية التي حررت العقول وأرهفت الأفكار وشحذت الأذهان ولم تحبسها في حيز محدود أو نطاق محصور .

كما أن اجتهاد المجتهدين قدم للأمة الإسلامية تراثا فكريا خالدا أنتجته العبقريات التشريعية من أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى ، وهذا التراث الفكري يعتبر بحق موضع اعتزاز تفخر به الأمة الإسلامية لأنه يدل على رحابة الفكر وسعة الأفق ، أما الأمة الإسلامية – وإن تعددت فيها المذاهب – أمة واحدة بحكم ما اتفقت عليه من المواضع التي ربطت بينها ، ولها مواضع تختلف فيها بأختلاف العقول ، ووضوح الدلالات وتغير المصالح والأحوال ، والأمة بحكم ما اتفقت عليه أمة واحدة ، وبحكم ما اختلفت فيه مذاهب متعددة ، والمذهبية لا تخرج عن اعتبارهم لبنات من بناء الأمة الإسلامية الواحدة مصداقا لقول الله سبحانه تعالى في كتابه الكريم : وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون : صدق الله العظيم .

وهكذا ظهرت الوحدة الإسلامية عقيدة وسياسة فقامت الدولة الإسلامية الواحدة التي تعرضت لانتكاسات بسبب إغفال حكامها لجوهر الفترة التاريخية المعاصرة للأمة الإسلامية رجالا سعوا إلى إحياء أمجادها وبعث العقيدة وأصول الفقه والتشريع الإسلامي ، إلى أن قيض الله لها في هذه الفترة نهضتها ، وكانت منظمة المؤتمر الإسلامي هي الرمز الذي اجتمع حوله المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها وسيبقى هذا الرمز إن شاء الله منارا على بعث الأمة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة .

وبهذا يتضح أن الوحدة من ألزم الفرائض الواجبة على الأمة الإسلامية ، وأن المسلمين يتحتم عليهم أن يعيشوا دائما متضامنين ، وهم يد على من سواهم ، وأن كيانهم وبقاءهم متوقف على هذه الوحدة ، وعلى الأقل في الأهداف والغايات إذا أجيز التعدد في الوسائل بحسب ما تمليه مصالح الشعوب ، ومن أهم الأهداف أن تقف الأمة الإسلامية كلها صفا واحدا أمام الأعداء وعلى الأمة الإسلامية أن توجد من الهيئات والمؤسسات ما يؤدي إلى تحقيق غايات الدفاع والحماية والتنسيق بين سياستها ، ويجب أن يكون واضحا أن الدولة الإسلامية أعم وأشمل من الدولة السياسية ، لأن الدولة الإسلامية ذات وظائف مادية وروحية في وقت واحد .

الأعـداء :

وإزاء تطلع المسلمين إلى وحدتهم بدأت الإتجاهات المعادية للوحدة الإسلاميـة تقـوم بدور خطير لهدمها ، وحقيقة الأمر أن الوحدة الإسلامية تعرضت لعوامل تفكك من الداخل وعوامل غـزو من الخارج - كـمـا سبق أن رأينا - أما عـوامل التـفكك الداخلي فـقـد تمثلت - كـمـا هومعلوم- فى قيام إمارات ودويلات إسلاميـة هنا وهناك فى أنحاء الأمة الإسلامية منسلخة من الكيـان الإسلامى العام ، إلى جانب ما أصاب المسلمين من جمود فكرى وخلافات مذهبية وسياسية شديدة أبعدتهم عن وحدتهم المتوارثة [١].

وأما العوامل الخارجية المعادية للوحدة الإسلاميـة - وكما هو معلوم كذلك - فقد تمثلت فى الغـزوات المغـوليـة والصليـبيـة فى العـصـور الوسطى للدولة الإسـلامـيـة ، ثم فى الغـزوات الإستعمارية الأوروبية فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بصفة خاصة .

ومكمن الخطورة فى هذا الإستعمار الأوروبى هو ما ارتبط به من جهد بذله الاستعماريون لكى يحطموا الوحدة الإسلاميـة ، وقد نجح الإستعـماريون فى تمزيق وحدة العالم الإسلامى وتفريق شمله وما نشروه من مذاهب فلسفية هدامة ، وما بثوه من أراجيف وشكوك حاولوا بها طمس معالم الإسلام ، وتشويه صحيفته وتبديد تراثه وتهوين أهدافه المثالية ومقوماته المعنوية والأخطر من ذلك هو موالاة الحكام للأجنبى المخالف لهم فى الدين والجنس ، ولجأوا للإستنصار به وطلب المعونة منه على أبناء ملتهم [٢].

المدافعون :

ولكن قـيض الله للعروبة والإسلام رجـالا مـخلصين وقـفـوا مـدافـعين عن الإسلام والوحـدة الإسلاميـة اعتبارا من القرن الثامن عشر الميلادى وما تلاه من قرون : منهم زعماء الدعوات السلفيـة : محمد بن عبد الوهاب فى نجد بشبه الجزيرة العربية ، ومحمد بن على السنوسى فى برقة بليبيا ، إلى جانب دعوة الجامعة الإسلاميـة التى تزعمها السيد جمال الدين الأفغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده ، كما كان منهم زعماء الثورات والحركات الوطنية التى تصدت للإستعمار فى أنحاء العالم الإسلامى .

١- يمكن الإستزادة من هذا الموضوع من كتاب العروة الوثقى ص ١٠٩-١١٠ .

٢- جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى ص ١١٠ .

وبما هو جدير بالذكر أن فكرة الجامعة الإسلامية تدعو إلى وحدة صفوف المسلمين وراء الدولة العثمانية ، وهذه هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، أي أن جمال الدين الأفغاني كان يعمل إلى جانب إصلاح المساوىء الدينية والإجتماعية على صد النفوذ الأوروبي ، خاصة وأنه كان يرد الإستعمار الأوروبي إلى أساس ديني ويعتبره حركة نصرانية موجهة ضد الإسلام.

فحركة الجامعة الإسلامية إذن التي تبناها جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده حركة إسلامية عامة مجالها العالم الإسلامي كله وغايتها جمع المسلمين على كلمة سواء وإقامتهم على مبدأ التحرر من قبضة المحتلين والمستبدين من المسلمين وغير المسلمين ، فالحركة وإن لم تقم باسم الدين فإنها كانت في صميمها دعوة تحريرية للعقل الإسلامي كله ، وهي وإن لم تقم كذلك في ظل عصبية القبيلة أو الموطن فإنها قامت في ظل العصبية الإسلامية في جميع الأقطار .

مشكلات العالم الإسلامي المعاصر :

وهكذا يمكن القول أن العالم الإسلامي كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل لحركة الإستغراب Westernization في الشرق الأدنى وكرد فعل لاعتداءات الدول الأوروبية على بعض أجزاء العالم الإسلامي ، وكانت بعض هذه الحركات الدينية تتخذ موقفا سلبيا من الإستغراب وتنادي بالإرتداد أو الرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى ، وهذه هي الدعوات السلفية التي أشرنا إليها ، إلا أن الجامعة الإسلامية كانت أكثر إدراكا لمشكلات العالم الإسلامي .

وتنبع مشكلات العالم الإسلامي المعاصر من موقف هذا العالم من المذاهب والتيارات العالمية وتكتلها و أطماعها في أقطار ذلك العالم ومحاولتها هدم الوحدة الإسلامية ومنع قيامها مرة أخرى ، فالمشكلة في واقع الأمر هي مشكلة حضارية يعيشها العالم الإسلامي وسط المذاهب والتكتلات الدولية ، إذ أن أقطار العالم الإسلامي متخلفة عن الدول الأوروبية والأمريكية ، باعتبار الأقطار الإسلامية خضعت سنوات طويلة لعهود من السيطرة الأجنبية والأستغلال الأوروبي والعزلة المفروضة على نشاطها وحياتها في مختلف الميادين .

إن مجتمعنا الإسلامي حاليا يعاني من المشكلات ما لم يعانه في عصر من العصور الماضية وذلك راجع إلى عدة عوامل نذكر أهمها على النحو التالي :

١- اصطدام المجتمعات الإسلامية بالحضارة الغربية ونظمها وفلسفتها وأخلاقها التي تختلف في جوهرها عما ساد المجتمع الإسلامي من نظم وفلسفات وأخلاق وعادات.

٢- تفكك المجتمع الإسلامي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا تفككا بصورة كبيرة نتج عنه شعور أبنائه بالحالة المتخلفة التي يعيشون فيها ، ورغبتهم في التخلص من هذا التخلف والسير في ركب الحضارة التي تسود العالم اليوم ، وكان من الطبيعي أن يشعر المتعلمون وحملة الفكر في هذا المجتمع الإسلامي بوطأة هذا التخلف والحاجة إلى سلوك الوسائل المجدية للخلاص منه ، والتمسك بالوفاق والقلب اللذين هما عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الإسلامية [١].

موقف المسلمين من المشكلات :

وفي واقع الأمر انقسم مفكرو العالم الإسلامي في معالجة مشكلات عالمهم إلى ثلاث فئات هي :

أولا : فئة لا تؤمن بصلاح ما في يد الأمة الإسلامية من تراث وعقيدة لحل هذه المشكلات، فاتجهت إلى الحضارة الغربية تنشد عندها الحل ، وقد أسرفت هذه الفئة في هذا الإتجاه بحيث تخلت عن تفكيرها المستقل وعن شخصيتها المستقلة واستحسنت كل ما رأته في الحضارة الغربية دون أن تدرك هذه الفئة الفوارق بين مجتمعنا الإسلامي والمجتمعات الغربية وأن ما يصلح لها ربما لا يصلح لنا .

ثانيا : وفئة تؤمن بأن في الإسلام حل هذه المشكلات إيمانا غيبيا ولكنها لا تعرف كيف يحلها وتظن أن من الممكن تطبيق الإسلام بنفس الأشكال التي طبقت في عصر الخلفاء الراشدين تماما . وهؤلاء هم أكثر فقهاء الشريعة وعلمائها وهم بعيدون كل البعد عن تفهم مشكلات المجتمع الإسلامي المعاصر ، ويقفون منها دائما موقفا سلبيا ، بل أظهروا الإسلام أمام خصومه بمظهر العاجز عن حل مشكلات المسلمين .

وقامت المعركة بين هؤلاء الفقهاء وبين أعضاء الفئة الأولى - وهم المتعلمون في الغرب والمتأثرون بالثقافة الغربية - وكان سلاح هؤلاء الفقهاء ضد الفئة الأولى هو الاتهام بالكفر والإلحاد ، بينما رد عليهم أعضاء الفئة الأولى بأن هؤلاء الفقهاء رجعيون جامدون ، وكأن الجمهور الإسلامي بمجموعه وبطبيعة إيمانه واقتناعه بدينه مستعد أن يصغى إلى هؤلاء الفقهاء أكثر فأيدهم وسار وراءهم .

١- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : المرجع السابق ص ١١٦ .

ولم يفعل أعضاء الفئة شيئا من أجل إصلاح اجتماعي شامل ، وكانت النتيجة ازدياد وطأة الحضارة الغربية على العالم الإسلامي ، وازداد اتصال المسلمين بها خاصة منذ الحرب العالمية الأولى ، وانتشرت المعرفة واتسع نطاق العلم الذى كان متسما بطابع التفكير الغربى فى مدارسنا ومعاهدنا العليا ، وبدأ الجمهور الإسلامي يفقد ثقته بهؤلاء الفقهاء الذين عجزوا عن حل مشكلاته من حيث لم يثق أبدا برواد الثقافة الغربية المتسمة بطابع العداء للإسلام بصفة خاصة وللأديان بصفة عامة .

ثالثا : وكانت الفئة الثالثة من المفكرين الإسلاميين تتخذ موقفا وسطا بين الفئتين السابقتين وتنادى بأن الإسلام يحل كل مشكلات المسلمين الإجتماعية ، فهى فى هذا تلتقى مع أولئك الفقهاء لكنها تختلف معهم فى فهم هذه المشكلات وتصورها وطبيعة حلها ، وتختلف معهم فى طريقة فهم الإسلام وتمثل مقاصده العامة ، ويختلفون مع الفئة الأولى من رواد الثقافة الغربية بوقفهم من عقيدة الأمة وتراثها وبموقفهم من الحضارة الغربية وإيمانهم باستقامة مبادئها ومذاهبها .

وهذه الفئة الثالثة تفهم مبادىء الإسلام على أنها هى المبادىء الثلاثة الآتية :

١- تحقيق مصالح الناس فى كل ما يحتاجون إليه ، ولا تضيق الشريعة الإسلامية بمصلحة للمجتمع ، ويقر العقلاء والدارسون الشرعيون والإجتماعيون بأنها مصلحة .

٢- تحقيق العدالة بين الناس إذا تعارضت مصالحهم مهما كلفت العدالة من غرم لبعض الناس .

٣- تحقيق التطور الإجتماعى الصالح فى المجتمع الإنسانى ، فلا يقف الإسلام فى وجه تطور ما فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية ، إذا كان هذا التطور نتيجة محتمة لتطور الفكر أو العلم أو ضرورات الحياة .

كما أن لهذه الفئة الثالثة من المفكرين الإسلاميين موقفا من مشكلات المجتمع الإسلامى - يقوم على ضرورة دراسة هذه المشكلات دراسة عميقة وعريضة ، والأختلاط بالمجتمع اختلاطا شاملا لكل فئاته حتى تتحدد المشكلة وتعرف أسبابها ويعرف الطريق الصحيح لحلها حلا علميا متفقا مع رسالة الإسلام .

وتحيط بالعالم الإسلامى المعاصر قوى ومذاهب وتيارات فكرية وإقتصادية تزيد من مشكلات هذا العالم،من بينها الشيوعية والرأسمالية والصهيونية،فما موقف الإسلام منها ؟ .

نظرة المسلمين إلى الشيوعية :

ينظر المسلمون إلى الشيوعية من ثلاث نواحي هي[١]:

أولا : أن الشيوعية كعقيدة ذات فلسفة مادية تنكر الروح وما وراء المادة ، وهي في ذلك تختلف عن الإسلام في أساسها وجوهرها ، ولا يمكن أن تلتقي معه في عقيدته وفلسفته ، وموقف الإسلام من فلسفة الشيوعية هو تفنيدها بالحجة والمنطق وتوضيح ما فيها من إنحراف عن الحق وخطأ في الواقع .

ثانيا : أن الشيوعية كنظام اقتصادي اشتراكي يسعى إلى تحقيق العدالة بين طبقات الشعب ، ويمنع تحكم ووسائل الإنتاج في العمل والعمال بأسلوب خاص ، وموقف الإسلام أنه وضع نظاما اشتراكيا واضح المعالم مستقلا عن الشيوعية وعن الاشتراكيات المتعددة وعن الرأسمالية ، وهو في ذلك يحارب الشيوعية في كل أتجاهاتها الاشتراكية ولا يقرها في كل تفاصيلها واتجاهاتها .

ولقد سبقت الأديان كلها الشيوعية إلى الرحمة بالبائسين وإنصاف الناس والرغبة في تحقيق العدالة بين الجماهير ، ولكل دين وسائله الخاصة به في تحقيق هذه الأهداف الإنسانية ، فلا ضير على الإسلام أن تتفق معه الشيوعية في أهدافه الإنسانية النبيلة ، وإن كانت تسلك لذلك طرقا لا يقرها الإسلام .

ثالثا : أن الشيوعية كدول ذات قوة وأهداف سياسية ، وموقف الإسلام منها هو موقفه من كل قوة مسلحة تجاوره ، فإن سالمت عقيدة المسلمين وكرامتهم واحترمت إرادتهم وسلطانهم على ديارهم سالمها الإسلام والمسلمون ولو كانت مخالفة في العقيدة والنظام لأن الإسلام لا يفرض الحرب على كل من خالفه ، وإنما يضع هذا المبدأ الخالد العادل في قول الله تعالى سبحانه وتعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم [٢].

وإن هي حاربت المسلمين في عقيدتهم وكرامتهم وديارهم أعلن المسلمون عليها الحرب واستعد المسلمون بكل وسائل القوة لرد العدوان ، وشعارهم في ذلك هو المبدأ الذي لا يزال

١- يمكن الاستزادة في هذا الموضوع من كتاب حاضر العالم الإسلامي للمؤلف الأمريكي لوثروب ستودارد وتعليق الأمير شكيب أرسلان من ٢٥٣ - ٢٨١ - تحت عنوان : القلق الأجتماعي والبلشفية .

٢- سورة الممتحنة الآية رقم ٨

شرعة الأمم حتى اليوم فى قول الله سبحانه وتعالى : فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم[١].

وإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى الشيوعية فلماذا تنتشر الشيوعية فى أقطار العالم الإسلامى سواء فى المشرق أو فى المغرب ، أهمها ما يلى :[٢].

أولا : فساد الأنظمة الاجتماعية ، فإن انحطاط مستوى المعيشة والعلم والصحة والتفاوت الكبير بين الطبقات وفساد أنظمة الحكم وانحراف الحكام عن سنن العدالة ، ذلك كله من أكبر أسباب التذمر الذى يؤدى بالجماهير إلى اعتناق أية فكرة تظن فيها الخلاص من حالتها السيئة أن الجماهير إنما تعنى بمصالحها المالية قبل كل شيء ، وهى تفتش عن تحقيق تلك المصالح فى دائرة أديانها ، فاذا رأت فيها العجز والأعراض عن تحقيق ذلك تولت عنها وهى تفتش عن مذهب يعدها بالأنقاذ وستتبعه حتما ولو كان آتيا من الشيطان .

ثانيا : محاربة الديموقراطية الغربية لشعوب العالم الإسلامى والمتخلف فى أفريقيا وآسيا فى أمانيها التحررية والاستقلالية ومحاربة أبنائها تحت نير الجهل والظلام والعبودية ، وإشاعة حكم الإرهاب والبطش فى كثير من الأقطار المتحفزة للتحرر ، كل ذلك له أثره فى اتجاه الجماهير إلى نظام يعدها بالتحرر من سلطان الديمقراطيات وبطشها وإرهابها .

ثالثا : التأييد الذى لقيته الصهيونية من الديموقراطية الغربية حتى أصبح لها كيان مفروض فى قلب الوطن العربى رغم إرادة سكانه وشعوبه مما شرد سكان فلسطين العرب وأشاع المرارة والخيبة فى نفوس العرب والمسلمين ، وجعل أوساط اللاجئين الفلسطينيين أمكنة صالحة للشيوعية تزداد يوما بعد يوم . وإذا كان اضطراب الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية فى أوروبا قد جعل نصفها يميل إلى الشيوعية أو يقع تحت قبضتها ، فكيف لاتؤدى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، لسيئة فى أوساط الشعوب الإسلامية إلى جانب موقف الدول الغربية الديموقراطية المعادى لأمانى الشعوب الاسلامية ، كيف لا يؤدى ذلك كله إلى ميل بين الجماهير الاسلامية - والعربية جزء منها - نحو الشيوعية [٣].

١- سورة البقرة الآية رقم ١٩٨ .

٢- يمكن الإستزادة فى هذا الموضوع بالرجوع إلى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٢٠ - ٣٣٢ تحت عنوان كيف وجدت الاشتراكية لها سوقا .

٣- لمزيد من التفصيل عن الإسلام والشيوعية يمكن الرجوع إلى كتاب الماركسية والأسلام للدكتور مصطفى محمود .

موقف المسلمين من الرأسمالية :

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام والمسلمين من الشيوعية : فما موقف الإسلام والمسلمين فى الرأسمالية ؟

ينظر الإسلام والمسلمين إلى الرأسمالية من ثلاث نواحى هى[1]:

(أ) أن الرأسمالية كعقيدة ومبدأ يرتبط بمفاهيم الديموقراطية الغربية الليبرالية فى مجالات السياسة والاقتصاد والعلاقات الإجتماعية ، وموقف الإسلام من ذلك هو أن للإسلام ديموقراطيته غير المزيفة ودعوته للحرية الموجهة البعيدة عن الفوضى ومن ثم يمكن القول أن ديوقراطية الإسلام أكثر أصالة وتحديدا لأنها تنسحب على المسلمين وغير المسلمين بينما الديموقراطية والحرية الغربية لا يقرها أصحابها لغيرهم .

(ب) أن الرأسمالية كنظام اقتصادى يقوم على أساس نظرية العرض والطلب والمنافسة الحرة فى الإنتاج والتجارة ، وتطبيقا لهذه النظرية لا تتدخل حكومات المجتمعات الرأسمالية فى الإقتصاد القومى للبلاد ، إنما تترك أمره للأفراد ، فالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج تحصر الإستفادة فى عدد قليل من الأفراد أو الذين تتيح لهم سيطرتهم على وسائل الإنتاج استغلال مجموع الشعب والتحكم فى الأسواق وفى الأسعار . وموقف الإسلام من ذلك موقف الناقد لكل استغلال للإنسان ولكل احتكار فى احتياجات الناس ، حيث أن مبادىء الإسلام لا تقر الرأسمالية فى استغلالها وفى تميزها الطبقى ، إنما بالمساواة وفى التقارب الطبقى وفى التكافل الاجتماعى وأن تكون الثروة فى خدمة المجموع .

(جـ) أن الرأسمالية فى نظام سياسى كدول ذات قوة وأهداف سياسية مارست قوتها وحققت أهدافها الإستعمارية فى كل أقطار العالم الإسلامى ، وزرعت الصهيونية فى قلب العالم الإسلامى وأمدتها بأسباب القوة والبقاء وحاربت الإسلام بصور شتى : ولذلك يقف منها الإسلام والمسلمون موقف المكافح والمناضل ضد الأطماع الإستعمارية واتجاهات الإلحاد التى حاولت الدول الإستعمارية بثها ، وهدف الإسلام والمسلمين هو المحافظة على جوهر الدين الإسلامى وأصوله ، وطرد الأستعمار من أرض المسلمين وإقامة علاقات مع الدول الرأسمالية على أساس المصلحة الوطنية ومعاملة الند للند ، والوعيى بأساليب الحضارة الغربية المادية بحيث يملكها المسلمون ويستفيدون منها دون أن تملكهم هى وتقيد حركتهم [1].

١- يمكن الأستزادة من موضوع الرأسمالية والإسلام بالرجوع إلى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت علينا للدكتور يوسف القرضاوى من ١٠٣ - ١٣١ تحت عنوان لماذا فشلت الليبرالية الديموقراطية عندنا ؟ .

موقف الإسلام من الصهيونية :

ولنا سؤال أخير حول إحدى المشكلات التى واجهت العالم الإسلامى وهو موقف الإسلام من الصهيونية ؟ . لا شك أن الدين الإسلامى والمسلمين يفرقون بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة عنصرية سياسية متحالفة مع الأستعمار ضد جزء من الأمة العربية التى هى قلب الأمة الأسلامية ، ذلك أن الصهيونية التقت مع النازية فى مبادئها حيث تدعو الصهيونية إلى مبدأ العنصر الممتاز ومبدأ الديانة الخاصة والوطن الخاص ، بل وتدعو إلى تحقيق حلم استعمارى بأن تمد الصهيونية سيطرتها على معظم منطقة الشرق الأوسط من نهر النيل إلى نهر الفرات ، كما تدعو إلى استخدام القوة لتحقيق هذه السيطرة ، وبالتالى أستغلوا نفوذهم السياسى ليس فقط فى أوروبا بل فى أمريكا كذلك إلى جانب نفوذهم الإقتصادى وسيطرتهم على أجهزة الدعاية من صحافة وإذاعة وتليفزيون ونشرات [٢].

ومما هو جدير بالذكر أن الحركة الصهيونية كانت أكثر تحركا وتنظيما من العرب ولها رجال ذوى نفوذ فى الأقطار الكبرى الأربعة أنجلترا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية وهى الأقطار المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى [٣]، ولكن أساليبها لم تغب عن اليهود فى العالم ، إذ وجدت جماعات يهودية عالمية عارضت بشدة خطط الحركة الصهيونية ، وقد أرسل حوالى ٣٠٠ من قادة اليهود الأمريكيين إلى الرئيس ويلسون يعبرون عن إستنكارهم لمطالب الحركة الصهيونية فى فلسطين ، كما كانت هناك قيادات يهودية فى أوروبا تعتقد أن الصهيونية إنما تمثل خطرا على اليهود فى العالم . وتسبب مزيدا من العداء للسامية [٤].

وعقب الحرب العالمية الثانية نشطت الحركة الصهيونية فى تذكير الدول الكبرى بتنفيذ وعد بلفور مستخدمة ما لاقاه الصهيونيون من اضطهاد على يد هتلر فى ألمانيا وكان الرأى العام الأمريكى يجهل تماما الوضع القائم فى فلسطين وما يمكن أن يؤدى إليه تحقيق مطالب الصهيونية وكأنها حجج قانونية فى منطقة الشرق الأوسط يرفعون أصوات الاحتجاج ضد الدعاوى الصهيونية [٥].

١- للاستزادة يمكن الرجوع إلى كتاب الإسلام والرأسمالية لمؤلفه مكسيم رودنسون وترجمة نزيه الحكيم .

٢- د . محمد فاضل الجمالى : الخطر الصهيونى ص ٢٥ - ٣٢ .

٣- د. رأفت الشيخ : أمريكا والعلاقات الدولية ص ١٦٩ - ١٧٠ .

٤- Polk, W.(The U.S.and the Arab World) P. 300.

٥- the American Assembly : The United States and the Middle East, p, 7.

ومع ذلك قامت إسرائيل كبداية لحلم الحركة الصهيونية ، واتخذت منذ عام ١٩٤٨ م سياسة عدوانية ليس فقط بارتكاب مذابح قامت بها العصابات الصهيونية ضد العرب فى فلسطين ، بل وأيضا فى الأعتداء على الدول العربية الأسلامية المحيطة بفلسطين كالأردن ومصر وسوريا ولبنان منذ عام ١٩٤٨ ، مرورا بعام ١٩٥٦ م وعام ١٩٦٧ م حتى ١٩٧٣ م ، مستندة إلى التصريح الذى أصدرته كل من الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا وفرنسا فى ٢٥ مايو عام ١٩٥٠ بضمان حدود دول الشرق الأوسط ، والذى معناه ضمان حدود إسرائيل وتهديد للعرب إذا حاولوا مهاجمتها [٢].

إذا كان هذا هو الخطر الصهيونى على الإسلام والمسلمين ، فكيف لهم مواجهة هذا الخطر؟ فى رأيى أن هذا يأتى بوحدة المسلمين الذين تهفو نفوسهم إلى أولى القبلتين فى القدس الواقعة تحت سيطرة إسرائيل ، وحدة على الأقل فى الهدف وإن اختلفت الوسائل ووضع الخطط والإمكانيات الكفيلة بتحقيق مثل تلك الوحدة موضع التنفيذ ، ودراسة أساليب الصهيونية لكى يتمكن المسلمون من معرفة مخططاتها والإستعداد للرد عليها أو منعها من التحقيق ، وذلك من خلال معرفة المسلمين لإمكانياتهم ومدى ما يمكن أن يقدموه لتحقيق هدفهم .

كذلك يمكن للمسلمين عن طريق التآخى والتكاتف والعمل المنتج تربية شباب مزود بفلسفة روحية خلقية وعملية تؤهلهم ليس فقط لمقاومة الخطر الصهيونى بل والخطر الإستعمارى الذى يتخذ حاليا أشكالا ثقافية واقتصادية ، وأن يتزود هذا الشباب بالعلم الحديث والأساليب الحديثة فى الأقتصاد والاجتماع ، والتخلى عن الأساليب القديمة البالية ، هذا إلى جانب الأخذ بمبدأ الدفاع عن النفس انطلاقا من أن خير وسيلة للدفاع عن النفس هى الهجوم ، ولتحقيق ذلك يمكن الأخذ بما يلى :

١- أن يدرك العرب والمسلمون ويفهموا بصورة جلية حقيقة الخطر الصهيونى ، وأن هذا الخطر لن يقتصر على فلسطين وحدها بل إنه يشمل البلاد العربية الإسلامية كلها .

٢- أن يتعاون العَرب فى داخل فلسطين وخارجها على شراء أراضى فلسطين بحيث لا يمكن بيعها إلى الصهيونيين فى المستقبل .

٣- أن يتمسك العرب تمسكا شديدا بكل التصريحات التى تضمن لهم حرياتهم وحقوقهم كاملة مما صرح به الرجال المسئولون فى الديموقراطيات الغربية الكبرى وهيئة الأمم المتحدة .

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ١٧٢ .

٤- أن تشترك البلاد العربية والإسلامية بالتعاون مع عرب فلسطين فى إنشاء مراكز كبرى للدعاية والتنوير فى أوروبا وأمريكا ، وبيان أن ما شكوى للعرب اليوم إلا من الصهيونية السياسية الإعتدائية التى جاءت لتحتل لب البلاد العربية ولتخنق الأمة العربية وهى فى بدء نهضتها الجديدة [١].

٥- استخدام المؤتمر الإسلامى ومؤتمرات عدم الإنحياز والوحدة الأفريقية ومنظمة تضامن الشعوب الأسيوية الأفريقية فى تأييد القضية العربية الإسلامية وقلبها فلسطين ونبضها القدس الشريف .

ما هو الحل ؟

إذا كانت تلك المشكلات التى تواجه المسلمين وتفت فى عضد الإسلام وتمنع الوحدة الإسلامية من أن تقوم لها قائمة ، فما هو الحل لمواجهة تلك المشكلات ؟ . لقد فشل الحلان الدخيلان على بلادنا المستوردان من عند غيرنا وهما الحل الليبرالى الديموقراطى ، والحل الاشتراكى فى كل مجالات الحياة ، لقد فشلا فى المجال الإقتصادى وفى مجال الحرية والطمأنينة للشعوب المسلمة ، وفى المجال العسكرى وفى المجال الأخلاقى وفى المجال العربى والإسلامى .. إذن لم يعد أمامنا سوى أن نقول مع القائلين أن الحل الإسلامى فريضة وضرورة[٢] إذا أريد للأمة الإسلامية أن تتخلص من مشكلاتها وتستعيد مكانتها الأولى .

وكيف تهتدى الشعوب الإسلامية مع حكامها إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فى كل نواحى حياتها ؟ لكى يتحقق ذلك لابد من شروط لإقامة المجتمع الإسلامى الكامل ، بمعنى أن تكون عقيدته إسلامية ومفاهيمه وأفكاره إسلامية ، ومشاعره ونزعاته إسلامية ، وأخلاقه وتربيته إسلامية ، وأن تكون قوانينه وتشريعاته إسلامية .. كيف ؟ [٣].

١- ضرورة قيام الدولة المسلمة حكومة وشعبا التى تقوم بحماية عقيدة الإسلام من أى عبث ، وإقامة الشعائر الإسلامية والإعانة عليها ، ولتوجيه أبناء المجتمع توجيها إسلاميا ، ولوضع التشريعات التى جاء بها الإسلام فى قوانين قابلة للتطبيق ، ولتنظيم فريضة الجهاد بتدريب المسلمين وشراء الأسلحة وتنظيم الصفوف .

٢- اتخاذ الإسلام مصدرا وحيدا للتشريع ، فمثلا إذا قال الإسلام أن المسلمين أمة واحدة وأن المؤمنين أخوة ، وأن الرابطة الإسلامية فوق الرابطة القومية والوطنية . فالحل الإسلامى هو

١- د. محمد فاضل الجمالى : المرجع السابق ص ٩٦ -١٠٣ .

٢- د . يوسف القرضاوى : الحل الإسلامى فريضة وضرورة ص ٦ - ١٥ .

٣- نفس المصدر ص ٢٧ .

الذى يقيم سياسته العملية على الولاء لأمة الإسلام والعداء لأعداء الإسلام ، والعمل الجاد المخلص على إعادة الوحدة الإسلامية .

٣- أن يكون تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا شاملا لا يقبل التجزئة ، بمعنى أن يتصدى الحل الإسلامى لكل مشكلات الحياة ، وعدم أخذ بعض أحكام الله دون بعض .

٤- لا يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية إلا إذا أخذت باسم الإسلام وتحت عنوان الإسلام لا باسم الاشتراكية أو الرأسمالية .

٥- أن يكون الإسلام غاية لا وسيلة ، وأن يكون المنتهى لكل الأنظمة والمناهج والوسائل والإمكانيات لتطبيقه . ولا يتخذ وسيلة لتثبيت حكم معين أو للدعاية لبلد أو لأسرة أو لحزب أو عهد أو نظام أو مذهب [1].

١- نفس المرجع السابق ص ٦٩ - ٩٦ بتصرف .

الفصل الرابع
الحركات الإسلامية

الدعوات السلفية :

أولا : أصحاب الدعوات .

ثانيا : ظروف العالم الإسلامى

ثالثا : الفكر الدينى المتكامل للدعوات السلفية .

رابعا : المضمون الاجتماعى عند الدعوات السلفية .

خامساً : الاتجاهات السياسية فى الدعوات الفلسفية .

سادسا : تقييم الدعوات السلفية .

الجامعة الإسلامية :

أولا ظروف العالم الإسلامى .

ثانيا : الشخصيات التى ارتبطت بفكرة الجامعة الإسلامية .

ثالثا : فكرة الجامعة الإسلامية .

الطرق الصوفية :

- مقدمة عن التصوف .
- الطريقة القادرية .
- الطريقةالشاذلية .
- الطريقة التيجانية .
- الطريقة السنوسية .

الدعوات السفلية

أطلق تعبير «الدعوات السلفية» على كل من الدعوة الوهابية ، والدعوة السنوسية، والثورة المهدية بسبب ما أتت به من مبادئ تدعو إلى عودة المسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح منذ زمن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذه الدعوات وإن اختلفت مناطق إنبعاثها وتعددت أساليبها إلا أنها ذات مبادئ موحدة وأهداف متشابهة وكلها استفادت من جهود العلامة «أحمد بن تيمية» فى مواجهة الخارجين على جوهر الدين الإسلامى «كالباطنية» التى اتخذت ما عرف بمبدأ الإشراق الإلهى ومعناه أن المعرفة تشرق على أئمتهم فتسمو بهم إلى مرتبة لاينالها غيرهم، أى أن الله يفيض عليهم نور المعرفة فتنكشف لهم الحقائق فيعرفون بواطن الأمور وظواهرها ، وكفرقة «النصيرية» التى أعانت التتار على محو الإسلام [١]. كما رأى ابن تيمية أن الجهلة من عامة الناس ينحتون فى الصخور أقداما وأكفا يدعون أنها للنبى محمد عليه الصلاة والسلام فيقدسونها ويتباركون بها أو يصنعون أصناما يسجدون لها .

ومن ثم وجه «ابن تيمية» دعوته بالرجوع إلى القرآن والسنة واتباع السلف الصالح فى فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين لأنها لاتتفق مع الروح السلفية القديمة ، ومحاربة البدع والمنكرات ولاسيما ما كان منها وسيلة للشرك بالله وترك الغلو فى تقديس الرسول صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاقتداء بهديه [٢]. وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ولعن من اتخذ من القبور مساجد ، فقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله زائرات القبور» ، وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ، لهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم لاتجعل قبرى وثنا بعدى [٣].

١- د. محمد بديع وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ص٩ .

٢- حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص٢٩٠ .

٣- ابن تيمية : كتاب الزيارة من مجلد الجامع الفريد ص٤٣٧ .

ويجب أن يكون واضحًا إذن من البداية أن دعوة التوحيد التى نادى بها العلامة «أحمد بن تيمية» كانت عاملا مشتركا لكل الحركات الدينية الأخرى، كما كانت هناك عوامل أخرى اشتركت الدعوات السلفية فى التأثر بها مما يجعلنا نعتقد بوحدة هذه الدعوات فى الهدف وفى المصير[١]، خاصة أن هذه الدعوات جاءت فى الوقت الذى كان الوطن العربى يخضع للسيادة العثمانية التى فرضت على العرب عزلة وجمودا فكريا جعلت الإسلام فى الأقطار العربية وخاصة بين الأطراف مشرب بالمساوئ التى لاتمت إلى الدين الصحيح بنسب [٢].

ويمكن أن نحدد فى البدء عوامل التشابه بين الدعوات السلفية الثلاث على النحو التالى :

أولا : أصحاب الدعوات :

تنتسب الدعوة الوهابية إلى العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما تنتسب الدعوة السنوسية إلى الشيخ محمد بن على السنوسى ، والدعوة المهدية إلى الشيخ محمد أحمد بن عبدالله الملقب بالمهدى المنتظر ، فوجه الشبه الأول جاء فى التسمية باسم «محمد» تيمنا باسم رسول الإسلام، كما يتشابه أصحاب الدعوات السلفية الثلاث فى المكونات الشخصية ، «فمحمد بن عبد الوهاب» ينحدر من أصول عربية تنتهى به إلى «مضر» وهى بطن من بطون تميم أكبر القبائل العربية وأعزها [٣].

كما أن محمد بن عبد الوهاب شب فى بيت علم ودين فقد شغل والده منصب القضاء فى «العيينة» وغيرها من مدن نجد وكان متفقها فى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، الذى يقوم على تدريسه مع الحديث والتفسير لطلاب العلم الذين كانوا يمضون الوقت فى جدل فقهى أو نقاش دينى، وكان الطفل محمد بعد أن شب وأصبح صبيا يحلو له أن يراقب مجلس أبيه عن كثب فينصت لأحاديث القوم ومجادلاتهم [٤]، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال زوجه أبوه وجعله يؤم المصلين وأخذ يسترشد بآرائه فيما يعترضه من فتاوى ومسائل فقهية حتى كان

١- د. رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، ص١٨٧ .

٢- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٥٤٩ .

٣- عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ص٤٥ .

٤- د. عبد الحميد البطريق : الوهابية دين ودولة ، مجلة كلية البنات ص٤٢ .

والده يقول عنه لقد استفدت من ولدى محمد فوائد شتى فى الأحكام [١].

كما أسهمت عدة أمور فى تحديد شخصية محمد بن عبد الوهاب ، فإلى جانب نشأته الدينية وذكائه العقلى كانت معيشته فى بيته بدائية وهى بيئة ليست معقدة ولكنها واضحة مكشوفة والناس فيها على الفطرة يسهل التأثير فيهم سلبا أم إيجابا [٢]، ورحلاته داخل نجد وخارجها إلى الحجاز والعراق حيث درس على أيدى أفذاذ وشاهد ما يرتكبه البعض من تصرفات ينكرها الإسلام سواء حول قبر الرسول عليه الصلاة والسلام أو حول مزارات الشيعة فى كربلاء والنجف الأشرف فدخل فى مجادلات منها كما يذكر «أن أناسا من مشركى البصرة يأتون إلى بشبهات يلقونها على فأقول وهم قعود لدى، لاتصلح العبادة كلها، إلا لله فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه [٣].

وأما «محمد بن على السنوسى» الذى ينتهى نسبه إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤]، والذى يختصر اسمه السنوسيون ليصبح : محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى الادريسى [٥]، عربى الأصل قرشى النسب ينتمى إلى البيت النبوى الشريف ولد ببلدة مستغانم بالجزائر فى ١٢ ربيع الأول ١٢٠٢ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٧٨٧م فى بيت علم ودين فوالده وجده وأعمامه وأبناء أعمامه وكثير من نساء هذا البيت الكريم مثل جده محمد بن على السنوسى لأبيه السيدة الزهراء وعمته السيدة فاطمة كانوا علماء[٦] .. وهو فى هذا يشبه محمد بن عبد الوهاب .

١- حسين بن غنام : تاريخ نجد ص٤٥ .

٢- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٠١ .

٣- حسين بن غنام : المرجع السابق ص٢٨ .

٤- مصطفى بعيو : دراسات فى التاريخ اللوبى ص٢٠ .

٥- محمد بن على السنوسى : الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية .

٦- د. محمد فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة ص١١ .

كما أن شخصية محمد بن على السنوسى تكونت فى هذا البيت الدينى وتأثرت بما تعلمه فى معاهد العلم بمسقط رأسه وفى جامع القرويين بمدينة «فاس» المغربية، وفى جامع الزيتونة بتونس وفى الجامع الأزهر بمصر وفى الحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة ، وهذا يعنى أن رحلات محمد بن على السنوسى من الجزائر إلى المغرب وتونس وطرابلس الغرب ومصر والحجاز قد أكسبه معرفة واسعة بأحوال المسلمين ، فإلى جانب دراسته للطرق الصوفية القادرية والشاذلية والناصرية والحبيبية [1]، المنتشرة فى شمال أفريقيا اصطدم بالحكم التركى فى مصر الذى كان على رأسه محمد على وهاجم تركيا لأنها تحتقر الجنس العربى وتولى على العرب حكاما من الأتراك ، ونعى على علماء الأزهر تأييدهم لولاية محمد على ولم يكن والى مصر ليرحب بمحمد بن على السنوسى ، ولعل موقف علماء الأزهر منه- حين طلبوا من طلاب العلم الابتعاد عن حلقاته التى عقدها بالجامع الأزهر- موقف موعز به [2]. ولما انتقل إلى الحجاز وجد عنتا من أشراف مكة ومن العثمانيين هناك، وعندما عاد من الحجاز إلى الجزائر ساءه وقوع بلاده الجزائر تحت الاحتلال الفرنسى عام ١٨٣٠م فتأثر كثيرا واختار برقة منطلقا لدعوته الشاملة، وهو فى هذا يشبه محمد بن عبد الوهاب .

وينتسب «محمد أحمد بن عبدالله» الذى لقب نفسه بالمهدى المنتظر ، والذى ولد بجزيرة «لبب» جنوب مدينة دنقلة بشمال السودان فى ١٢ أغسطس ١٨٤٤م، إلى القبائل العربية الذين اختلطوا بالدماء النوبية، ويذهب البعض إلى أن أصله مصرى وأن موطن أسلافه فى مديرية أسوان [3]، وعلى أية حال فإن انتمائه إلى قبائل الكنوز النوبيين وانحداره من الكنوز كان له أهمية خاصة فى حياته ، فالكنوز ينتمون إلى آل البيت ، ومن هنا كان انتساب محمد أحمد إلى البيت النبوى، وكان لنسبه هذا أثر كبير فى نجاح دعوته وتأليف القلوب من حوله[4] ... إذن فهو عربى قرشى مثل محمد بن على السنوسى .

١- د. نقولا زيادة ليبيا ... ص٦٤ .

٢- مصطفى بعيو : المرجع السابق ص٢٤ .

٣- عبد الرحمن الرافعى: مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص١١٥ .

٤- د. حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ص٤٠٣ .

وقد تكونت شخصيته منذ الصغر حيث ولد فى بيت يعمل راعيه - عبد الله والد محمد أحمد- بصناعة السفن النيلية إلا أنه اتجه نحو العلم فدخل خلوة [١] القرية حيث تعلم وحفظ القرآن الكريم، وأخذ يتنقل فى أنحاء السودان لحضور حلقات العلم التى يقيمها علماء الدين فى الخرطوم وبربر والجزيرة، ويتتلمذ على أصحاب الطرق الصوفية المنتشرة فى السودان ، فانضم إلى السيد «محمد الشريف نور الدايم» شيخ الطريقة «السمانية»[٢] الذى سمح له بتكوين مريدين له رغم صغر سنه ، وكان ذلك مما ساعده على التمرن فى الوعظ والارشاد[٣]. ومن ثم اتجه فى النيل الأبيض حتى جزيرة «آبا» (عام ١٨٧١م) ذات الغابات المتشابكة وكان يسكنها عدد قليل من العرب الرحل وأنفار قلائل من «الشلك» وهم سكانها الأصليون[٤]، وذلك من خلال رغبته فى العزلة والبعد عن جو الخرطوم للاختفاء بعيدا للتأمل والتعبد .

وقد تعددت ارتباطات محمد أحمد برجال الدين السودانيين، فإلى جانب تعلمه على يد الشيخ «محمد الشريف نور الدايم» الذى أخذ محمد أحمد عنه مزيدا من الدروس فى العلوم الشرعية والتصوف، تعلم محمد أحمد على يد الشيخ «محمد الخير» ما استطاع أن ينهله من علوم النحو والتوحيد والفقه والتصوف ، كما تعلم على يد الشيخ «القرشى ود الزين» بأرض الجزيرة أصول أوراد وأذكار الطريقة السمانية ، ولم تطل إقامة محمد أحمد كثيرا مع استاذه الشيخ القرشى بسبب وفاة الأستاذ فعاد إلى جزيرة آبا لكى يستكمل بناء أسس دعوته ، ولاشك أن هذا الترحال ودخوله فى إحدى الطرق الصوفية ثم خروجه منها كان أحسن وسيلة للدعاية له ولفكرته وللعمل على تكوين جماعة جديدة تأتمر بأمره وتنفذ إرشاداته[٥].

وقد ساعده ترحاله كذلك على معرفة أحوال السودانيين وما يعيشون فيه من ضلال وبدع إلى جانب تفشى الجهل والفقر بينهم، والفساد الذى عم إدارة الحكم فى السودان مما جعله

١- الخلوة تعنى المدرسة القرآنية أو الزاوية التى يحفظ بها طلاب العلم القرآن الكريم ويتعلمون بعض العلوم العربية .

٢- إحدى الطرق الصوفية التى ظهرت فى المدينة المنورة ونقلها إلى السودان جد الشيخ محمد الشريف .

٣- د. جلال يحيى: الثورة المهدية .. ص٢١ .

٤- د. مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص٢٥٣ .

٥- . جلال يحيى : المرجع السابق ص٢٢ .

يرفض تناول الطعام مع شيخه الذى يتناول مرتبا حكوميا من الذرة والمال، لأنه يرى أن مثل هذا الطعام قد لايخلو من الدخل الحرام، ومن ثم عاش عيشة الزهد يذهب فى بهيم الليل للصيد الحلال على شاطئ النهر لاصطياد السمك، ويلقى فى سبيل ذلك من النصب ما يلاقى قبل أن يقع السمك فى سنارته [١]، كما أنه اشتغل بجمع الخشب وبيعه إلى جانب دراسته الدينية[٢]. كل ذلك جعل من محمد أحمد شخصية زاهدة ساعدته على التعمق فى أمور الدين والدنيا ويفكر فى الكيفية التى تصلح بها أحوال المسلمين فى الاتجاهين الدينى والدنيوى[٣]. وهذا يتشابه مع أصحاب الدعوتين الوهابية والسنوسية .

ثانيا : ظروف العالم الإسلامى :

لايقتصر تشابه الحركات السلفية على شخصيات أصحابها ، بل يمتد هذا التشابه إلى نواحى أخرى منها ظروف العالم الإسلامى بصفة عامة ومواقع انبعاث تلك الدعوات بصفة خاصة ، تلك الظروف المتشابهة فى البيئة الطبيعية وفى الأمور الدينية والأحوال الاجتماعية والأوضاع السياسية ، التى عاشتها الأقطار العربية الإسلامية تحت الحكم العثمانى لمدة بلغت أربعة قرون .

أ- الظروف الجغرافية :

فظروف البيئة الطبيعية متشابهة فى كل من نجد مركز انبعاث الدعوة الوهابية وفى برقة مركز ظهور الدعوة السنوسية وفى السودان مقر انطلاق الدعوة المهدية، وظروف البيئة الطبيعية تشمل السطح والموقع وغيرها من العوامل الجغرافية كما تشمل السكان فى هذه البيئة .. وتتوسط نجد شبه الجزيرة العربية وهى هضبة يغلب عليها الطابع الصحراوى الجاف وإن ضمت كثيرا من الوديان والواحات «وادى حنيفة» و «وادى الرمة» وهذه المناطق الخصبة تحيط بها الدهناء شرقا وجنوبا ، والنفوذ والمنحدرات من الشمال ، ومنحدرات من الغرب [٤].

١- د. مكى شبيكة : المرجع السابق ص٢٥١ .

٢- د. ابراهيم العدوى : يقظة السودان ص٤٩ .

٣- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٣٠٦ .

٤- حافظ وهبة : المرجع السابق ص٣ .

ومع اتساع هضبة نجد فإن القسم المأهول منها لايتعدى سلسلة ضيقة من الواحات ممتدة على شكل هلال تحف بها الرمال من كل جانب وتفصل ما بينها أحيانا، فهى محدودة من الجنوب بصحراء «الربع الخالى» ومن الشرق «بالدهناء» ومن الشمال «بالنفوذ الكبير» ومن الغرب «بأنفاد السر» و «البطر » و«قنفيذة» [١]. والمنطقة بصفة عامة صحراوية وحيث توجد الآبار بقدر كافى من الماء ظهرت مدن وقرى تحاط بالبساتين، وهذه على أية حال كثيرا ما تكون متباعدة بحيث تبدو مجرد نقط على خريطة بلاد العرب. ودون أن تربط بعضها ببعض منطقة زراعية [٢].

وإذا كانت نجد تعيش طبيعيا بهذه الصورة الصحراوية بكل ما تشتمل عليه من رمال وهضاب وصخور ووديان وواحات ، فالحرارة فى نجد تشتد فى النهار بينما تزداد البرودة ليلا، والجو جاف ، والأمطار قليلة بصفة عامة وأكثر مناطق نجد حظا من الأمطار مناطق جبال «شمر» و«النفود الشمالى» ، بينما الصحراء الجنوبية تكاد لاتسقط بها الأمطار [٣]. ومن الطبيعى أن تؤثر هذه الظروف على حياة السكان .

وكانت برقة مقر انبعاث الدعوة السنوسية صورة أخرى للصحراء بظروفها الطبيعية، فبرقة أحد أقاليم ليبيا الثلاثة (برقة ، طرابلس، فزان) بل إنها أكبر هذه الأقاليم من حيث المساحة (٧٠٠ ألف كم٢) وإن لم تكن أكثرها سكانا ، ويمتد هذا الاقليم من «عقبة السلوم» شرقا إلى حدود طرابلس غربا، وكان يعرف عند الرومان باسم إقليم «سيرينة» التى سماها العرب «قيرين» أو «قرناء» ، ثم أصبح يعرف منذ الفتح العربى باسم اقليم برقة [٤].

وسطح برقة متنوع حيث يوجد سهل ساحلى يضيق أحيانا ويتسع أحيانا أخرى، وإلى جانب هذا السهل الساحلى يوجد الجبل الأخضر الذى يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالى ألف متر وتكسوه الخضرة الدائمة ، ويرتفع من الساحل إرتفاعا مباشرا ولكنه ينحدر تدريجيا نحو

١- د. عزة النص : أحوال السكان فى العالم العربى ص٦٥ .

٢- الليدى آن بلنت : رحلة بلاد نجد ص٢٠٧ .

٣- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص١٩٢ .

٤- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٨ ص٢٨٢ .

الصحراء فى الجنوب ، وبه من الأراضى الصالحة للزراعة المساحات الكبيرة التى ترويها مياه الأمطار الغزيرة خاصة فى فصل الشتاء[١].

وإلى الجنوب من الجبل الأخضر توجد الصحراء الواسعة التى تكون معظم مساحة الاقليم ، وهذه الصحراء مستوية وإن وجد بها بعض الكثبان والهضاب فهى مستوية أيضا ، وفى صحراء برقة توجد أودية عميقة بعضها يمتلئ بالماد فترة ما وبعضها يكون جافا طول السنة[٢]. كما توجد بعض الآبار والينابيع المتناثرة وسط الصحراء تحيط بها واحات فقيرة مثل «الجغبوب» و«الكفرة» و«جالو» و«أو جلة»[٣].

والمناخ فى برقة يتنوع بتنوع السطح والموقع فالسهل الساحلى والجبل الأخضر كلاهما يتمتعان بمناخ معتدل لوقوع الأول على البحر المتوسط ولارتفاع الثانى عن سطح البحر ، كما تسقط الأمطار بغزارة على السهل الساحلى والجبل الأخضر فى معظم شهور السنة فيما عدا فصل الصيف، أما المناخ فى الصحراء الواسعة الواقعة إلى الجنوب من الجبل الأخضر فيتسم بأنه مناخ صحراوى أى شديد الحرارة نهارا شديد البرودة ليلا، ونادرا ما تسقط الأمطار هناك، ولذلك يتبعثر السكان فى الصحراء حيث توجد الواحات وعيون الماء بينما يتركون فى الجبل الأخضر والسهل الساحلى.

وبهذا الشكل يمكن ملاحظة التشابه بين ظروف نجد الطبيعة وظروف برقة الطبيعية وهو تشابه لايصل إلى حد التطابق ، وإن وجد خلاف فى هذه الظروف فإنما يرجع إلى اختلاف موقع برقة وخاصة الجزء الشمالى منها المطل على البحر المتوسط - عن موقع نجد الجغرافى ، ومن ثم يختلف المناخ بين نجد وبين الجزء الشمالى من برقة ، ويتشابه فى الصحراء البرقاوية مع الصحراء النجدية .

وأما السودان فإن ظروفه الطبيعية لاتختلف كثيرا عن ظروف نجد الطبيعية فإذا كانت دنقلة التى ولد بها محمد أحمد وعاش فيها سنوات عمره الأولى تقع فى إقليم صحراوى نادر

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٥٤ .

٢- د. فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية لأفريقيا ص٣٣٨ .

٣- د. عزة النص : المرجع السابق ص٧٦ .

المطر بشمال السودان وتسكنه الجماعات الحامية كالنوبيين الذين اختلطوا بالعرب وتأثروا بهم، فإنه إلى الجنوب من دنقلة نجد السودان الأوسط حيث المناخ الصحراوى يسود أيضا مع سقوط أمطار فى شهرى يوليو وأغسطس ويسكنه العرب الذين يحتلون دارفور وكردفان والخرطوم والنيل الأزرق والأجزاء الجنوبية من «كسلا» [١].

وقد اتخذ محمد أحمد من جزيرة «آبا» فى النيل الأبيض مقرا لدعوته وهى جزيرة ذات غابات كثيفة ، ثم انتقل منها إلى جبل قدير بكردفان الجنوبية ثم إلى كردفان الأوسط «فدارفور» وكلها تقع فى غرب السودان ، وهى مناطق صحراوية، حيث تمتد هضبة كردفان التى ترتفع بحوالى ٥٠٠ متر عن مستوى سطح البحر وتعلوها عدة جبال منفردة تتجمع فى الجنوب باسم جبال النوبا، وترتفع هضبة كردفان تدريجيا إلى الغرب حتى تصل إلى هضبة دارفور التى تسيطر عليها كتلة جبل «مرة» البركانية، ودرجة الحرارة عالية طول السنة وبلا جدال فإن الصحراء أكثر الأجزاء حرارة ، وأمطار غرب السودان موسمية وتسقط كلها فى فصل الصيف [٢].

وهكذا تتشابه ظروف غرب السودان مع ظروف نجد وظروف صحراء برقة من حيث السطح وقلة الأمطار وموارد المياه ، وبالتالى يتبعثر السكان فى غرب السودان كما هو الحال فى نجد وصحراء برقة .

(ب) الظروف الاجتماعية :

تتشابه الأحوال الاجتماعية للعرب فى كل مكان إنطلاقا من امتداد الأرض العربية الإسلامية امتدادا مستمرا، وتشابه الأرض التى يعيشون عليها- كما رأينا- ومن هنا فإننا نلاحظ تشابها فى حياة سكان نجد مع سكان السودان بصفة خاصة ، ومع سكان بقية العالم العربى الإسلامى بصفة عامة ، فإذا أضفنا إلى ذلك وحدة الجنس الذى ينتمى إليه العرب والمسلمون ووحدة الثقافة القائمة على اللغة العربية والدين الإسلامى أدركنا هذا التشابه الذى أشرنا إليه فى أحوال العرب والمسلمين خاصة فى مواطن انبعاث الدعوات السلفية .

١- د. فيليب رفلة : المرجع السابق ص٢٩٢ .

٢- د. محمد رياض : أفريقيا .. ص٣٩٦ - ٤٠٠ .

كانت أحوال سكان نجد بل وشبه الجزيرة العربية عامة متأثرة بطبيعة الأرض التى يعيشون عليها وهى أرض صحراوية تقوم فى أنحاء عدة منها مدن صغيرة حول آبار المياه وبالقرب من الواحات ، ومن ثم وجدنا السكان ينقسمون إلى بدو وحضر ، فالبدو هم القبائل الرحل الذين ينتقلون من جهة إلى أخرى فى طلب المراعى والمياه لأغنامهم وإبلهم ، وهم لايميلون إلى الاستقرار ، وكثيرا ما يلجأون إلى التقاتل من أجل الحصول على أماكن غنية بالعشب لرعى ماشيتهم [١].

وكانت مسألة توفر المراعى والمياه للإبل والأغنام لاتحدث إلا بالرحلة والضرب فى المناطق المائية ، ولذلك صار كل تنظيم سياسى قائم على الاستقرار فى السكن أمرا متعذرا على البدوى. والصلة الدموية وحدها هى التى تعين الفلك الذى تضطرب فيه حياة البدو، فهى تربط الأسر بالعشائر والعشائر بالقبائل [٢].

والقسم الثانى من سكان المدن والواحات والقرى وهم أكثر استقرارا من البدو ، وإن كانوا فى الأصل من البدو وتوطنوا فى مساكنهم من قديم [٣]. ويشتغل الحضر فى معظمهم بالتجارة ، إلا أن التجارة فى الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية وحركة محمد بن عبد الوهاب فقدت أهميتها كمورد للرزق لبعض سكان نجد نظرا لفقدان الأمن وعدم استقرار النظام وانتشار الفوضى [٤].

وسكان نجد من البدو والحضر ينتظمون فى قبائل تحكمها الأعراف والتقاليد المتوارثة ، فإذا كانت القبائل البدوية سمتها عدم الاستقرار والتقاتل والإغارة على من جاورهم أو الهجرة إلى أرض جديدة فإن الحضر انتظموا فى مجموعة من الإمارات أو المشيخات التى تتفق مع القبائل البدوية فى الطباع الصحراوية حيث عاد السكان إلى مفاهيم الحياة البدوية الجاهلية التى كانوا عليها قبل الإسلام وعادت العصبيات القبلية تمزق المجتمع وتفتته ، وعاد الغزو والسلب والنهب ليكون مصدر العيش فى الصحراء [٥].

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص١٩٢ .

٢- كارل بروكلمان : المرجع السابق ص١٧ .

٣- حافظ وهبة : المرجع السابق ص٤٦ .

٤- د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ص٩ .

٥- أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ص١٢ .

والتنظيم القبلى- كما هو معلوم - يعطى لشيخ القبيلة السلطة الكاملة على كل أفراد قبيلته ، وهو فى العادة أكثر أفراد قبيلته ثروة وأكبرهم مركزا وسنا فى الغالب ، ولذلك يعد المسئول عن كل ما يلحق بقبيلته من إغارات القبائل الأخرى إلى جانب مسئوليته عن تنظيم الأمور المتعلقة بأفراد قبيلته مهما سكنوا فى مناطق متفرقة أو فى قرى وواحات متباعدة ، ومهما اختلفوا من حيث الثراء أو فى درجة التحضر ، فالكل أمام أعراف وتقاليد القبيلة سواء[1].

وقد تمسك أهل نجد بعادات العرب الأصيلة مثل المروءة والشجاعة ، ومنح الحماية للمسافر طوعا وعن طيب نفس ، وقد يضم أحد أفراد القبيلة رجلا غريبا إلى عشيرته ضما لا انفصام له[2] هذا إلى جانب علاج الخلافات اليومية عن طريق المجالس اليومية . والطاعة لشيخ القبيلة ، والاستماع إلى من هم أكبر سنا واحترام مجلسهم ، والتضحية بالروح أثناء الحرب وبالأموال أثناء السلم، وهم على العموم كما ذكر «أحمد بن سعيد البغدادى» فى كتابه «نديم الأديب» فى حديثه عن أهل نجد تلك الفترة بقوله : «ولئن كان بقايا من عوائد العرب القديمة وسننهم فهى عندهم » [3].

وأما قبائل وعشائر نجد فكانوا موزعين على النحو التالى : أهل «حايل» ينتمى أكثرهم إلى «شمر» وأهل «القصيم» يرجعون فى الغالب إلى «بنى خالد» و «بنى تميم» ، وأهل الجنوب ينتمون فى أنسابهم إلى «عنزة» ، وأهل الوسط إلى «الدواسر» و «بنى تميم» وأهل الجنوب الغربى ينتمون إلى «الدواسر» و«قحطان» [4]. وينتمى «محمد بن عبد الوهاب» لقبيلة «بنى تميم» ، بينما ينتسب آل سعود إلى قبيلة «عنزة» .

وأما قبائل برقة فقد عاشت نفس التنظيم القبلى العربى من حيث إنقسامها إلى عشائر وبطون وأفخاذ ، وللقبيلة أرض تملكها وتنتقل فى أرجائها ، وأفراد كل قبيلة متضامون فى

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص١٩٥ .

٢- كارل بروكلمان : المرجع السابق ص١٧ .

٣- عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ص٤٢ .

٤- حافظ وهبة : المرجع السابق ص٤٧ .

آداء ما عليهم من واجبات وفى الحصول على مالهم من حقوق ، ولكل قبيلة رئيس أو شيخ له الرياسة العامة على أفرادها. ومنذ أيام الفتح العربى الإسلامى حتى العصر الحديث كان الحكم فى برقة يأخذ القبيلة بعين الإعتبار فى تقسيم البلاد إلى وحدات إدارية ، بحيث تكون القبيلة أساسا لتطبيق النظام ومساعدة الحكام [١].

ولسنا بحاجة إلى الحديث بتفصيل عن معيشة القبائل العربية فى برقة ، حيث أن القبائل البدوية فى الصحراء العربية سواء فى المشرق- كما رأينا- فى نجد- أو فى المغرب العربى، يعيشون حياة غير مستقرة فيما عدا سكان الواحات والمدن الذين يتمتعون بالاستقرار . وقد اتضحت صورة التنظيم القبلى فى برقة منذ الفتح العربى الإسلامى، ثم عندما زحفت قبائل بنى هلال وبنى سليم من مصر إلى المغرب منذ القرن الخامس الهجرى- الحادى عشر الميلادى- فوجدنا هذه القبائل تنقسم إلى قسمين رئيسيين : القبائل «السعدية»، وقبائل «المرابطين» ، ويذكر البعض أن السعديين هم قبائل بنى سليم، وأما المرابطين هم بقية القبائل العربية اليمنية التى جاءت مع الفتح الإسلامى والتى اختلطت بالبربر وعربتهم ، وأن ثمة قبائل من المرابطين لها شرف فى النسب إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم [٢].

رغم أن إقليم برقة تميز بإنقسام سكانه إلى قبائل متنافرة تأثر أفرادها بالبيئة الصحراوية فقد اتصفوا بالقوة والخشونة والمحافظة على العادات والتقاليد العربية ، هذا إلى جانب أن الاقليم كان عدد سكانه قليلا بالنسبة لمساحته الشاسعة ، كما كان هذا المجتمع البرقاوى أكثر تجانسا فى تكوينه الجنسى وخلوا من الأقليات التى تفت دائما فى عضد الحركات الإصلاحية[٣].

وأما أحوال السودانيين الاجتماعية فإنها لاتختلف كثيرا عن أحوال النجديين والبرقاويين، إذ تسكن السودان الشمالى والأوسط قبائل عربية بصفاتها الاجتماعية المعروفة ، حيث أن القبائل السودانية وفدت إلى السودان من طريقين ، الطريق الأول هو الباب الشمالى الذى

١- مصطفى بعيو : المرجع السابق ص٣٣ .

٢- د. نقولا زيادة : المرجع السابق ص١٢ .

٣- د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٢٦ .

يفضى إلى مجرى النيل [١]، والطريق الثانى هو الباب الشرقى المنحدر من ساحل البحر الأحمر، عبرته الهجرات من شبه جزيرة العرب فى طريقها صوب الغرب إلى السودان الأوسط[٢].

وقد انقسمت هذه القبائل العربية الوافدة إلى ثلاث مجموعات : المجموعة الأولى هى مجموعة «الجعليين» وهى أكثر المجموعات العربية نفوذا وعددا فى السودان وقد انتشرت فى المنطقة الممتدة من وادى حلفا حتى جنوب أم درمان ، والمجموعة الثانية هى مجموعة «جهينة»، وهم عرب وفدوا إلى مصر أولا حتى إذا كان القرن الرابع عشر الميلادى اتجهوا جنوبا نحو السودان حيث استقروا فى شرقه وعلى حدود الحبشة وفى الجهات الشرقية والوسطى من كردفان ، والمجموعة الثالثة تعرف بإسم «الكواهلة» ومنازلهم فى العطبرة والنيل الأزرق وحول النيل الأبيض وكردفان فى الغرب [٣].

ورغم إنقسام أهل السودان إلى قبائل وعشائر إلا أن نهر النيل قد ساعد على استقرار كثير من هذه القبائل وحول حياتها من الرعى والتنقل إلى الزراعة والاستقرار ، ومع ذلك فقد بقيت خارج المدن والقرى التى سكنها المستقرون حياة لغير المستقرين الذين اتخذوا من شرق السودان وغربه مقرا لهم يمارسون فيه حياتهم القبلية البدوية بكل أبعادها من رعى وتقاتل وخضوع لزعامة القبيلة .

(جـ) الأمور الدينية :

كانت أحوال المسلمين الدينية متشابهة فى تلك الأزمان التى سبقت ظهور الدعوات السلفية، حيث غلب عليها إتباع البدع والخرافات بل والاستغاثة بغير الله، مما استدعى وجود مصلحين . فقد سيطر على أهل نجد سحبا من الخرافات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، فلو عاد صاحب الرسالة- محمد صلى الله عليه وسلم- إلى الأرض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدعى

١- د. حسن محمود : المرجع السابق ص٣٠٤ .

٢- د. محمد عوض : السودان الشمالى ص١٥٩ .

٣- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٣٠٠ .

الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان[١].

وعلى هذا كان التدهور فى المجتمع الإسلامى يسير بسرعة حتى أصبحت القيم التى أكسبها الإسلام لمجتمع شبه الجزيرة العربية قد اضمحلت واندثرت أو كادت ، واحتلت الضلالات والبدع والخرافات والأساطير فى نفوس العامة وغير العامة محل القيم الصحيحة للإسلام ومبادئه حتى أصبحت بعض الأشجار والكهوف والمغاور والقباب والقبور والأضرحة موضع قداسة وشفاعة أقرب إلى العبادة ، وحتى أضحت تعاليم الإسلام التى تضبط المجتمع وتحكم روابطه نسيا منسيا ، وكأن الإسلام لم يظهر فى شبه الجزيرة العربية ولم يترك أثرا حضاريا لا على رمالها ولا فى عقول أبنائها ونفوسهم [٢].

ولم تكن نجد تنفرد بمثل هذه الخرافات والبدع ، فقد شاركتها فيها بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التى تعرضت لمثل ظروف شبه الجزيرة العربية وأعنى الظلم والفقر والجهل، وهى ظروف ساعدت على كثرة الدجالين وأصحاب البدع ممن يجدون لبضاعتهم سوقا رائجة فى دنيا العوام وأشباه العوام [٣].

ونفس الشئ يمكن أن يقال عن أحوال أهل برقة الدينية ، ذلك أنه بحكم مرور السنين وإهمال المصلحين الدينيين لوظيفتهم قد جعلت البرقاويين يحيدون عن أصول الإسلام الصحيحة، وغير متفهمين للعقيدة وإنما مقلدين ، ومن ثم أصبحوا سائرين فى غيابات الضلال معرضين لخطر أصحاب النفوذ من شيوخ البدو فبنوا فى الجبل الأخضر بناء شبيها بالكعبة قصدوا به تقليد البيت الحرام ، وقد أراد مؤسسو هذه الكعبة الزائفة أن يدخلوا فى أذهان البدو أن زيارتهم لها تقوم مقام حج بيت الله الحرام [٤]. إلى غير ذلك من أعمال تنافى الدين كوأد البنات وعدم صوم رمضان بابتداع بدعة تقوم على الذهاب قبل حلول شهر رمضان بأيام إلى

١- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى، جـ١ ص٢٥٩ .

٢- أحمد عسه : المرجع السابق ص١٢ .

٣- عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ص٣١-٣٢ .

٤- أحمد حسنين : فى صحراء ليبيا ص٨٤ .

وادى «زازا» المعروف بقوة رجع الصدى وسؤاله أيصومون رمضان أم لا ؟ فيجب الصدى بالكلمة الأخيرة «لا» فيصبحون فى حل من الصوم ويفطرون [١]

وأما أمور السودانيين الدينية فلم تختلف عن أمور النجديين والبرقاويين، ذلك أن الإسلام عندما دخل إلى السودان على أيدى القبائل العربية لم ينتشر بين أهل البلاد بالتبشير أو الدعوة إلى الدين، وإنما انتشر بالوسيلة الاجتماعية والتسرب السلمى، بالاصهار إلى الشعوب المحلية، ثم امتصاص هذه الشعوب فى الدماء العربية الوافدة ، ثم اندماج هذه القبائل فى الحياة القبلية الجديدة[٢]. ودين القبيلة صاحبة النفوذ ، ثم ازدياد التيار الإسلامى عمقا بمضى الزمن [٣].

وقد ساعد على ذلك أن العرب فى كل بلد نزلوا فيها بعد الفتح الإسلامى لم يكونوا طبقة حاكمة متعالية ومنعزلة عن السكان الأصليين ، ولم يطالبوا بحكم ذاتى أو مملكة خاصة ولكن كانت لهم أحياؤهم الخاصة فى المدن الكبيرة ولهم قراهم الخاصة، والدلائل واضحة على أنهم فى بعض المناطق خضعوا لحكام البلاد [٤].

ونتيجة للانقسامات بين القبائل السودانية من ناحية وشيوع مظاهر الفقر والجهل ظهرت زعامات دينية صوفية متنافسة لاتهتم بأصول الإسلام وقواعده الأساسية ، مما ساعد على سواد العاطفة والخرافات بين السودانيين ، وجعل السودانيين ينسبون إلى رجال الدين المعجزات بل وقدسوهم أكثر من تقديس الأنبياء فى الوقت الذى ضعف فيه مستواهم العلمى فلم يك باستطاعتهم التمييز بين الخرافات والعقيدة الصحيحة[٥].

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٥٦-ص٢٥٧

٢- عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان جـ١ ص٢٥

٣- د حسن محمود . المرجع السابق ص٣٣٩

٤- د. مكى شبيكة . مملكة الفونج ص١٩

٥- Hilleson Anglo-Egyptian, Sudan, p 101

(د) الأوضاع السياسية :

عاش العالم العربى منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى وعلى مدى أربعة قرون تحت الحكم العثمانى المباشر وغير المباشر، ومن هنا تأثرت الأقطار العربية بسياسات هذا الحكم التى كان من أهمها فرض العزلة وحياة الجمود على المسلمين الذين قتلت فيهم روح الابتكار والتفكير ، ومن هنا تشابهت الأوضاع السياسية وإن لم تتطابق فى مواطن إنطلاق الدعوات السلفية الإصلاحية .

وتمثلت الأوضاع السياسية فى نجد قبيل ظهور الدعوة الوهابية فى وجود عدة إمارات صغيرة تتخذ كل إمارة منها مقرا لها فى بلدة من بلاد نجد، ولها أميرها الذى هو فى نفس الوقت زعيما لعشيرة أو رئيسا لقبيلة أو راعيا لأسرة له الكلمة المسموعة على أهل إمارته[1].

ومن الثابت أن إقليم نجد لم يخضع للحكم العثمانى كما خضعت أطرافه فى الحجاز والاحساء ، ومن ثم لم يشهد الاقليم ولاة عثمانيين يأتون إليه ولاحامية تركية تجوب خلال دياره [2]، ولقد تركت الدولة العثمانية هذا الاقليم لأهله يحكمونه بالطريقة القبلية المألوفة طالما لا يعلن أهله العداء للدولة، كما أن الإقليم كان فقيرا فلم يكن مغريا للعثمانيين .

وأما الامارات القائمة فى إقليم نجد فقد سادتها علاقات الجفاء، وكثيرا ما كانت الحروب تنشب بينها، وتكاد كل إمارة منها أن تكون منعزلة عن غيرها لاتربطها بها روابط سياسية معينة بحكم تجاورها ، ولم تكن الروابط التى تجمعها سوى العلاقات التجارية والجوار ووحدة الأصل ، وأشهر الأسر النجدية الحاكمة فى ذلك الوقت هى : «آل معمر» فى «العينية» و«دهام بن دواس» فى الرياض، ، و«آل زامل » فى «الخرج»، و«آل سعود » فى «الدرعية»[3].

أما أحوال إقليم برقة السياسية ، فقد خضع مع بقية أقاليم ليبيا منذ عام ١٥٥١ م للحكم العثمانى الذى سيطر على السواحل دون الدواخل، وعلى هذا أهمل إقليم برقة فلم يلق من

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص١٩٦ .

٢- ساطع الحصرى : الدولة العثمانية والبلاد العربية ص٢٣٩ .

٣- د. عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص١٣ .

عنايه الدولة العثمانية أو إشرافها المباشر ما يستحق من اهتمام حتى إذا حكمت الولاية الأسرة القرمانلية حاول أمراؤها السيطرة على كل الولاية بما فيها برقة، ثم عاد الحكم العثمانى المباشر ليجعل من برقة ولاية قائمة بذاتها عام ١٨٣٨م [١]

ولقد حاول الحكام العثمانيون جمع السلطة فى أيديهم ولكن أهل برقة لم يخضعوا للحكم الجديد ومن ثم حدثت ثورات فصدامات بين أهل البلاد والأتراك ، حتى بات الأتراك يتوقون إلى إزالة هذا الشر المستطير ووضع حد للصدام وذلك باستمالة زعماء العرب وأصحاب النفوذ فى البلاد ، فكانت هذه الرغبة من جانبهم السبب الأكبر والمباشر الذى دعا العثمانيين إلى الاعتراف بالسنوسية ليس فقط كدعوة وطريقة بل كإمارة وسياسة [٢].

وأما فى السودان فقد تكونت بعض الإمارات العربية الخاضعة لنفوذ غيرها أكثر قوة أو المستقلة بأمرها . وكان أشهر هذه الإمارات والسلطنات الإسلامية العربية سلطنتان إحداهما على النيل الأزرق أسسها «الفونج » فى «سنار» ومؤسس هذه السلطنة وعاصمتها زعيم الفونج «عمارة دونقس» أول القرن العاشر الهجرى (٩١٠هـ الموافق ١٥٠٥م) [٣]، والسلطنة الأخرى عرفت بسلطنة دارفور فى السودان الغربى، وقد ظل الفونج يعتمدون على مصر فى غذائهم الروحى ، فدرس نخبة من أبناء هذه الدولة فى الجامع الأزهر ، وعادوا إلى بلادهم ينشرون بها ما تلقوه من علوم ومعارف دينية إسلامية [٤]

ظل السودان مجزءا حتى تمت وحدة وادى النيل على يد محمد على أول العشرينات من القرن التاسع عشر ، وقد تم فتح أهم أجزاء السودان عام ١٨٢٥م، ثم استكمل الخديوى إسماعيل فتح بقية السودان ، وفى ظل الحكم المصرى أنشئت عاصمة للسودان هى مدينة الخرطوم عام ١٨٣٠م ، وغيرها من المدن ، كما استقر الأمن فى ربوع السودان ، مما جعل الناس ينصرفون إلى أعمالهم فى الزراعة والتجارة والرعى ، كما أن الحكم المصرى شجع

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٥٦ .

٢- د محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٢٦

٣- د مكى شبيكة : المرجع السابق ص٢٢

٤- د السيد رجب حراز . المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ص٢٤٨

العلماء والمستكشفين للقيام بالرحلات العلمية لكشف منابع النيل [١]، ولكن استعانة الحكم المصرى وخاصة فى عهد الخديوى إسماعيل بالأجانب فى عمليات الكشف وفى حكم أقاليم السودان كان له تأثير سئ على السودانيين وعلى الحكم المصرى، ومما أدى فى النهاية إلى تهيئة الجو الذى أتاح للفقيه محمد أحمد أن يعلن دعوته بالثورة ضد السلطة الشرعية ..

ثالثا : الفكر الدينى المتكامل للدعوات السلفية :

انطلقت الدعوات السلفية الثلاث من منطلق دينى استنادا على التكوين الدينى لشخصيات أصحابها وحيث كانت الظروف الدينية للمسلمين تستدعى مخاطبتهم من الناحية الروحية أولا لتطبيق البرنامج الشامل لكل دعوة . وهذا يعنى أنه كان لكل صاحب دعوة برنامجا شاملا فى النواحى الدينية والاجتماعية والسياسية . واختيار أصحاب الدعوات للجانب الدينى فى البرنامج لتنفيذه يدل على اعتبار أن إصلاح هذا الجانب فى نفوس المسلمين أساس لكل إصلاح ولكل ناحية .

والفكر الدينى عند أصحاب الدعوات السلفية (الوهابية ، السنوسية ، المهدية) متكامل ومتشابه ، وإن بدا بعض الخلاف فى ناحية أو أكثر من نواحى هذا الفكر فإنما يرجع إلى اختلاف فى الظروف المحيطة بصاحب كل دعوة أو بمدى طموحه فى تنفيذ برنامجه . والشئ الواضح فى فكر أصحاب الدعوات الثلاث هى الدعوة إلى رجوع المسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح من سلوك دينى منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ما يطلق عليه المنهج المدرسى أو المنهج الملتزم .

كانت الدعوة إلى التوحيد أو بمعنى أصح التمسك بوحدانية الله هى المبدأ الأساسى الذى دعت إليه كل حركة سلفية ، فيفسر محمد بن عبد الوهاب هذا المبدأ بقوله : إنى أدعو إلى الله وحده لاشريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرها[٢].

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٣٠٢ .

٢- حسين بن غنام : المرجع السابق ص٢١٥ .

وشرح محمد بن عبد الوهاب مبدأ التوحيد مستندا إلى ما جاء فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، فقال : إن الله ذكر فى القرآن الكريم كثيرا من الآيات الكريمة التى تنطق بوحدانيته كقوله : وأعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا ، وقوله : قل هو الله أحد ، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. والرسول الكريم يقول : من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل . وفى حديث عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال لى : يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئا . قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال «لاتبشرهم فيتكلوا»[١].

وقال أيضا عن التوحيد : إن التوحيد الذى دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم هو إفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولانبى مرسل فضلا عن غيرهم، فمن ذلك لا يدعى إلا إياه كما قال تعالى : وأن المساجد لله فلاتدعو مع الله أحدا، فمن عبد الله ليلا ونهارا ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ، ولم يشهد أن لا إله إلا الله هو المدعو[٢].

ويفسر عبارة «لا إله إلا الله» بأن معناها ترك كل معبود غير الله والتوجه إلى الله وحده. وأن العبادة إذا جعلت لغير الله صار ذلك الغير إلها مع الله وإن لم يعتقد الفاعل ذلك[٣].

أى أن معنى «لا إله إلا الله» - عند محمد بن عبد الوهاب- نفى صفة الألوهية عن كل المخلوقات وإثباتها لله وحده واعتمد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رأيه هذا على ما جاء بالكتاب والسنة ، فأضاف أيضا أن عبارة «لا إله إلا الله» هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، وهى كلمة التقوى وهى العروة الوثقى، وهى التى جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون . وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته[٤].

١- محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد ... ص٣٠٢ .

٢- حسين بن غنام : المرجع السابق ص٣٢٣ .

٣- حافظ وهبة : المرجع السابق ص٣٩٧ .

٤- محمد بن عبد الوهاب : ثلاثة عشر رسالة ص٢٦٠ .

ويرتبط بمبدأ التوحيد عند الوهابية محاربة الشفاعة المبتدعة أى الاستشفاع والاستغاثة بغير الله ، فيقول محمد بن عبد الوهاب : ليس ثمة فرق بين من يرجو البركة عند قبر ولى وبين من يعبد وثنا، كلاهما قد جعل بينه وبين الله شفيعا يرجى، وما كان كفار قريش الذين حاربوا دعوة التوحيد إلا على هذه الصورة ، كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق العظيم ، ولكن هناك آلهة دون الله يتصرفون وينفعون ويضرون ، إن هؤلاء الآلهة هى الطريق إلى الله ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [١].

ولاينكر محمد بن عبد الوهاب شفاعة النبى عيه الصلاة والسلام يوم القيامة ، بل إنه يعترف أيضا بشفاعة سائر الأنبياء والملائكة والأولياء أيضا ، ولكن محبة الأنبياء والأولياء الصالحين ليست بالتوسل بهم ولكن فى متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين [٢]، وأن تسأل الشفاعة من المالك لها وهو الله وإذنه فيها لمن شاء من الموحدين فيقال : اللهم شفع فينا نبينا محمدا يوم القيامة، اللهم شفع عبادك الصالحين أو نحو ذلك، وأما ما يجرى على ألسنة الناس من قولهم يا رسول الله أو يا ولى الله أسألك الشفاعة أو غيرها كأدركنى أو أغثنى أو نحو ذلك فإنه من الشرك ، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح[٣].

وأكد محمد بن عبد الوهاب أن الشفاعة كلها لله تعالى كما جاء فى القرآن الكريم : «قل لله الشفاعة جميعا » وأنها لاتكون إلا من بعد إذن الله ، كما قال تعالى : «من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ». ولايشفع فى أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه كما قال سبحانه وتعالى : «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» [٤]. ومع ذلك فإن محمد بن عبد الوهاب لاينكر زيارة قبور الأنبياء والأولياء والموتى عامة ولكن بشرط أن تكون هذه الزيارة للدعاء للميت واتعاظ الزائر، على أن تراعى فيها الطريقة التى سنها النبى صلى الله عليه وسلم للزيارة [٥].

١- محمد بن عبد الوهاب : كتاب كشف الشبهات .. ص٢٢٠- ص٢٢٢ .

٢- حسين بن غنام : المرجع السابق ص٢١٣ .

٣- حافظ وهبة : المرجع السابق ص٢٩٧ .

٤- محمد بن عبد الوهاب : كشف الشبهات ... ص٢٣١ .

٥- حافظ وهبة : المرجع السابق ص٢٩٧ .

وألا تبنى عليها قباب وأضرحة ومساجد ، وعدم خروج النساء خلف الجنائز إلى القبور وعمل احتفالات سنوية عندها خاصة قبور الأنبياء والأولياء وما يحدث فيها من رقص وتمايل وشطحات وغير ذلك من الأعمال المحرمة أصلا ونهى محمد بن عبد الوهاب عن استحداث بدع فى الشرع الإسلامى عملا بقوله صلى الله عليه وسلم «من استحدث بدعة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة» .

وأكمل محمد بن عبد الوهاب برنامجه الدينى بالدعوة لفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لكل مقتدر عليه مستوف لشروطه من علماء المسلمين لتحقيق الإبداع فى التشريع لمواجهة متطلبات العصر والمشكلات التى تواجه المسلمين وليس لها من نص صريح فى القرآن والسنة وآثار السلف الصالح يعالجها ، وجاءت دعوة محمد بن عبد الوهاب هذه استناداً إلى أن الله وحده هو الذى يحلل ويحرم ، وأن كلا المتكلمين فى العقائد وكلام الفقهاء فى التحليل والتحريم ليس حجة علينا ، والحجة الوحيدة هى فى القرآن والسنة منهما تستنبط الأحكام وفيها فطنة العقائد [١]. ورغم أن الإمام أحمد بن حنبل كان مذهبه نبراس محمد بن عبد الوهاب فى استنباط الأحكام إلا أنه أعتبر الأئمة الأربعة دون المعتزلة والشيعة والمتصوفين هم من تؤخذ أحكامهم .

وكان الفكر الدينى عند السنوسية لايختلف فى جوهره عن فكر الوهابية الدينى حيث تمثل فى الدعوة إلى الرجوع بالمسلمين والدين الإسلامى إلى ما كان عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده ، ولذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الأصلين اللذين يصح الاعتماد عليهما فى فهم الإسلام دون الإجماع والقياس المتأخرين [٢].

ولم تكن هذه الدعوة الإصلاحية تدعو إلى الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه فى أيامه الأولى فقط، بل قرن صاحب الدعوة بضرورة العمل بالقرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة قرن ذلك بعدم الاكتفاء بالأذكار والأوراد- كما تسير الطرق الصوفية- أو الاعتماد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل الجدى ومراعاة أحكام الشريعة الإسلامية فى الأعمال الخاصة والعامة كما كان العهد فى أيام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده[٣].

١- د. محمد بديع شريف : المرجع السابق ص٢٩٩ .

٢- د. نقولا زيادة : المرجع السابق ص٧٠ .

٣- مصطفى بعيو : المرجع السابق ص٣٦ .

وكان معنى هذا أن السنوسية تدعو إلى تطهير الإسلام من البدع والخرافات التى علقت به، وذلك يتم بالعودة إلى أصول الإسلام الأولى ، والبعد عن الحركات المسموح بها فى الطرق الصوفية كالغناء والرقص وإظهار الكرامات والمعجزات أو الشطح والتمايل ، وأيضا الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كأصلين للدين الإسلامى ، إلى جانب عدم الشرك بالله لأنه جلت قدرته الواحد الأحد ، ويتم ذلك بعدم التضرع إلى الأولياء أو الشخوص الحجرية التى لاتنفع ولاتضر ولأن ذلك ينهى الله عنه [1].

وتضمن الفكر الدينى للسنوسية - كما هو الحال عند الوهابية- كذلك اعتبار باب الإجتهاد ما زال مفتوحا ، ومن ثم يجوز الاجتهاد فى مسائل الدين الإسلامى التى تواجه المسلمين بشرط أن يراعى المجتهد أصلى الدين الإسلامى الوحيدين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والأحكام التى نصا عليها. والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد التى سبقه إليها كل من «أحمد بن تيمية» و «محمد عبد الوهاب» لها ما يبررها خاصة وقد تحجرت الأفكار عند علماء المسلمين بسبب اتجاههم نحو التقليد دون التجديد .

ورغم أن محمد بن على السنوسى قد درس الطرق الصوفية المنتشرة على مسرح الحياة الدينية الإسلامية فى العالم العربى، فإنه خالف المتصوفين الذين يبالغون فى أشكال الحماسة الخاصة بالذكر ، وقصر الذكر فى دعوته على اسم الجلالة وجعل لها ما يعرف باسم «الورد » ، ومنع الاستعانة بالدفوف والمواكب والحركات العنيفة التى ترمى إلى ازدياد حماسة الأشخاص فى الذكر بهز الأجسام بشكل خاص [2]. وبهذا وضع أساسا صحيحا للتصوف يبعده عن الابتذال ويقربه من العبادة .

وفى نفس الوقت دافع محمد بن على السنوسى عن المتصوفين الخالصين ومذهب التصوف الحق فقال : قد يسرى فى وهم من ليس له رسوخ قدم فى علم القوم أن أحوال الصوفية بعضها مباين لما عليه الشريعة كما فاه فيه بعض الجهلة تغاليا أو تنقيصا ، فاعلم أن سبيل القوم رضى الله عنهم إتباع النبى صلى الله عليه وسلم فى الجليل والحقير ، وكلما ازداد أحدهم

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٦٣ .

٢- مصطفى بعيو : المرجع السابق ص٤١ .

أتباعا كلما ازداد كمالا ، لكون الكمال الكلى عندهم فى كمال الأتباع ، وإلا فليس منهم أو ناقص عندهم فإن أعمالهم موزونة بميزان الشريعة ، فما رجحت فيه قبلوه وما لا يرجح نبذوه[١]. وأكد أن من يتصف بهذا الكمال فى الأتباع بالتوجه الدائم إلى المولى عز وجل فى طلب العون والمؤازرة وخشيته دائما وعمل ما يأمر به والابتعاد عما نهى عنه فإن رحمة الله واسعة وعنده نعيم مقيم لا أول له ولا آخر[٢].

وسار الفكر الدينى للمهدية على نفس النسق الذى سار عليه الفكر الدينى عند الوهابية والسنوسية ، إذ دعا محمد أحمد المسلمين إلى التمسك بوحدانية الله، وجعل التعبد لله وحده، وتحريم التطلع للأولياء وزيارة قبورهم ، والإمتناع عن شرب الدخان ، وعدم استخدام فاحش القول وشرب الخمر ، وعدم الاستماع إلى الموسيقى أو الإشتراك فى الرقص، وضرورة تبسيط حفلات الزواج[٣]. وتوجيه الناس إلى الكتاب والسنة ومحاربة البدع وغير ذلك من أمور الشريعة كفرض وجباية الزكاة من المسلمين وتوزيع الغنيمة توزيعا شرعيا وهذه أمور كلها تتطلب الاستعانة بالعلم الأصيل والدراسة الفقهية العميقة، والتعميق فى فهم النصوص التى وردت فى القرآن والسنة ، ومحاولة الاستنباط استنباطا يفوق جمهرة التابعين [٤].

ودعا محمد أحمد إلى العودة بالتشريع إلى عهوده الزاهرة ، إلى عصر الاجتهاد الأول قبل افتراق الكلمة وظهور المذاهب الأربعة، وقال فى ذلك أن الاجتهاد هو الوسيلة الوحيدة لتقويم السنة والهجرة بالدين مما عليه من الإنطباعات الزمنية [٥]. أى أنه هاجم توزع المسلمين بين أربعة مذاهب شافعية ومالكية وحنفية وحنابلة ، ثم تفرقهم بعد ذلك بين طرق صوفية مختلفة لم يؤد إلا إلى إضعاف الإسلام ، ووجد أن الطريق إلى الله واضح جلى فى كل من القرآن والسنة وأن معرفتهما كافية للمؤمن الحق [٦]. ومن ثم دعا إلى الاجتهاد فى الإسلام قائلا :

١- د. أحمد الدجانى : أحاديث عن تاريخ ليبيا فى القرنين ١٨ ، ١٩ ، ص٧٨-ص٧٩ .

٢- د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٤٦ .

٣- د. جلال يحيى : المرجع السابق ص٢٤ .

٤- د. حسن محمود : المرجع السابق ص٤٠٨ .

٥- نعوم شقير : تاريخ السودان .. جـ٣ ص١٣٧ .

٦- د. جلال يحيى : المرجع السابق ص٢٣ .

وما العبد إلا الأعمال الموافقة للسنة والكتاب ، من لم يجتهد على ذلك بشق الأنفس خسر الدارين [١].

وأضاف محمد أحمد المهدى إلى ما سبق من مبادئ دعوته إلى إقامة الحدود الشرعية مثل قطع يد السارق ، ورجم الزانى، وينتهج طريقة المرابطين حين يعاقب على ترك الصلاة [٢]. ولكنه اشتط حين أعلن : أن من شك فى مهديتنا وأنكر وخالف فهو كافر ودمه هدر وماله غنيمة [٣]. وقد ألزم أتباعه ببيعة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله . أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله، وألا تشرك به أحدا، ولاتسرق ولاتزنى ، ولاتأتى ببهتان ولاتعطيل فى معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضا بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى أن تفرض الجهاد[٤].

رابعا : المضمون الاجتماعى عند الدعوات السلفية :

يشيع بين البعض أن دعوات الإصلاح السلفية ذات مضمون دينى فقط وليس لها مضمون اجتماعى ، أى أن أصحاب هذه الدعوات لم يكن لهم برنامج اجتماعى ، والحقيقة غير ذلك لأن برنامج الإصلاح عند كل صاحب دعوة سلفية كان برنامجا شاملا موجها إلى مجتمعات ذات تراث دخلته شوائب ، والاصلاح الاجتماعى أمر له أهميته لنجاح مبادئ الاصلاح الشاملة.

فإذا بدأنا بالمضمون الاجتماعى فى فكر الإمام محمد بن عبد الوهاب باعتباره صاحب أول دعوة سلفية ناجحة فى الوطن العربى لوجدنا هذا المضمون يتمثل فى قيامه برحلات إلى الحجاز حيث أدى فريضة الحج وزار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة ، واجتمع هناك إلى فقهاء وعلماء من مذاهب سنية متنوعة ، ورأى ما يحدث أمام قبر الرسول عليه

١- نعوم شقير : المرجع السابق ص١٤٥ .

٢- عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص١٢٤ .

٣- نعوم شقير : المرجع السابق ص١٣٧ .

٤- نفس المرجع ص١٣٩ .

الصلاة والسلام من بدع ومن نداءات شركية وطلب الغوث والشفاعة ، وسمع عن أستاذه وصفا لهذه الأعمال بقوله استنادا إلى قول الله تعالى :

«إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون»[١].

وقام محمد بن عبد الوهاب برحلة أخرى إلى العراق حيث مكث بمدينة البصرة أربع سنوات شاهد خلالها ما يفعله غلاة الشيعة عند قبور وأضرحة الأولياء وآل البيت من تقديس وأعمال تدل على الجهل والضلالة ، فأخذ ينتقد هذه الأعمال حتى ضاق به أهل البصرة واستنكروا صراحته فى نقد أفعالهم المنافية لجوهر الدين الإسلامى فأخرجوه من بلدهم فحدثته نفسه بالذهاب إلى الشام ولكن ضيق ذات اليد جعله يعدل عن فكرته هذه ويتجه إلى بلدة «حريملا» بنجد وفيها أعلن دعوته .

وتجلت شمولية الدعوة الوهابية فى التفكير فى نشرها بين المجتمعات الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وفى منع خروج النساء خلف الجنائز إلى القبور ، وغير ذلك من أمور اجتماعية تشوه صورة المسلمين وتبعدهم عن الإسلام . إن قطع «ذكر» للنخيل كان الناس يتبركون به، وقطع شجرة عرفت باسم «شجرة الذيب» كثر زوارها وقاصدوها ، وإقامة الحد على امرأة من بلدة العيينة اعترفت بارتكاب الزنا بعد أن تأكد الإمام من سلامة عقلها وصحة فعلتها ، كل ذلك مضامين اجتماعية سعى الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى توجيه مجتمع نجد إليها وإدراك حقيقتها خاصة بعد أن قام جماعة ممن كانوا مستمتعين ببعض الإباحات الكاذبة التى خلفتها لهم دولة القرامطة يصرخون ويحتجون على أفكار الوهابية الإصلاحية .

ولايقلل من وجود مضمون اجتماعى فى فكر محمد بن عبد الوهاب مقاومة بعض القبائل فى شبه الجزيرة العربية لمبادئ الدعوة الوهابية ، لأن هذه المقاومة هى نتيجة لما طبعت عليه تلك القبائل من حب القتال والإغارة على من جاورهم أو الهجرة إلى أرض جديدة ، وشيوع العصبيات المحلية القبلية التى تمزق المجتمع واستمرار غارات السلب والنهب والغزو كمصدر للعيش فى الصحراء ، إلى جانب عدم المثول لسلطة الغير والقتال فى سبيل عدم الانضواء تحت راية قبيلة أخرى مهما كانت هذه القبيلة ذات رسالة للإصلاح .

١- عبد العزيز آل الشيخ : تعقيب على كتاب الدعوة الوهابية لعبد الكريم الخطيب ص٤٧ .

ولم يكن الجانب الاجتماعى فى الدعوة السنوسية ببعيد عن جوانبها الدينية والسياسية . ذلك أن الجانب الاجتماعى عند السنوسية يتمثل فى نشر فضائل الاسلام عن طريق الزوايا التى مارست دورا كبيرا بل الدور كله تقريبا فى نشر الدعوة السنوسية ليس فقط فى برقة بل فى غيرها من الأقطار العربية امتدادا من الحجاز مرورا بمصر حتى أقطار الشمال الإفريقى ، وأيضا نشر الدين الإسلامى بين شعوب غرب ووسط أفريقيا الوثنيين [١].

ويتضح الجانب الاجتماعى فى فكر الإمام محمد بن على السنوسى من كلماته لإحدى القبائل حيث جاء فيها: إنا نريد أن تنشر السلام بينكم وبين الأعراب الذين يغيرون على بلدكم ويستعبدون أولادكم ، ويبتزون أموالكم ، وإنا بعملنا هذا نقوم بما أمر الله به فى كتابه العزيز حيث قال سبحانه وتعالى : «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ويقول سبحانه وتعالى أيضا : «واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم[٢].

كما تمثل الجانب الاجتماعى عند السنوسيين فى دعوة إمامهم إياهم بعدم الاقتصار على العبادة والتصوف بل ودفعهم إلى أن يكونوا عبادا عاملين منتجين فى الزوايا التى تضم إلى جانب المسجد المدرسة والمزرعة والمتجر، يقوم المسلمون فيها بالعمل فى شتى المجالات التى تحويها الزاوية، ولعل خير ما يمثل هذه الروح التى أرادها صاحب الدعوة أن تكون روح الجميع، هو أن بناء الزاوية نفسه كان يقوم به أهل القبيلة أو القبائل التى تبنى فى أرضها الزاوية ، فالزاوية إذن منذ وضع حجرها الأساسى كانت رمزا للنشاط والانتاج [٣].

وقد أمكن للدعوة السنوسية بفضل دعاتها وزواياها المنتشرة بين القبائل فى برقة وغيرها من الأقطار العربية والأفريقية أن تؤاخى بين القبائل المتدابرة وأن تؤلف بينها وتعلمها كيف يكون الإيثار ، حتى أصبحت كلمة «الإخوان» تعنى الوفاء والإخلاص ، وتذكرنا بالأخوة الإسلامية فى عهدها الأول [٤]. إلى جانب تحويل المناطق المقفرة ومعاقل قطاع الطرق إلى

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٦٤ .

٢- د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٤٦ .

٣- د. نقولا زيادة : المرجع السابق ص٧٠ .

٤- جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية .. ص١٦ .

أماكن أمن يأوى إليها الناس للاهتداء إلى سواء السبيل وحفظ القرآن الكريم ومدارسة العلوم الدينية واللغوية .

وعلى هذا فإن تأثير الدعوة السنوسية الاجتماعى كان انقطاع الخلافات بين القبائل العربية التى أخذت ترتبط فيما بينها برباط الدعوة السنوسية والأخوة الإسلامية ، وانقطعت الاغارات على المضارب وأمن المسافرون فى الصحراء من غزوات قطاع الطرق ونهبهم لأمتعتهم ، فانصرف الناس إلى الإنتاج الزراعى فى أرض الزوايا وإلى الرعى فى مراعى الزوايا ، وسارت قوافل التجارة فى أمان لخير الناس دون أن تتعرض لما كانت تتعرض له من قبل من مصاعب فى الوقت الذى تعددت فيه الزوايا بتعدد القبائل [١].

وحرص الإمام محمد بن على السنوسى أن يجعل من أتباعه ومن شيوخ الزوايا بصفة خاصة قدوة فى المعاملات الاجتماعية، إذ رأيناه يوصى العلامة ابن الشفيع خليفته فى زاوية المدينة المنورة بقوله : وحسنوا أخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير وللصغير، واتبعوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفقوا فإن الرفق ما كان فى شئ إلا زانه ، وأن الحمق ما كان فى شئ إلا شانه، وارفعوا همتكم من الخلق وقال : عليكم بالمناصحة والمذاكرة وإرشاد عباد الله إليه والمدارسة والاجتماع والتحابب والتوادد فيما بينكم ، ولاتباغضوا ولاتدابروا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا وعلى البر أعوانا[٢].

وخلاصة القول أن الزوايا السنوسية كانت مجتمعات متكاملة يقوم فيها كل فرد بالواجب المناط به كمواطن مسلم وينال حقه كاملا وهى خلايا اجتماعية ومراكز ثقافية إسلامية ساهمت عن طريق رجالها بالوظيفة الشاملة التى أرادها لها مؤسس الدعوة السنوسية ، تلك الوظيفة التى لم تقتصر على النواحى الاجتماعية والدينية بل تعددت ذلك لتشمل النواحى التعليمية والاقتصادية والاستراتيجية .

وأما ما يختص بالمضمون الاجتماعى فى فكر الإمام محمد أحمد المهدى ، فإنه ينبع من كونه ينحدر من قبائل «الكنوز» الذين يقيمون فى النوبة وينتمون إلى بيت رسول الله صلى

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٦٥- ٢٦٦ .

٢- جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية ، الملاحق .

الله عليه وسلم – وانتسابه إلى قبائل الكنوز قد جنبه الانتساب لإحدى المجموعتين القبليتين العربيتين الكبيرتين فى السودان وهى «جهينة» و«الجعليين» المتنافستين بل المتعاديتين فتجنب بذلك عداء مجموعة لم ينتسب إليها [١]، واتجه بدعوته إلى التنظيمات القبلية الأقل قوة من تلك المجموعتين والتى سارعت إلى تأييده تحقيقا لمغنم أو تأثرا بدعواه وشخصيته .

وانطلاقا من اختلاط محمد أحمد المهدى بالناس على جميع المستويات أثناء ترحاله فى طلب العلم أدرك مدى ما يقاسونه من مظالم وفقر وبؤس ومدى ما هم فيه من ضلالة وخرافات، فدعا إلى تبسيط بعض مظاهر حياة الناس الاجتماعية مثل خفض المهور عند الزواج، ومنع النساء من لبس الذهب والفضة، والنهى عن شعر العارية أى خروج النساء مكشوفات الرأس، وعدم الاحتفال بالأعراس ، ومنع البكاء وراء الميت وإبطال السحر والتعزيم[٢]. كل تلك مبادئ اجتماعية رأى محمد أحمد أنها تنقى المجتمع العربى فى السودان من الخرافات وتقوى من عوده لكى يواجه الحكام الظالمين .

اعتمد محمد أحمد المهدى منذ البداية على التنظيمات القبلية لإنجاح دعوته، ومن بعده سار خليفته عبدالله التعايشى على نفس السياسة، فوجدنا المهدى لكى يزيد من أنصاره يحاول استرضاء القبائل بإباحة تجارة الرقيق بعد أن كانت الحكومة تحرم هذه التجارة ، لأن تجار الرقيق كان يمثلون فى البلاد طبقة قوية من الأعيان والتجار وزعماء القبائل الذين كانت فى يدهم الثروات الكبيرة والذين رأوا فى المهدية ما يحقق مصالحهم . هذا بالإضافة إلى جهل الأهالى وسرعة تصديقهم للخرافات والأوهام واعتقادهم من قبل بقرب ظهور المهدى المنتظر، فأقبلوا على دعاوى محمد أحمد يصدقونها ويؤمنون بها دون تفكير ولاتحقيق[٣].

وكان لشخصية محمد أحمد المهدى تأثير قوى فى نفوس مريديه وأنصاره ، فعن طريق قوة شخصيته استطاع أن يجمع حوله الأنصار وأن يبعث فيهم روح الطاعة لأوامره والاستخفاف بالموت فى سبيل تأييد دعوته ، ولقد كان لمزاياه الشخصية ما عرف عنه من الزهد والصلاح

١- د. حسن محمود : المرجع الاسبق ص٤٠٣ .

٢- د. حسن محمود : المرجع السابق ص٤٠٨ .

٣- عبد الرحمن الرافعى: المرجع السابق ص١١ .

والتقوى وإيمانه بدعوته وذكائه وحزمه ، أثره فى نجاح دعوته وفى انتصاره على قوات الحكومة فى عدة معارك .

ومما يؤكد ارتباط المضمون الاجتماعى للمهدية بشخصية محمد أحمد أن زعامة المهدى أثناء حياته وسمعته وشهرته الشخصية كزعيم دينى قبل أى أعتبار آخر كفت عندئذ لتوجيه دعوته ، فعاشت هذه الدعوة التى اتخذت طابع الثورة من غير تنظيم لأن زعامة المهدى اغنت عن التنظيم فى هذه المرحلة [1]، إلا أن المهدية بعد موت صاحبها عاشت فترة من الانقسامات والخلافات بين القبائل وحكومة الخليفة عبد الله التعايشى .

خامسا : الاتجاهات السياسية فى الدعوات السلفية :

كان للدعوات السلفية اتجاهات سياسية حرصت على الأخذ بها والاعتماد عليها فى نشر الدعوة ومبادئها ، ولقد تشابهت الدعوات الثلاث فى أن يمسك العرب زمام حكم أنفسهم بأنفسهم ليتمكنوا من تطبيق المبادئ السلفية، خاصة أن الدولة العثمانية كانت تمسك بزمام الأمور فى معظم البلاد العربية وتخضعها لسيادتها عن طريق حكام غير عرب ، كما أن الحكم العثمانى مسئول عما أصاب العرب المسلمين من تخلف وشيوع الجهل والفقر بينهم نتيجة العزلة التى فرضها العثمانيون على الأقطار العربية إلى جانب ما اتسم به الحكم العثمانى من رجعية وعدم تجديد .

وإذا كانت الدعوة الوهابية قد انطلقت من نجد بشبه الجزيرة العربية ونجد لم تطأها قدم العثمانيين ، فإن سيطرة العثمانيين على الحجاز والعراق واليمن بل والإحساء والكويت ثم قطر قد أحاط بنجد بحيث يقف الوجود العثمانى حائلا دون امتداد الدعوة .

وحيث وجد محمد بن عبد الوهاب أنه فى حاجة إلى قوة سياسية تكون صنوا لدعوته الدينية وتعمل على نشرها داخل نجد وخارجها ، فقد تمثلت تلك القوة فى الأسرة السعودية التى تنتسب إلى قبيلة عنزة إحدى قبائل ربيعة ، والتى يعد سعود بن محمد بن مقرن مؤسسها باعتباره أول من سيطر على منطقة الدرعية ، وبعد وفاته عام ١١٣٧هـ الموافق ١٧٢٤ تعاون أبناؤه فيما بينهم على بسط نفوذهم فى هذه المنطقة حتى وفد إليهم الشيخ

١- د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص٤١٥ .

محمد بن عبد الوهاب وتعاهد مع الأمير محمد بن سعود على تطبيق ونشر المبادئ الدينية الإصلاحية [١].

وقام تحالف محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله وإقامة الشريعة الإسلامية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يظل الإمام- محمد بن عبد الوهاب- مقيما فى الدرعية لايبارحها ولايتحلل من هذا التحالف ، وجاء تعهد الإمام للأمير السعودى فى العبارة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة : «الدم بالدم والهدم بالهدم» [٢].

كان التحالف بين محمد بن عبد الوهاب والأسرة السعودية فى الدرعية بداية لنشر الدعوة الوهابية فى بقية بلاد نجد وأنحاء شبه الجزيرة العربية، بداية للصدام مع الدولة العثمانية ، وقد انطلق الحليفان لنشر الدعوة خارج الدرعية بإعداد الجيوش التى توجه لرد المهاجمين والمناهضين للدعوة، وإرسال الرسائل إلى الحكام والأمراء للدخول فى الدعوة[٣] ومما يجب ملاحظته أن الإمام محمد بن عبد الوهاب اهتم بالجانب الدينى للدعوة وترك شئون الحكم والسياسة لآل سعود وقد تم ذلك فى تناسق كامل انطلاقا من التحالف بين الطرفين ، وسارت الدعوة الوهابية بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب على نفس السياسة، إذ اهتم أبناؤه وعلماء الدعوة بالناحية الدينية بينما استمر آل سعود يحكمون ويعملون على نشر مبادئ الدعوة التى صارت مذهبا تدين به الدولة السعودية وتعمل فى ظله وتسعى لنشره وتحارب من أجله .

وكانت الاتجاهات السياسية عند الدعوة السنوسية تقوم على أن الدين الإسلامى لم يفرق منذ ظهوره بين الدين والدولة منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية وبنى العباس بل وحتى سلاطين آل عثمان فى تركيا جمعوا فى يدهم السلطتين الدينية والزمنية ، وحيث أن الإسلام كان دينا وسياسة فإنه منوط بصاحب الدعوة أن يجمع بين الصفتين الدينية والسياسية لتدبير شئون الدنيا للمسلمين إلى جانب شئون الدين [٣].

١- د. حسن سليمان محمود: المملكة العربية السعودية ص٧٢ .

٢- كناية عن الارتباط الوثيق بينهما كل منهما ولى دم الآخر يطلب به ويثأر له ويهدم بيت أعدائه إذا هدموا بيته. عبد الكريم الخطيب ، المرجع السابق ص٦٦ .

٣- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٢١ .

وعلى هذا كانت الدعوة السنوسية وسيلة لإنشاء الإمارة لأنها أوجدت بفضل النظام الدقيق الذى وضعته لأتباع الطريقة نوعا من السيادة الدينية والدنيوية معا على خير ما يقيمه الإسلام من أسس لذلك ، حتى أصبحت السنوسية تسيطر على أفئدة المسلمين الذين بلغتهم هذه الدعوة [١]، عن طريق الشيوخ والإخوان والدعاة الذين يختارهم صاحب الدعوة ويعدهم إعدادا دينيا وسياسيا يؤهلهم لقيادة القبائل التى توجد بأرضها الزوايا السنوسية .

ومما يؤكد الاتجاه السياسى للدعوة السنوسية إلى جانب التنظيم المحكم لإدارة الزوايا دعوة محمد بن على السنوسى أتباعه بالاستعداد الحربى بتعلم الرماية واستخدام السلاح وركوب الخيل وعدم الاكتفاء بتعلم العلم أو ممارسة العبادات والشعائر الدينية لأن المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف ومن ثم طلب من كل فرد من الإخوان السنوسيين ما دام قادرا وغير عاجز أو مشغول أن يكون مستعدا للطوارئ متهيئا للحرب منتظرا للأمر منفذا له بكمال طاعته، ومن كان فقيرا فسلاحه وراحلته من الزوايا التابع لها أو من أغنياء الإخوان أنفسهم[٢].

وكان تسليح السنوسيين دليلا على وضع الأساس المادى للإمارة السنوسية بوجود قوة عسكرية جاهزة ومستعدة للدفاع عن الدعوة والإمارة ضد أعدائها سواء كانوا من القوى المحلية أو الخارجية ، وقد أثبت السنوسيون وجودهم فى مواجهة الغزو الفرنسى لغرب أفريقيا أواخر القرن التاسع عشر، وفى مواجهة الغزو الإيطالى لليبيا أوائل القرن العشرين .

كما تمثل الاتجاه السياسى عند السنوسية فى وصية صاحب الدعوة بإسناد رئاسة الدعوة والإمارة إلى الأكبر الأرشد من الأسرة السنوسية ، بالإضافة إلى إتباع نظام البيعة الإسلامى، إذ عمل محمد بن على السنوسى فى حياته على تقديم إبنه الأكبر «محمد المهدى» للصلاة وألبسه السيف وخلع عليه عباءه «جردا» وصافحه دليلا على المبايعة، ومن ثم تقدم كل الحاضرين من أفراد الأسرة السنوسية ومن الإخوان إلى مصافحة - مبايعة- محمد المهدى ، فكانت تلك البيعة قبولا منهم فى حياة صاحب الدعوة نفسه. وبذلك جمعت السنوسية فى

١- د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين دولة ص٤٥ .

٢- نفس المرجع ص٥٢ .

نظام الحكم بين مبدأ الوراثة الصُلبية والعمل بمبدأ الشورى، وحققت فى هذا بعض شروط الإمامة[١].

وهكذا جاء الاتجاه السياسى عند السنوسية مرتبطا بالجانب الدينى فى شخص صاحب الدعوة الذى نادى بالعودة إلى السلف الصالح فى الأمور السياسية إلى جانب النواحى الدينية والاجتماعية حيث كانت شروط الخلافة الإسلامية تقوم على اعتبار الخليفة عربى مسلم قرشى ومن بيت النبوة وهذه الشروط تنطبق عليه. ومن ثم انتقد سيطرة الدولة العثمانية على العالم العربى بسبب مسئوليتها عن تمكين العناصر التركية من الغلبة على شعوبها العربية وإقامة الحكومة الاستبدادية فى بلاد هذه الشعوب [٢].

وفى هذا الإطار اختلفت السنوسية عن الوهابية فى الشكل ، إذ بينما ترك محمد بن عبد الوهاب شئون الحكم والقوة والسياسة للأسرة السعودية فى إطار التحالف الأبدى بين الطرفين، جمع محمد بن على السنوسى السلطتين الدينية والزمنية فى يده وفى يد بنيه من بعده حتى أقيمت آخر الأمر الإمارة السنوسية ثم المملكة «السنوسية» .

وأما الاتجاه السياسى عند المهدية فقد قام على إيمان محمد أحمد بارتباط الدين بالسياسة أى بين الظواهر الدينية والأمور السياسية ، إذ أنه اعتبر هذين المبدأين متصلين ومرتبطين أحدهما بالآخر تمام الارتباط ، كما كان عليه الحال فى العصور الإسلامية الأولى، فكان رأس الدولة هو أمير المؤمنين وإمامهم ، وكان على هذا الشعب أن يطيعه ما لم يوصه بمعصية الخالف ، والمهدى يتفق فى هذا مع السنوسية ، إلا أنه كان يهدف إلى هدم الحكومة القائمة أولا ثم إقامة حكومة دينية فى مكانها تعمل على تطبيق الشريعة ، ويصبح هو- أى محمد أحمد- رئيسها الدينى والزمنى فى آن واحد [٣].

ولم يتوجه محمد أحمد بمبادئها الإصلاحية إلى الحكومة القائمة ، وهى الحكومة التى يرأسها حكمدار يعينه باشوات مصر من أسرة محمد على منذ فتح السودان عام ١٨٢١م لأنه

١- د. محمد شكرى : المرجع السابق ص٥٥ .

٢- نفس المرجع ص١٧ .

٣- د. جلال يحيى : المرجع السابق ص٢٥ .

أخذ على رجال الحكم ابتعادهم عن تعاليم الإسلام وإنما توجه بمبادئه إلى القبائل السودانية التى رحبت فى معظمها بالدعوة المهدية لتحقيق مغانم اقتصادية وسياسية كاباحة تجارة الرقيق وإلغاء احتكار الحكومة لمعظم السلع المهمة بالسودان ، وكان على رأس المؤيدين للمهدية قبائل البقارة العربية وقد أيد زعيمها عبدالله التعايشى الدعوة المهدية وحاول أن يجعل محمد أحمد يعلن أنه «المهدى المنتظر» على شريطة أن يستوزره[١].

وتجلى الاتجاه السياسى للمهدية أيضا فى إلقاء محمد باللائمة على الأوروبيين فيما حدث للدين الإسلامى والمسلمين من أحداث بدلت أحوالهم إلى الأسوأ ، وخاصة الانجليز الذين سيطروا على الأمور حتى فى مصر ذاتها، كما أنه هاجم الخديوى توفيق لأنه أحل للإنجليز الذين جاءوا بكبرهم وخيلائهم الدماء والأموال والأعراض. وهذا ليس من صفات الحاكم العادل المسلم الحق ، وإن الإسلام يدعو إلى طرد هذا العدو. وأن يكون المسلمون يدا واحدة على إقامة الدين وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، لأن هؤلاء الأعداء قد ظلموا أمة محمد، وأن رد الظلم لايتم إلا بالقضاء عليه [٢].

ولم يكتف المهدى بالدعوة لطرد الأوروبيين، بل طالب بطرد المصريين من السودان باعتبار ذلك الوسيلة التى يمكن عن طريقها تقرير العدالة . ورفع الظلم ، وليملأ السودانيون المناصب التى يشغلها الأوروبيون والمصريون ، ولرفع البؤس واليأس عن السكان الوطنيين [٣]، والتخلص من سوء الإدارة التى نشأت بسبب استخدام البريطانيين فى عمليات التوسع والحكم المصرى فى السودان[٤]، وأعلن محمد أحمد وجوب الإمتناع عن دفع أية ضريبة غير العشور أو الزكاة فقط التى نص عليها الكتاب الكريم، ثم دعا إلى شيوع الملكية فلايستأثر مؤمن بمال أو عقار دون أخيه المؤمن ، بل يجرى توزيع الثروة على الجميع بالتساوى [٥].

١- د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص٢٩٢ .

٢- نعوم شقير : المرجع السابق جـ٣ ص٣٧٤ .

٣- Hamilton : The Anglo Egypian Sudan. p. 67 .

٤- Sudan Notes and Records, vol . XL (1959) p. 79 .

٥- د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٢٩١ .

كما تمثلت الاتجاهات السياسية عند المهدية فى كونها حركة عالمية لامحلية تريد أن تمد يد الإصلاح إلى الأقطار الإسلامية كلها، ويظهر ذلك من كتب ورسائل المهدى وخليفته عبدالله التعايشى إلى الملوك والزعماء فى الأقطار العربية والإسلامية ، وقد اهتز لحركته المسلمون جميعا ورأوا فيها رغبة مخلصة لإصلاح أحوال المسلمين ، وقد جاءته الوفود من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب [١]، كما تظهر تلك الدعوة العالمية من فكرته بتأسيس دولة إسلامية مترامية الأطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة .

وكان المهدى يسعى إلى وحدة وادى النيل تحت زعامته وإن كان لم يرسل جيشا لضم مصر فى حياته بسبب وفاته المفاجئة بعد سقوط الخرطوم فى يده بخمسة شهور تقريبا ، فقد وجه خليفته عبدالله التعايشى ثلاث رسائل فى مارس ١٨٨٧م إلى كل من السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية والخديوى توفيق باشا مصر والملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى يدعوهم فيها إلى اعتناق المهدية قبل أن تطأ جيوشه بلادهم وتنتقم منهم، وكان غرضه خصوصا من الكتابة إلى هؤلاء الثلاثة الحصول على إعترافهم بحكومته [٢]. وحتى يأمن على بقاء السلطة فى يده وإنتقالها إلى ذريته من بعده ، ويحقق فى نفس الوقت أمل المهدية فى السيطرة على كل وادى النيل شماله وجنوبه ، ثم إرساله جيشا يقوده عبد الرحمن النجومى لغزو مصر فى مايو ١٨٨٩م، ولكن هذا الجيش لقى الهزيمة فتوقفت مشروعات المهدية لضم مصر إلى السودان تحت راية المهدية .

وكان من الاتجاهات السياسية عند المهدية أيضا التعاطف مع الحركة الوطنية العرابية فى مصر، وإذا كان عرابى لم يخف وهو فى منفاه تأييده وميله إلى المهدى وأعلن أنه كان ينوى تعيينه حاكما عاما على السودان [٣]. فإن المهدى كان يعطف على عرابى ، ولعل قيام عرابى ضد الحكومة المصرية الخديوية قد صادف هوى فى نفسه مما شجعه على تقليده وجعله موضع عطفه وتقديره [٤]، ويذكر البعض أن المهدى - أثناء حصار الخرطوم فى يناير ١٨٨٥م- أمر

١- د. حسن محمد : المرجع السابق ص٤٠٩ .

٢- د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٤٢٥ .

٣- عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص١١٤ .

٤- ابراهيم فوزى باشا : السودان بني يدى غوردون وكتشنر جـ١ ص٣٩٨ .

رجاله بالمحافظة على حياة جنرال غوردون ، الإنجليزى المكلف باخلاء السودان من المصريين، قائلا : إنى أريد أن أقتدى به أحمد عرابى باشا [١]. وهذا الاتجاه السياسى يدل على عمق الروابط بين الشعبين المصرى والسودانى ووحدة وادى النيل .

ومن الاتجاهات السياسية عند المهدية كذلك محاولة إقامة تحالف مع السنوسية فى برقة لغزو مصر ولنشر المهدية فى شمال وغرب أفريقيا ، ولكن زعيم السنوسية- محمد المهدى- رفض الإنضمام إلى المهدية بسبب العنف الذى صحبها فى الإنتشار بالسودان خاصة ما كان يجرى بعد الانتصار فى المعارك العسكرية على قوات حكمدارية الخرطوم من قتل للأنفس البريئة وسلب لأموال الناس وهتك للأعراض ، ومن ثم رأينا «محمد السنوسى» يطلب إلى الشعوب الإسلامية فى أفريقيا خاصة فى سلطنات «واداى» و«برنو» والبلاد المجاورة أن تمتنع عن تأييد «مدعى المهدى» محمد أحمد [٢].

كذلك من إتجاهات المهدية السياسية إدعاء محمد أحمد أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم يأتيه فى المنام وعندما انتقل من جزيرة «آبا» إلى «جبال النوبة» بكردفان أطلق على هذا الانتقال هجرة ومن صحبه من الأتباع مهاجرين ، كما أطلق على أهل كردفان الذين استقبلوه فى أرضهم وسمحوا له بالبقاء فيها ، اسم الأنصار[٣]، كما أنه اتخذ له أربعة خلفاء تشبها بالخلفاء الراشدين ، كان الخليفة الأول عبدالله التعايشى زعيم قبائل البقارة ، وعرض محمد أحمد على «محمد المهدى السنوسى» أن يضعه فى مقام الخليفة الثالث- عثمان بن عفان- فى نظير أن يقوم «السنوسى» من جهته بشن الحرب على الإنجليز فى مصر، ولكن السيد السنوسى رد على مهدى السودان : بأن مقام عثمان لايناله لا أنا ولا أنت [٤].

وهكذا كانت اتجاهات المهدية السياسية عنف وتطرف فى معظم نشاطها ، ومن ثم لا نعجب أن اعتبر المؤرخون المهدية بأنها ثورة أكثر من إعتبارها دعوة، هذا على الرغم من أن

١- د. جلال يحيى : المرجع السابق ص٤١ .

٢- د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص٧١ .

٣- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٣٣٧ .

٤- د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٧٢ .

المهدية فى جانبها السياسى اتفقت فى بعض الأمور مع الوهابية والسنوسية كإقامة الدولة الإسلامية ونشر الدعوة ووجود الإمامة . . .

سادسا : تقييم الدعوات السلفية الثلاث :

على الرغم من تقسيم الدعوات السلفية الثلاث فى الدراسة إلى جوانب دينية وأخرى اجتماعية وثالثة سياسية، فإن لهذه الدعوات رسالة شاملة ، ورغم ما وجد من سلبيات علقت بتنفيذ مبادئ دعوة أو أكثر منها ، فإن أثرها فى اليقظة الإسلامية لايمكن إنكاره ، وليس أدل على ذلك من استمرارها حية فى نفوس العرب والمسلمين حتى يومنا هذا .

فالدعوة الوهابية وإن اتهمها البعض بالشدة فى تطبيق مبادئها ، فإنها ليست بدعة جديدة ولكن الجديد فيها هو ظهورها فى زمن بدا فيه أن كل شئ مخالف لما درج عليه الناس منذ سنوات ، وأصبح من عاداتها يعتبر بدعة مدعاة للاستنكار ، وإذا كانت الدعوة قد لقيت معارضة ، فإن ذلك سنة كل جديد على القوم فى كل زمان بل وفى كل مكان [١]. ولم يلجأ الوهابيون إلى مقاتلة معارضيهم إلا بعد إقامة الحجة ، وفى ذلك يذكر الأمير سعود الكبير الذى فتح الحجاز منذ عام ١٢١٨هـ الموافق ١٨٠٣م، إننا ندعو الناس إلى وحدانية الله ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف الصالح من الأمة [٢].

والدعوة الوهابية دعوة إصلاحية خالصة غرضها إصلاح الخلق ، ونسخ الشبهات وإبطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليم المتضاربة التى وضعها أربابها فى عصور الإسلام الوسطى، ودحض البدع وعبادة الأولياء [٣]، وأن محمد بن عبد الوهاب لم ينظر إلى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها ، ولم يتجه فى إصلاحه إلى الحياة المادية ، وإنما اتجه إلى العقيدة وحدها ، فعنده أن العقيدة والروح هما الأساس وهما القلب إن صلحا صلح كل شئ ، وإن فسدا فسد كل شئ [٤].

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٤٢ .

٢- عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، أحداث يوم ٢٩ صفر ١٢١٨هـ، صورة كتاب الأمير سعود الكبير لحجاج بيت الله الحرام .

٣- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص٢٦٤ .

٤- د. أحمد أمين : زعماء الإصلاح .. ص١٨ .

ويصور الدكتور طه حسين بأسلوب بليغ دعوة محمد بن عبد الوهاب التى أثارت الانتباه العالمى خلال القرن الثامن عشر الميلادى وما بعده فى قوله : إن مبدأ الحركة جديد وقديم معا، إنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ، ولكنه قديم فى حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقى المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية ، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبى خالصا لله وحده ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس ، هو إحياء للإسلام العربى وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب [١].

وعلى هذا فلايمكن إغفال تأثير الدعوة الوهابية على الفكرة العربية التى كانت مغمورة تحت السيطرة التركية على الأقطار العربية ، وإذا كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب قد اهتدت بها حركة محمد بن على السنوسى الإصلاحية فى ليبيا وحركة محمد أحمد المهدى فى السودان، وفكرة الجامعة الإسلامية فى مصر طوال القرن التاسع عشر ، فإن الدعوة الوهابية قد نبهت أذهان العرب بضرورة إيقاظ وعى العروبة وإعادة أمجادها ونقض السيطرة التركية ، ولعل هذا الاتجاه كان دافعا لكى تلتف القلوب حول آل سعود العرب الخلص : كما كان له تأثير على فكرة الشريف حسين فى الحجاز لإقامة دولة عربية كبرى تشمل شبه الجزيرة العربية والعراق وكل بلاد الشام بعيدا عن السيطرة التركية [٢].

وكان نجاح السنوسية مستندا إلى الأسلوب الذى اتبعته فى تنفيذ مبادئها ، ذلك الأسلوب السلمى الذى بدأ بالمؤاخاة بين القبائل الإسلامية ونشر الدعوة بينها بالتدريج وبالحسنى ، واستخدام ما عرف «بالزوايا السنوسية» كأداة لنشر الدعوة ، تلك الزوايا التى سارع إلى إنشائها فى أرضهم أهل كل قبيلة وسلموا زمام أمرهم إلى شيخ الزاوية الذى يعينه صاحب الدعوة فانتقلت بذلك الرئاسة والزعامة من شيخ القبيلة إلى شيخ الزاوية السنوسية .

كما أن الزوايا التى انتشرت فى أنحاء شتى من الوطن العربى والإفريقى امتدادا من الحجاز فمصر فبرقة وطرابلس وفزان والجزائر وتونس إلى تشاد وموريتانيا والسنغال ، أدت رسالة شاملة تعليمية ودينية واجتماعية وعسكرية . ورغم أن الرسالة الدينية استحوذت على

١- د. طه حسين : الحياة الأدبية فى جزيرة العرب ، مجلة الهلال مارس ١٩٣٣ م .

٢- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٤٨- ص٢٤٩ .

اهتمام الزاوية الأول حين تمثلت تلك الرسالة فى التنفيذ العملى لأحكام الإسلام ومبادئه بالحكم الشرعى بين المواطنين والتربية الدينية والخلقية للمريدين والإخوان وإعداد الدعاة والمواطنين[١]. فقد حملت هذه الزوايا رسالتها الشاملة إلى الشعوب الوثنية فى قلب أفريقيا الغربية والسودان والصحراء الكبرى حتى اهتدت هذه القبائل المتوحشة البدوية إلى الإسلام طائعة مختارة [٢].

كما أنه بحكم استقرار الزوايا اضطرت كل قبيلة أن تحافظ على صلتها الدائمة بزاويتها الخاصة بها ، وقد اقتدى منها هذا الموقف عدم البعد عنها حتى يسهل له الاتصال بها كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وبمرور الزمن تعودت القبيلة نوعا من حياة الاستقرار والإقامة بعد أن كانت لاتعرف لذلك سبيلا [٣]. هذا إلى جانب تساوى الجميع فى الواجبات مع تساويهم فى الحقوق، فكل طالب علم فى الزاوية عليه أن يؤدى ما أنيط به من عمل مساء يومى الخميس والإثنين- ويوم الجمعة راحة- ويستوى فى ذلك الصغير والكبير والغنى والفقير، إذ ليس هناك نظام الطبقات المفرق عادة بين صفوف الأمة [٤].

ومبعث نجاح السنوسية كذلك دعوتها إلى العمل والإنتاج ، ومن المأثور عن محمد المهدى السنوسى» أنه كان يقول للإخوان والمريدين الذين كانوا يطلبون إليه أن يعلمهم الكيمياء : إن هذه تحت سكة المحراث وأنها هى كد اليمين وعرق الجبين، بل كان يعمل مع العاملين فى الزراعة والحرف ويقول : أيظن أهل الوريقات والسبيحات - أى العابدين القانتين المنعزلين - إنهم يسبقوننا عند الله ، ولا والله ما يسبقوننا [٥].

كما كان مبعث نجاح السنوسية وأثرها هو بعدها عن الصدام مع القوة الإسلامية المسيطرة فى العالم العربى وأعنى الدولة العثمانية والتهيؤ للوقوف أمام قوات الغزو الأوروبية، ومن

١- التعليم الدينى فى ليبيا ص١٢ .

٢- د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص٥٠ .

٣- مصطفى بعيو : المرجع السابق ص٦٢ .

٤- محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير ص٥٠ .

٥- د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص٥٩ .

هنا صار رجال الزوايا مقاتلين أشداء واجهوا الفرنسيين أول القرن العشرين، فى «واداى» وحول بحيرة تشاد ، كما واجهوا الغزو الإيطالى لليبيا عام ١٩١١م، إذ كانت مقاومة السنوسيين للإيطاليين مقاومة منظمة بحكم تنظيم الزوايا السنوسية ، فقد كان لبوادر اليقظة الشعبية التى بذر السنوسى بزواياه وتعاليمها وجهود شيوخها بذرتها الأولى أن هب الشعب الليبى ومنذ الوهلة الأولى للدفاع عن أرضه ضد الغزو الإيطالى [١]، وقد استمر الكفاح بقيادة السنوسيين وقائدهم عمر المختار حتى استشهد القائد عام ١٩٣١م .

وأما الدعوة المهدية فقد انشغلت بالعمليات العسكرية والخلافات القبلية مما أدى إلى انهيار دولة المهدية فى السودان بسرعة فى حين لم يدافع عن المهدية الكثيرين من السودانيين الذين عاشور فى كنفها وتحت سلطتها ولعل سبب ذلك أن المهدية لم تجد من رجالها فلاسفة يؤصلون أفكارها ويشرحون تعاليمها ويكونون صفوفا من أنصارها يحملون رسالتها ويتناقلونها جيلا بعد جيل ، كما أن المهدية بعد موت صاحبها عاشت فترة من الخلافات والانقسامات بين القبائل وبين حكومة الخليفة عبدالله التعايشى[٢].

وكان يمكن للثورة المهدية أن تصبح حركة وطنية ناجحة لولا ما شابها من عنف وبطش ليس فقط بالأوروبين والأتراك والمصريين بل بالسودانيين أنفسهم ، ولولا ادعاء المهدى لأمور لا تجد قبولا حتى من السودانيين الذين كان معظمهم يدخلون فى طاعة المهدية رغبة فى مغنم أو خوفا من بطش رجالها . ولولا عجز المهدية عن صد تيار الأطماع الاستعمارية الأوروبية الزاحف لاقتطاع أجزاء من السودان وملحقاته ، ففى عهد الخليفة عبدالله التعايشى انتزعت أملاك مصر فى الصومال وساحل البحر الأحمر وفى السودان لتلتهمها القوى الأوروبية المتسابقة ، أى أن المهديين عجزوا كل العجز عن الاحتفاظ بتلك الإمبراطورية التى أسسها المصريون خلال ستين عاما فى شرق ووسط أفريقيا [٣].

وهكذا كان أثر المهدية فى العالم العربى والإسلامى ضئيلا بالمقارنة بتأثيرات الوهابية والسنوسية رغم اعتبارنا لها على أنها حركة سلفية إصلاحية إسلامية معا [٤].

١- محمد مصطفى : العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا فى ليبيا ص١٦١ .

٢- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٣٤٠ .

٣- د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص٤١٤ .

٤- د. رأفت الشيخ : مصر والسودان فى العلاقات الدولية ص١٣٧ وما بعدها .

الجامعة الإسلامية

كانت فكرة الجامعة الإسلامية مظهرا آخر لليقظة الإسلامية التى أخذت دورها بين الشعوب العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر، ولكى نستجلى هذه الظاهرة وضوحا علينا أن نلقى الضوء على الظروف التى أدت إلى ظهورها ، وعلى الشخصيات التى ارتبطت بها ، وعن الفكرة نفسها أبعادها وأهدافها ونتائج الدعوة إليها .

أولا : ظروف العالم الإسلامى :

يمكن القول أن العالم الإسلامى تعرض منذ أوائل القرن الحادى عشر الميلادى لعوامل تخلف وفوضى نتيجة الغزو الصليبى والوجود التركى فى اسيا الصغرى، ثم جا ت الغزوة المغولية عام ١٢٥٨م على الجناح الشرقى للعالم الإسلامى- إيران فالعراق- لتزيد من تخلف المسلمين وتضرب الحضارة العربية الإسلامية بضربة قاصمة غير تلك الضربة التى لحقت بالعرب والمسلمين بخسارتهم للأندلس لصالح الكاثوليك الأسبان .

وكان سقوط العالم العربى تحت الحكم العثمانى منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى عاملا آخر لتدهور أحوال المسلمين بسبب ما اتصف به الحكم العثمانى من سلبيات أهمها العزلة التى فرضت على العالم العربى والإسلامى ، فى الوقت الذى لم تكن للأتراك حضارة يفيدون بها العرب وفى الوقت الذى أخذت أوروبا فيه تنهض وتسير فى طريق التقدم والعمران، إلى جانب الاستبداد والظلم التركى بالعرب والمسلمين المحكومين الذين تأخروا فى كل نواحى الحياة حتى فقدوا قوتهم وباتوا لاقبل لهم بملاقاة الغرب فى أى ميدان [١].

وزاد الطين بلة أن القرن الثامن عشر الميلادى شهد تدهورا أكبر فى أحوال العرب والمسلمين بظهور ما عرف بالحركات الانفصالية أو الاستقلالية فى الولايات العربية الخاضعة للحكم العثمانى ، تلك الحركات التى كانت فى جملتها مغامرات شخصية لأفراد من الأتراك أو المماليك المغامرين الذين كان هدفهم إرتقاء كراسى الحكم والحصول على مغانم مادية كبيرة

١- محمود أبو رية : جمال الدين الأفغانى ص٦ .

والضحية فى كل الأحوال كانت الشعوب العربية والإسلامية فى الوقت الذى ضعفت فيه الدولة العثمانية فلم تقو على السيطرة على ممتلكاتها وخضعت لما فرض عليها مقتنعة بما يلقيه إليها هؤلاء المغامرون من فتات من الأموال التى يجمعونها قسرا وبشراهة من الرعايا العرب والمسلمين .

وفى نفس القرن- الثامن عشر - وفى القرن التالى (التاسع عشر) أخذ الاستعمار الأوروبى يحقق وجوده بقوة فى الأرض الإسلامية حيث شهدت الهند المطامع البريطانية التى انتهت بسيطرة كاملة لبريطانيا على الهند، ثم على عدن ثم على مصر والسودان وأقطار الخليج العربى، بينما عبرت روسيا القوقاز وبسطت سيطرتها على أواسط آسيا ، فى الوقت الذى وجد فيه الاستعمار الفرنسى طريقه إلى أقطار الشمال الإفريقى العربية الإسلامية . وقاسى المسلمون تحت الحكم الاستعمارى فى حياتهم الاقتصادية والدينية والعلمية بما أثر فى قوتهم وفى حضارتهم التى كانت مزدهرة يوما ما .

وخير تصوير لحال المسلمين فى القرن التاسع عشر ما ذكره الكاتب الأمريكى «لوثروب ستودارد» فى كتابه « حاضر العالم الإسلامى عند حديثه عن اليقظة الإسلامية فى القرن التاسع عشر [١]. إذ يقول : كان العالم الإسلامى فى القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ. وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى، واستغرقت الأمم الإسلامية فى إتباع الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة فى الناس، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى فى العالم الإسلامى – فى ذلك العهد– سوى المستبدين الغاشمين، كسلطان تركيا وأواخر ملوك المغول فى الهند يحكمون حكما واهنا .

وفى حياة المسلمين الدينية والإجتماعية لعب رجال الدين المستبدين وغير الأمناء دورا سيئا، حيث كثر عدد الأدعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم فى الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس

١- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص٢٥٩ .

فضائل القرآن فصاروا يشربون الخمر ، وانتشرت الرذائل ، فقلت الأيدى وقعدت عن طلب الرزق وكاد العزم يتلاشى فى نفوس المسلمين، وبارت التجارة بوارا شديدا وأهملت الزراعة أيما إهمال [١].

وكانت مصر- منارة العالم الإسلامى آنذاك بوجود الجامع الأزهر وعلمائه ومؤسسات التعليم الحديث التى أوجدها محمد على وحفيده اسماعيل- تعيش هى الأخرى عصرا من الفوضى وسوء الحكم ، فلم يكن المصريون آنذاك يرون شئونهم العامة بل الخاصة ملكا لحاكمهم الأعلى ومن ينيبه عنه فى تدبير أمورهم ، يتصرف فيها بحسب إرادته ، ويعتقدون أن سعادتهم وشقائهم موكولان إلى أمانته وعدله، أو خيانته وظلمه، ولايرى أحد منهم لنفسه رأيا يحق له أن يبديه فى إدارة بلاده ، أو إرادة يتقدم بها إلى عمل من الأعمال يرى فيها صالحا لأمته، ولايعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم محكومون مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة ، وتضربه عليهم، وكانوا فى غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أو أوروبية [٢].

وكانت أحوال الشرق الإسلامى عامة تسير من سئ إلى أسوأ، فالجهل والخرافات والأوهام والعادات والبدع انتشرت بين المسلمين، كما انتشر بينهم داء الفرقة والخلاف فلا رابطة اجتماعية تجمعهم لتحقيق الخير لهم فأخذهم الفقر فى كل أقطارهم على غنى بلادهم واتساعها وخصبها ولكنهم بجهلهم لايعملون على الانتفاع ، وشملهم الذل والهوان على قوتهم وكثرة عددهم وتركوا بلادهم نهبا مقسما بين الأوروبيين ، ورضوا بأن يكونوا له خداما طائعين [٣].

ويمكن أن نضيف ما أصاب المسلمين من إسراف وتبذير فى الانفاق على أفراحهم وأمواتهم حتى يخسرون أموالهم وممتلكاتهم التى يأخذها الأجانب- إلى جانب داء التواكل الذى كبل عقولهم عن التفكير وأيديهم وأرجلهم عن العمل والسعى وأسلموا أمرهم للأجنبى ، وصاروا يتمسكون بأمثال مثبطة للهمم مؤدية للشلل الاجتماعى مثل قولهم «سيبها على الله» و «لا

١- محمود أبو رية : المرجع السابق ص٨ .

٢- رشيد رضا : تاريخ الأستاذ محمد عبده جـ١ ص٣٥ .

٣- محمود أبو رية : المرجع السابق ص١١ .

تفكر ولها مدبر» و «أصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب» و «مراد الخالق من الخلق ما هم عليـه » و «لهم - أى للأجانب- الدنيا ولنا الآخرة» ، و «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» .

كما يمكن أن نضيف أيضا توضيحا آخر لأحوال المسلمين سوء الحكم وقسوة الحكام الذين ساهموا فى سوء أحوال المسلمين بإبتزاز أموالهم بكل قسوة ، ويفرضون عليهم الجهل والأوهام ويعطون للأوروبيين إمتيازات اقتصادية ودينية وقضائية فى بلاد المسلمين لايتمتع بها المسلمون أنفسهم ، ومن ثم صارت حياة المسلمين نهبا للحكام الأتراك وللأجانب المحتمين بالإمتيازات ، فكانت تلك الأيام وبالا على الحكومة والأهالى جميعا ، وكانت سعدا وربيعا للتجار وأرباب البنوكة- المصارف- الغرباء الدخلاء الذين انتشروا بين أبناء البلاد إنتشار الذئاب بين الأغنام ، فأثقلت كواهل الفلاحين وغيرهم من الوطنيين بالديون الهائلة واضطرهم العجز لبيع أملاكهم ورهن عقاراتهم وأراضيهم أو الإنسلاخ منها بالكلية وأحاط بهم الفقر وصاروا فى أسوأ حال [١].

كانت تلك أحوال المسلمين التى أثارت مصلحا مثل جمال الدين الأفغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده المصرى للتقدم بفكرة الجامعة الإسلامية لعلاج تلك الأحوال التى كان أخطر ما فيها الاعتقاد الذى ساد المسلمين بوجود تعارض بين الإسلام كدين وعقيدة وبين التقدم المادى الحديث ، والنظر إلى الحضارة الأوروبية الحديثة نظرة شك وخوف مما يدفعهم إلى الابتعاد عن الأخذ بأسبابها، وساعدهم على ذلك وجود الحكم التركى الذى عمل على إبعاد المسلمين عن الأخذ بأسباب التقدم الحضارى الأوروبى، وفى نفس الوقت إعطاء الأجانب امتيازات متنوعة فى الأقطار الإسلامية حيث يمارسون الاستغلال والاحتكار ويكرسون فى المسلمين تخلفهم الحضارى .

١- المرجع نفسه : ص١٢ .

٢- رشيد رضا : المرجع السابق ص٥٦-٥٧ .

ثانيا الشخصيات التى ارتبطت بفكرة الجامعة الإسلامية :

ساد اعتقاد بأن حركة الجامعة الإسلامية كظاهرة من ظواهر اليقظة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ارتبطت بشخصية السيد جمال الدين الأفغانى وأنها ماتت بموته ، والحقيقة غير ذلك إذ أن فكرة الإصلاح الدينى والإجتماعى والسياسى وجدت عند السيد جمال الدين وهو فى بلاده أفغانستان كما وجدت عند تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده فى مصر، وعند السيد محمد رشيد رضا بعد اتصاله بالشيخ محمد عبده . ثم إن السلطان عبد الحميد الثانى سلطان الإمبراطورية العثمانية ارتبط بالجامعة الإسلامية حين أراد استغلالها لتدعيم سلطانه وفرض نفوذه على كل المسلمين حتى على أولئك الذين لم يخضعوا من قبل لسلطان الدولة العثمانية .

ولهذا كان علينا ونحن ندرس ظاهرة الجامعة الإسلامية أن نعرف مكونات كل شخصية من الشخصيات التى ارتبطت بها والجهود التى بذلتها كل شخصية فى سبيل تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية .

١- السيد جمال الدين :

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسينى الأفغانى ، ولد «بأسعد أباد» من أعمال «كابل» فى عام ١٢٥٤هـ الموافق لعام ١٨٣٨م [١]، من أسرة تنتسب إلى آل البيت حيث ينتهى نسبه إلى الحسين بن على رضى الله عنهما ، وهذا هو السبب فى تسميته بالسيد، ولعشيرته منزلة عالية فى قلوب الأفغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف [٢].

وبهذا نشأ محمد جمال الدين فى بيت شريف وبيت علم ودين ، واستزاد علما من أساتذة مدارس «كابل» القديمة بأخذه علوم اللغة العربية والتاريخ والعلوم الدينية والفلسفية، إلى جانب الطب والفنون الرياضة ، وأضاف إلى دراسته لهذه العلوم استفادته من دراسة أحوال

١- عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام ص٤٩٠ .

٢- محمود أبو رية : المرجع السابق ص١٥ .

ويذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق أن والد جمال الدين اسمه «صفدر» وهى كلمة فارسية من ألقاب الإمام على بن أبى طالب مركبة من كلمة (صف) العربية (در) من فعل دريان الفارسى بمعنى افترس أو اقتحم (كتاب العروة الوثقى ص١٧) .

الشعوب الإسلامية بتنقله بين أفغانستان والهند والحجاز ومصر وتركيا ، وتمرسه فى الأعمال الإدارية والسياسية بإرتباطه بالأمير الأفغانى «دوست محمد خان» والأمير «محمد أعظم خان» ، والخديوى إسماعيل بمصر لمدة ثمان سنوات من ١٨٧١ إلى ١٨٧٩، وحكام الدولة العثمانية بالأستانة وعلى رأسهم السلطان عبد الحميد الثانى .

وكانت شخصية محمد جمال الدين بما تميزت به من أسلوب عملى وإخلاص علمى هاديه فى كل قطر إسلامى ينزل فيه، ففى مكة أنشأ جمعية أطلق عليها «جمعية أم القرى» عام ١٨٥٧م وأصدر لها مجلة تنطق باسمها عرفت باسم «أم القرى» وتدافع عن أهداف الجمعية المتمثلة فى وحدة المسلمين لمواجهة الأخطار المحيقة بهم [١]، وفى الهند وأفغانستان أثار المسلمين ضد الحكم البريطانى وسياسته الاستبدادية والاستغلالية ، وفى استانبول أستقبل هناك عام ١٨٧٠ استقبالا وديا من قبل الحكومة والأوساط العلمية، هذه الأوساط التى استطاع أن يحدث فيها تأثيرا بعيدا بما ألقى من دروس ومحاضرات فى الجامعة المنشأة حديثا [٢].

وفى مصر عاش ثمانى سنوات فى رعاية وترحيب من الخديوى إسماعيل الذى شجعه على المضى فى دعوته الإصلاحية لأن ذلك يوافق غرض إسماعيل فى التصدى للنفوذ الأجنبى الذى يحاول سلب السلطة من صاحبها الشرعى، وعلى هذا فقد نجح جمال الدين فى تشكيل حزب من أنصاره وتلاميذه عرف بالحزب الوطنى [٣]، وكان أظهر تلاميذه الشيخ محمد عبده، وعندما نجحت إنجلترا فى حمل السلطان العثمانى على عزل الخديوى إسماعيل وتولية إبنه محمد توفيق مكانه عام ١٨٧٩م غضب توفيق من دعوة السيد محمد جمال الدين إلى الشورى لأنه اعتقد أن ذلك يؤدى إلى الحكم الجمهورى ، وهيجت تعاليمه الفلسفية شيوخ الأزهر الجامدين فرموه بالفسوق ، وكانت تعاليم السيد قد أوغرت عليه كذلك قنصل انجلترا العام [٤]، وانتهى الأمر بنفى السيد جمال الدين من مصر إلى الهند فى عام ١٨٧٩م .

١- عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص٤٩١ .

٢- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص٦١٧ .

٣- عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص٤٩٢ .

٤- محمود أبو رية : المرجع السابق ص١٨ .

ترك جمال الدين مصر بعد أن استطاع أن يبث فى نفوس الشبان المصريين الأمل فى التحرر من السيادة الأوروبية إذا ما اقتبسوا ثقافة الغرب المادية ومناهجه التعليمية إبتغاء الدفاع عن الإسلام بوصفه دينا أكثر إمعانا فى مضمار الرقي [١]، وقد جاءت تأثيرات جمال الدين الأعظم على طلاب الجامع الأزهر أثناء إقامته بمصر فى الفترة من مارس ١٨٧١م إلى شهر سبتمبر ١٨٧٩م [٢].

ومن الهند انتقل السيد جمال الدين إلى أوروبا حيث أقام فى باريس عام ١٨٨٣ وهناك التقى بالشيخ محمد عبده حيث أصدرا جريدة «العروة الوثقى» التى نطقت بأفكارها الداعية إلى محاربة تدخل الدول الأوربية فى شئون الأمة الإسلامية ، ومن باريس انتقل إلى لندن عام ١٨٨٦م ، ثم عاد إليها مرة أخرى فى عام ١٨٩٢م واشترك فى تأسيس مجلة شهرية سميت «أخبار الخافقين» التى كانت تصدر باللغتين العربية والإنجليزية[٣].

وانتقل السيد جمال الدين من فرنسا عام ١٨٨٦ إلى إيران ثم زار روسيا ، وقد بقى فى إيران حتى اضطر لمغادرتها بسبب هجومه على شركة الدخان الإنجليزية فى إيران ، فسافر إلى أوروبا حتى إذا كان عام ١٨٩٢م استدعاه السلطان عبد الحميد إلى الأستانة حيث بقى بها لمدة خمس سنوات وافته المنية بعدها فى ٩ مارس عام ١٨٩٧ ، وقد ذكر أنه مات مسموما .

كان هذا هو السيد محمد جمال الدين الذى نذر نفسه للدفاع عن حقوق الشعوب الإسلامية فى مواجهة القوى الاستبدادية المحلية والقوى الاستعمارية الأجنبية، وتلك كانت صفاته التى جعلت الجميع يعرفونه باسم «حكيم الشرق» وصارت هذه الصفة تتردد فى كتب الأدب العربى[٤]. ذلك أنه كان يدعو إلى إصلاح أحوال المسلمين فى الدنيا والدين، ويقصد به جميع المسلمين فى كل الأقطار ، وقد تأثر بدعوته هذه بعض طلاب الإصلاح فى مصر وفارس

١- كارل بروكلمان : المرجع السابق ص٦١٨ .

٢- Holt, P. M. : Egypt and the Feritle Crescent, p. 212 .

٣- محمود أبو رية : المرجع السابق ص١٩ .

٤- Kedourie , E. : Afghani and Abduh , p. 1 .

والدولة العثمانية[١]، وكان يتصور عودة الشعوب الإسلامية للعيش فى ظل حكومة إسلامية واحدة تتخلص من تأثيرات وتدخلات الأجانب السيئة .

٢- الشيخ محمد عبده :

هو محمد عبده خير الدين المصرى المولود بقرية محلة نصر مركز شبراخيت بالبحيرة عام ١٨٤٥م، والذى تعلم كما تعلم أبناء مصر آنذاك فى القرى حيث دخل الكتاب، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدى بطنطا فالجامع الأزهر بالقاهرة حيث تعلم على يد شيوخ الجامعين وعلى طريقتهم فى التعليم، وإن كان قد وقف على أحوال هؤلاء الشيوخ الذين يعيشون فى عزلة عن العالم فلايشعرون بما أصاب الإسلام والمسلمين، ولايهمهم إلا أنفسهم داخل الأزهر ، وبقوا على الجمود فى العلوم القديمة [٢].

وقد استفاد محمد عبده من أفكار السيد جمال الدين الأفغانى فارتبط به وبنى شخصيته ليتم مع جمال الدين الرسالة الإصلاحية للمسلمين التى يعمل من أجلها ، ومن ثم تعاون الرجلان خلال فترة وجود الأفغانى فى مصر وعندما رحل الأفغانى من مصر استمر محمد عبده يدعو إلى الإصلاح حتى نفاه الخديوى توفيق إلى لبنان ، ومن هناك ذهب إلى باريس والتقى بالأفغانى وأصدرا هناك مجلة العروة الوثقى الناطقة بلسان جمعية العروة الوثقى ، ثم عاد إلى مصر بعد أن عفا عنه الخديوى توفيق .

ومن الثابت أن الأفغانى استفاد من بلاغة الشيخ محمد عبده فى الترويج للأفكار الإصلاحية التى شارك الرجلان فى إظهارها ، وبذلك استحق محمد عبده اسم «الأستاذ الإمام» الذى أطلق عليه[٣]. ولايقلل من قيمة الأستاذ الإمام اضطراره إلى قصر إصلاحه على

١- عبد المتعال الصعيدى: المرجع السابق ص٤٩٥ .

ويضيف كتاب العروة الوثقى أن السيد جمال الدين لم يتعلق ببلد من البلاد على أنه وطن ، ولم تدخل فكرة الوطنية بهذا المعنى فى مذهبه الاجتماعى. الشيخ مصطفى عبد الرازق ص٢٨ .

٢- ويضيف الشيخ مصطفى عبد الرازق أنه نال العالمية من الدرجة الثانية بعد امتحان ظهر فيه أن الشيوخ ينقمون عليه نزعاته الفكرية المتأثرة بمذهب أستاذه الأفغانى . العروة الوثقى ص٣٢ .

٣- Kedourie, E. Ibid, p. 1 .

والسبب فى تسميته بالأستاذ الإمام أن دعوته الإصلاحية تقوم على أمور ثلاثة هى :

أ - تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لايخضع لسلطان غير سلطان البرهان ، ولايتحكم فيه زعماء الدنيا ولازعماء الأديان .

الأزهر والأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية التى تولى الإشراف عليها فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى، حيث كان الأستاذ الإمام يعتقد أنه لتجنب الصدام مع الإنجليز المسيطرين بقوات احتلالهم على مقدرات الأمور فى مصر فإن إصلاح هذه النواحى يؤدى إلى نهضة دينية واجتماعية تصلح بها نفوس الناس وإذا صلحت نفوس الناس تمسكوا بحقهم فى تحرير بلادهم من السيطرة الإنجليزية .

ورغم أن الأستاذ الإمام حرص على الإصلاح الدينى والإجتماعى والثقافى وتجنب الخوض فى الإصلاح السياسى ، إلا أنه كان شديد الحرص على تحقيق برامجه الإصلاحية فى هذه المجالات وقد أنتج هذا الحرص حربا لا هوادة فيها من رجال الدين الجامدين الذين كان يحركهم الخديوى عباس حلمى الثانى . وقد أثرت هذه الحرب فى مجهودات الأستاذ الإمام تأثيرا كبيرا بل وأثرت على حالته الصحية فعاجلته المنية عام ١٩٠٥ م .

٣- محمد رشيد رضا :

يعتبر السيد / محمد رشيد رضا حامل أفكار الأفغانى ومحمد عبده الإصلاحية باعتباره تتلمذ عليهما واتصل بالشيخ محمد عبده ولازمه حوالى سبع سنوات فى مصر ، ورشيد رضا لبنانى المولد حيث ولد بقرية قرب طرابلس الشام تعلم فيها القرآن والخط وقواعد الحساب ثم دخل المدرسة الرشدية[١] وهى مدرسة «إبتدائية» كان التعليم فيها باللغة التركية ، ودخل عدة مدارس دينية وأخذ بشئ من التصوف فبعد عن الوظائف الحكومية [٢].

وكان محمد رشيد رضا يتابع الحركة الاصلاحية التى يقودها الأفغانى ومحمد عبده ويقرأ كل ما يصدر عنهما خاصة فى مجلة «العروة الوثقى» والتقى بالإمام محمد عبده فى طرابلس الشام مرتين . ونحن عرفنا أن الأستاذ الامام كان منفيا فى لبنان لفترة ما كما ذكرنا ، ثم

= ب- إعتبار الدين صديقا للعلم لاموضع لتصادمها إذ لكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات البشر لاتغنى إحداهما عن الأخرى .

جـ - فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى .

١- كان السلم التعليمى يبدأ بما عرف بمكاتب المبتديان ، ثم المكاتب - أى المدارس- الرشدية ومعناها المدارس التى يدخلها من رشد من الأبناء أى الصبيان وهى توازى المدارس الإعدادية حاليا ثم المكاتب العالية وهى توازن الكليات الجامعية حاليا .

٢- عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص٥٣٩

رحل رشيد رضا إلى مصر عام ١٨٩٨م ولازم الأستاذ الامام وأصدر مجلة «المنار» التى حلت من حيث رسالتها محل مجلة العروة الوثقى، وبعد وفاة الأستاذ الامام استمر رشيد رضا فى حمل الأمانة وإن كان قد داهن الساسة كما فعل عندما أيد الملك أحمد فؤاد فى اتخاذ لقب خليفة بعد إلغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك ، كما أنه رغم أخذه بمذهب السلف إلا أنه كان يخالف بعض أئمة هذا المذهب إنطلاقا من تأثره بالصوفية وقد ظلت مجلة المنار تنطق بالدعوة الاصلاحية حتى وفاة السيد رشيد رضا عام ١٩٣٥ م .

ثالثا : فكرة الجامعة الإسلامية :

جاءت فكرة الجامعة الإسلامية حصيلة الظروف التى عاشها العالم الإسلامى وحصيلة تفاعل المصلحين - جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده - مع تلك الظروف ومن ثم الوصول إلى أفكار لمعالجة تلك الظروف ، ومن هنا يمكن القول أن جوهر هذه الفكرة يقوم على الأخذ بيد الشعوب الإسلامية - وليست الشعوب العربية فقط بل كل الشعوب الإسلامية والخاضعة للاستعمار الأوروبى فى آسيا وأفريقيا بصفة خاصة- لتحقيق الحرية أى التحرر من استبداد الحكام وتحرر البلاد من السيطرة الأوروبية ، وتحقيق التقدم أى إبعاد شبح الجمود الذى ران على أفكار المسلمين لكى يصلوا إلى ما وصلت إليه الشعوب الأوروبية فى ميادين الحياة المختلفة، والاعتماد فى ذلك على التعليم بمؤسساته التى تأخذ بأسباب العلم الحديث وتنفض عن نفسها الجمود فى الفكر وفى الأسلوب ، وإظهار مرونة الدين الإسلامى أى أن الإسلام دين كل زمان وكل مكان وأنه لايتعارض مع التقدم العلمى الحديث بل يؤكده .

وإذا كانت الفكرة تقوم أصلا على تحرر الشعوب الإسلامية لتجديد روحها المعنوية مستندة إلى عزة الإسلام الأولى وتراثه التليد، فإن الفكرة أشارت إلى أن ذلك يمكن تحقيقه بإنضواء جميع هذه الشعوب تحت حكم خليفة واحد تتجمع فى يديه السلطتين الدينية والسياسية ، وبذلك يعود للمسلمين ما كان لهم من قوة ومنعة زمن الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين فالعباسيين ، ولكن بشرط أن يبنى الخليفة الواحد حكما حديثا يأخذ بأسباب الحضارة الغربية المادية التى لاتتعارض مع الدين الإسلامى الحنيف[1] .

١- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ص٣٦٣٢ .

ويحدد جمال الدين فكرته بقوله : لقد نظرت إلى الشرق وأهله فوجدت أقتل أدوائه انقسام أهله وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربى المحدق بهم ، العروة الوثقى ص١٣ .

وصادفت فكرة الجامعة الإسلامية هوى فى نفس السلطان عبد الحميد الثانى سلطان الدولة العثمانية الذى تقلد السلطنة عام ١٨٧٦ ورأى السلاطين الذين سبقوه فقدوا مكانتهم الدينية نتيجة لتفكك العالم الإسلامى واستيلاء دول الاستعمار الأوروبى على مناطق تسكنها شعوب إسلامية منها مناطق كانت من ممتلكات الدولة العثمانية كمصر والسودان التى احتلتها القوات الإنجليزية ، والجزائر وتونس التى صارت تحت النفوذ والسيطرة الفرنسيتين ، إلى جانب سيطرة انجلترا على الهند وروسيا على وسط آسيا ، وهذه المناطق خرجت عن أن تكون خاضعة لسلطة الخليفة ، ومن ثم حاول عبد الحميد أن يجعل للسلطان سلطة مطلقة أكثر مما كانت متاحة للسلاطين السابقين ، تكون مؤيدة بفكرة الخلافة الإسلامية [1].

ورغم أن فكرة الجامعة الإسلامية عند الأفغانى ومحمد عبده لم تكن بالضرورة لتتحقق فى ظل الخلافة العثمانية ، فإن السلطان عبد الحميد استخدم الفكرة من أجل تقوية مركزه كسلطان للإمبراطورية العثمانية يتمتع بمكانة خاصة فى قلوب رعاياه المسلمين بإعتباره خليفتهم وظل الله على الأرض وحامى حمى الحرمين الشريفين، فأحاط نفسه بالعلماء واستخدم الوعاظ للدعاية لشخصه كما أبعد عن مجالسه وقصوره كل ما يتفق مع تعاليم الإسلام، واستخدم شريف مكة نفسه فى الدعاية له، خاصة وأنه أظهر الكرم فى الإنفاق على المؤسسات الإسلامية داخل ولايات الدولة وخارجها حيث اعتقد بتحسين مركز الإمبراطورية العثمانية بين الشعوب الإسلامية الخاضعة للحكم الإنجليزى والفرنسى والروسى، فينال هو شخصيا رئاسة كل مسلمى العالم الإسلامى .

وكان يمكن لفكرة الجامعة الإسلامية أن تجد قبولا وصدى أوسع وتنتشر بين الشعوب الإسلامية لو لم يتسم حكم السلطان عبد الحميد بالاستبداد مما جعل المعارضة لمشروعاته تتسع لتشمل إلى جانب الأتراك العرب والفرس والهنود، بل وغير المسلمين من أهل الولايات العثمانية ، هذا إلى جانب الأتراك العرب والفرس والهنود ، بل وغير المسلمين من أهل الولايات العثمانية ، هذا إلى جانب الدول الأوروبية التى أخذت تستغل أخطاء السلطان عبد الحميد فى ضرب أفكاره ومنعها من التطبيق بأثارة العرب ضد الأتراك، وكشف إدعاءات عبد الحميد الإصلاحية بإظهار استبداده وكبته للحريات وإلغائه للإصلاحات الدستورية وإبعاد الشخصيات المصلحة من على مسرح السياسة العثمانية بل والإسلامية .

١- Holt, P. M. : cit., p. 172 .

الطرق الصوفية

مقدمة على التصوف :

يمكن إرجاع التصوف الإسلامى إلى القرن الثالث الهجرى ، كما يمكن ملاحظة الأثر اليونانى والمسيحى فى سلوك المتصوفين . وقد اختلف الفقهاء فى معنى الصوفية فمن قائل أنها كلمة يونانية الأصل ترجع إلى كلمة Sophos ، ومن قائل أنها أطلقت على الزاهدين الذين كانوا يلبسون الصوف وهى تدل عندهم على شخص اختار أن يلبس أبسط أنواع الثياب ويتجنب كل نوع من الرفاهية أو العناية بالمظهر ويدللون على هذا الرأى بأن الفرس يستعملون فى مقابل هذه الكلمة لفظ «باسمينا- بوش » Pashmina Push [١].

ومن قائل أن أصل الكلمة مشتق من الصفاء وبهذا يجعلون معناها قريبا إلى معنى كلمة المتطهر التى شاع استعمالها فى المسيحية ، ومن قائل أنها تنسب إلى صفة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة ، ومن قائل أنها أطلقت فى الأصل على من يجلسون فى الصف الأول من المسلمين ، ومن قائل بأنها ترجع إلى تجنب صفو الدنيا ، ويدللون على ذلك بحديث شريف عن أبى حنيفة أن قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال ذهب صفو الدنيا وبقى الكدر، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم [٢].

والرأى عندى أن الكلمة ذات أصل يونانى خاصة وأننا ندرك التأثيرات اليونانية على الحضارة العربية الإسلامية التى ازدهرت فى القرن الثالث الهجرى وهو القرن الذى بدأت تظهر فيه فكرة التصوف ، وعلى أية حال فالتصوف ظاهرة إسلامية تقوم طريقة المتصوفين فيها- كما يذكر الإمام الغزالى- علي العلم والعمل وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المزمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكرى الله. وأن أخص خواصهم مالايمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات [٣].

١- ديلاس أوليرى : الفكر العربى .. ص١٩٠ .

٢- د. محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام .. ص٢٧٨ .

٣- الغزالى : المنقذ من الضلال ص١٢٣- ١٢٤ .

ولايمكن اعتبار التصوف بدعا يستنكر ، لأنه إنبثق ، كغيره من مناهج المعرفة فى الإسلام، من روح القرآن وجوهر رسالته ، وبدأ كما بدأت تلك المناهج مع الإسلام ، ثم نما وتطور ومشى مع خطو الحياة وسنة الله ، فأخذ المتصوفون يكونون لهم فلسفة فى الأخلاق وفى السلوك، وفى العبادة ، وأخذوا يجردون الأسباب من قوتها ويرجعون كل شئ إلى الله سبحانه، فأكسبهم ذلك عزة خلقية وسعادة روحية قوامها الرضا بقضاء الله وقدره ، واليقين بأن لا سلطان لقوة من قوى الأرض على مصائرها وحياتها [١].

وإذا كان التصوف قد بدأ الظهور فى المشرق الإسلامى - وبخاصة فى بلاد فارس- فإن الهجمة الصليبية على بلاد الشام - فى أواخر القرن الخامس الهجرى الموافق للقرن الحادى عشر الميلادى - قد دفعت بالمسلمين إلى التساؤل : كيف جرؤ أعداء المسلمين على قتل الأنفس المسلمة واستباحة أعراضها وأموالها وممتلكاتها ، إلا كونه غضب من الله على المسلمين لايمكن رفعه إلا بالرجوع إلى الله وتنفيذ أوامره وتجنب ما نهى عنه .

ونتيجة لما حدث فى الشرق الإسلامى أخذ تيار التصوف يشتد ويقوى فى العالم الإسلامى مشرقه ومغربه، على أنه يبدو أن تيار التصوف اشتد فى المغرب فى ذلك الدور بصورة أقوى وأسرع مما كان عليه فى المشرق ، وربما كان السبب فى ذلك هو قرب المغرب العربى من مركز الهجوم الأوروبى على بلاد المسلمين ، مما جعل أهل المغرب أكثر إحساسا بالخطر وبالتالى أكثر حماسة ورغبة فى التوبة والاستعداد الروحى والمادى [٢]، وأن اضطرهم هذا الخطر الذى لم يستطيعوا مدافعته أن يولوا وجوههم شطر المشرق العربى وبصفة خاصة فى مصر وذلك منذ القرن السابع الهجرى الموافق للقرن الرابع عشر الميلادى .

وقد يبدو من الصوفية أنها مذهب منظم لأنه يشار إلى «مراتب» الصوفية المختلفة وهى فى الحقيقة تدل على مقامات متعاقبة فى طريق التسامي الشخصى. ولقد كان من عادة المبتدئ السالك سبيل الله أن يضع نفسه تحت إرشاد قائد روحى ذى تجربة يعمل معلما له ويعرف بالشيخ أو المرشد ، وتتطلب هذه التلمذة طاعة عمياء مطلقة للمعلم ، وقد نتج عن تجميع المريدين حول معلم معروف أن رأينا نشأة طوائف الدراويش - المتصوفين- فى صورة

١- طه عبد الباقى سرور : الحلاج .. ص٢٦ .

٢- د. سعيد عاشور : السيد أحمد البدوى ص٣١ .

جماعات من الناس يسعون كما يسعى غيرهم فى طلب الرزق ولكنهم يجتمعون بين وقت وآخر لبعض العبادات أو الإرشادات الدينية، ويجتمعون أحيانا بوصفهم جماعات دائمة تعيش فى طاعة تامة تحت إرشاد شيخ [١].

وتدور طريقة الصوفيين فى السعى وراء الحقيقة للوصول إليها حول محاسبة النفس على الأفعال والتروك وآداب خاصة بهم واصطلاحات فى ألفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام فى الأذواق والمواجد العارضة فى طريقها وكيفية الترقى من ذوق إلى ذوق ، وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم . وهذه الاصطلاحات خاصة بمراتبهم بعضها معلوم وذائع على الألسنة وفى مجالسهم ، وبعضها يعد من الأسرار المكتومة [٢].

ويثور سؤال .. إذا كان هدف المتصوفين واحد وهو الوصول إلى الله فلماذا لم يكن طريقهم واحد، بمعنى لماذا تعددت الأساليب لتحقيق هذا الهدف ؟ لاشك أن الإجابة على هذا السؤال تتطلب فهما لإمتداد العالم الإسلامى والمشكلات التى واجهته وصعوبة الاتصال بين الناس فى ذلك الزمان ومن ثم صار لكل شيخ طريق أو طريقة كما يقول المثل العربى، ومن ثم تعددت الطرق وتفرعت ، فبعد أن كانت الصوفية تنتسب إلى أربعة من كبار الأولياء هم : عبد القادر الجيلانى وأحمد الرفاعى وأحمد البدوى وابراهيم الدسوقى [٣]، وعرفت طرائقهم بأسماء : القادرية والرفاعية والأحمدية والبرهامية ، انقسمت هذه الطرق إلى طوائف فرعية ، فعلى سبيل المثال انقسمت الطريقة الأحمدية الخاصة بأتباع السيد أحمد البدوى إلى ست عشرة طريقة [٤]، ورغم هذا التعدد فى الطرق فإن التصوف معناه تجنب الرفاهية بدافع من الزهد وإختيار البساطة فى اللباس من جانب الذين يسمون بهذا الاسم[٥] ، وأن الصوفى له ثلاث صفات هى :

١- ديلاسى أوليرى : المرجع السابق ص٢٠٤ .

٢- د. محمد لطفى جمعة : المرجع السابق ص٢٧٥- ٢٧٦ .

٣- على باشا مبارك : الخطط التوفيقية جـ٣ ص١٣٠ .

٤- د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص١٨٩ .

٥- ديلاسى أوليرى : المرجع السابق ص١٩٠ .

١- التمسك بالفقر والإفتقار .

٢- التحقق بالبذل والإيثار .

٣- ترك التعرض والإختيار .

وقد أجمع العلماء الصوفية فى تعريف الصوفى على أنه رجل أحب الله فآثره وكره الدنيا فزهد فيها [١].

ولأن الطرق الصوفية قد عرفت بأسماء أصحابها فقد سمعنا من رجال سجلهم التاريخ كأصحاب طرق صوفية مثل- إلى جانب من ذكرنا- الشيخ أحمد التيجانى صاحب الطريقة التيجانية وأبو الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الشاذلية وتلميذه أبو العباس المرسى، وأبو القاسم القبارى وكلهم من المغرب وفدوا إلى مصر، هذا إلى جانب أصحاب طرق أقل شهرة من أمثال الشيخ عبد السلام الأسمر بمدينة «زليتن» فى ليبيا ، والشيخ الدوكالى بقرية «مسلاتة» بليبيا كذلك وغيرهم ممن اتخذوا لأنفسهم زوايا يجتمعون فيها مع مريديهم ويقرأون معهم الأوراد ويؤدون الأذكار .

وكانت تلك الطرق الصوفية تمثل نشوة دينية لجأ إليها المجتهدون من أبناء الإسلام تقربا إلى الله واللجوء إليه فى مواجهة الأخطار الاستعمارية التى حاقت بالأقطار الإسلامية خاصة فى القرن التاسع عشر، فهى إذن مظهر لليقظة الإسلامية إلى جانب المظاهر الأخرى السابق الإشارة إليها وأعنى الدعوات السلفية الثلاث وفكرة الجامعة الإسلامية .

الطريقة القادرية :

ومما هو جدير بالذكر أن أشهر الطرق الصوفية كان لها فضل فى نشر الدين الإسلامى بين الأفارقة الوثنيين ، فالطريقة القادرية مثلا التى ينسب إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى المتوفى فى بغداد عام ١١١٦م وجد الزعيم الوطنى العراقى رشيد عالى الكيلانى ، انتشرت فى المغرب العربى انتشارا كبيرا ، ومن هناك انتشرت فى غرب أفريقيا حتى سيراليون ومصب نهر النيجر ، وكانوا ينشرون الإسلام بين الأفارقة بالأسلوب السلمى عن طريق التعليم والتجارة حيث يقوم أتباع الطريقة بفتح الكتاتيب لتعليم الأطفال الأفارقة

١- ديلاسى أوليرى : المرجع السابق ص١٩٠ .

٢- د. محمد لطفى جمعة : المرجع السابق ص٢٧٨ .

أوليات الدين الإسلامى والقراءة والكتابة باللغة العربية ثم يرسلونهم على نفقة زوايا الطريقة إلى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين بفاس والجامع الأزهر بمصر فيخرجون من هناك طلبة مجازين أى أساتذة ويعودون إلى تلك البلاد لأجل مقاومة التبشير المسيحى فى السودان[1].

الطريقة الشاذلية :

وأما الطريقة الشاذلية والتى تنسب إلى الحسن الشاذلى وتأسست فى المغرب فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى، فقد كانت من أولى الطرق الإسلامية التى أدخلت التصوف الإسلامى فى المغرب العربى، وأشتهر من شيوخها «سيدى العربى الدرقاوى» المتوفى عام ١٨٢٣م الذى كان يطلب من مريديه الطاعة العمياء لمشايخهم ، وبسبب تفانى أنصار الطريقة الشاذلية وخاصة الذين تأثروا بالشيخ الدرقاوى فقد اتصفوا بالحماسة الدينية وروح التضحية والفداء والرغبة فى الاستشهاد فلا عجب أن نجد أتباع هذه الطريقة يواجهون الغزو الفرنسى للمغرب الأوسط - الجزائر - وفى غرب أفريقيا مواجهة بطولية عنيدة .

الطريقة التيجانية :

وكانت الطريقة الثالثة التى أدت دورا فى نشر الإسلام بين الأفارقة هى الطريقة التيجانية التى تنتسب إلى مؤسسها «أحمد بن محمد التيجانى» المتوفى فى مدينة فاس عام ١٧٨٢م، وقد صار للطريقة أتباع كثيرون فى السودان والسنغال حتى المحيط الأطلنطى ، وكانوا من أشد أنصار الإسلام، والتفوا حول زعيم محلى للطريقة فى السنغال يدعى الحاج عمر المولود فى قرية على نهر السنغال عام ١٧٩٧م وتعلم فى زوايا الطريقة التيجانية وتعلم أيضا فى الجامع الأزهر بمصر ثم عاد إلى وطنه عام ١٨٣٣م، ومن هناك أخذ ينشر الإسلام بين الوثنيين من الأفارقة تارة بالطريقة السلمية وتارة أخرى بالحرب، وعندما مات الحاج عمر عام ١٨٦٥م أثناء إحدى المعارك ضد إحدى القبائل الوثنية بغرب أفريقيا ترك للطريقة التيجانية سلطنة إسلامية عظيمة فى وسط البلاد-السنغال واجهت الاستعمار الفرنسى أواخر القرن التاسع عشر، حتى اعتبر الفرنسيون وجود هذه السلطنة التيجانية فى وسط السودان خطرا عظيما على مشروعاتهم [2].

١- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى جـ٢ ص٣٩٦ .

٢- المرجع السابق .. ص٣٩٧ - ٣٩٨ .

الطريقة السنوسية :

وأما السنوسية التى يعدها البعض طريقة صوفية ، فقد ساهمت فى نشر الإسلام فى «واداى» و«الباجرمى» و«بورنو» ونواحى بحيرة تشاد ، وكانت طريقة السنوسيين فى نشر الإسلام بين الأفارقة تقوم على شراء الأرقاء صغارا من تجار الرقيق الذين يجلبونهم من السودان ويربونهم فى زواياهم سواء بالجغبوب أو غيرها ، فإذا بلغوا أشدهم وأكملوا تحصيل العلم أعادوهم إلى بلادهم فيهدون أهليهم [١]، إلى جانب الدعاة السنوسيين الذين انتشروا فى غرب أفريقيا بصفة خاصة بالإضافة إلى مقاومة السنوسيين من زواياهم للغزو الفرنسى على غرب أفريقيا .

١- د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص٥٠ .

الفصل الخامس

أشكال العمل الإسلامى المشترك

منظمة المؤتمر الإسلامى .

رابطة العالم الإسلامى .

رابطة الجامعات الإسلامية .

منظمات أخرى .

منظمة المؤتمر الإسلامى

وتحقيقا لهذه الأهداف كان لابد من وجود هيئة تنسيق بين الشعوب والحكومات الإسلامية بعضها مع بعض ، ومن ثم ظهرت على الساحة الإسلامية دعوة لتجسيد الوحدة الإسلامية فى صورة عملية ، وجاء هذا التجسيد فيما أصبح حقيقة واقعة وأعنى «منظمة المؤتمر الإسلامى» الذى صارت له أمانة عامة وعدة هيئات أو منظمات تتبعها .

شهد النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين للميلاد) قيام أكبر منظمة للعالم الإسلامى ، وانعقد أول مؤتمر قمة إسلامى لها فى الرباط عاصمة المملكة المغربية فى رجب سنة ١٣٩٨هـ (سبتمبر ١٩٦٩م) وفى غضون السنوات التالية عقدت العديد من مؤتمرات القمة ومؤتمرات وزراء الخارجية الإسلامية للنظر فى القضايا الإسلامية الملحة التى تجابه الشعوب الإسلامية واستطاعت على هذا المدى القصير أن تكون واحدة من أبرز المنظمات العالمية بحكم مئات الملايين من القوى البشرية التى تمثلها وانتمائها لآخر وأعظم الديانات السماوية بالإضافة إلى أهمية الموضوعات التى تتناولها والتى تشكل جزءا هاما من قضايا الإنسانية المعاصرة .

أولا : عوامل ظهور المنظمة :

ولقد كان ظهور المنظمة على مسرح التاريخ المعاصر نتيجة لعوامل متعددة نبرز أهمها فيما يلى :

١- مشكلات الأقليات الإسلامية :

نتيجة لحركة المد الاطرادى العكسى بين زيادة انتشار الدين الإسلامى، وانحسار النفوذ السياسى لبعض الدول الإسلامية ، بسبب السياسة الاستعمارية، ظهرت أقليات إسلامية ، فى إطار دول غير إسلامية . وارتبط ذلك بتعرض هذه الأقليات ، لاضطهادات دينية وسياسية واقتصادية ، اتخذ بعضها دورا حادا ، أقرب إلى محاولات الإبادة منه إلى شئ آخر كما هو الحال بالنسبة لمسلمى الفلبين ، ووسط آسيا وجنوب أفريقية، واتخذ بعضها محاولات الادماج والإمتصاص كما هو الحال بين مسلمى قبرص وإرتريا . بالإضافة إلى تعرض بعض المسلمين فى مناطق كثيرة من أنحاء العالم لإضطهادات دينية وسياسية واقتصادية . وقد شجع هذه

الحركة المضادة للإسلام ما لقيته من نجاح فى مراحل سابقة فى ميادين أخرى نخص بالذكر منها إنهاء الوجود الإسلامى فى كل من أسبانيا وصقلية وكريت وغيرها .

وعلى الرغم من وجود المنظمات الدولية المعروفة إلا أنها لم تكن صالحة لمجابهة هذه القضايا التى طالما نظر إليها على أنها قضايا داخلية لاتجيز مواثيق هذه المنظمات التدخل فيها وحتى الجامعة العربية كان ميثاقها يقف عاجزا عن التصدى بإيجابية لهذه المشكلات تمشيا مع نصوص ميثاقها بالإضافة إلى تشابك الظروف الدولية السياسية والاقتصادية فى عالمنا المعاصر وهو ما سوف نفرد له بندا خاصا فى هذه العوامل .

ومن أجل ذلك كان لابد من وجود منظمة إسلامية تختص بالنظر فى هذه المشكلات والقضايا بعيدا عن الحساسيات المختلفة .

٢- مشكلات التخلف الحضارى :

ليس من شك فى أن المد الاستعمارى بوجه خاص والسياسة الإمبريالية بوجه عام قد ساعد على تثبيت التخلف الحضارى فى كثير من البلاد الإسلامية التى تعرضت للاحتلال الأجنبى بسبب السياسة الاقتصادية التى كانت تجعل من هذه البلاد مناطق استهلاك لمصنوعات ومنتجات الدول الصناعية الكبرى .

ولذلك فقد كانت عملية الاحتلال الأجنبى تعمل على إعاقة أى نمو حضارى يمكن أن يحرم الدول الكبرى من استنزاف ثروات البلاد المغلوبة على أمرها وحتى بعد أن حصلت كثير من البلاد الإسلامية على استقلالها فإن فروق مسافات التخلف بين أولئك الذين سبقوا على الطريق وأولئك الذين يلهثون من أجل التقدم ظلت طويلة وشاقة ليس فقط بسبب المعوقات التى تضعها الدول المستقلة فى طريق النمو والتقدم وإنما أيضا بسبب الحاجة إلى موارد التمويل والأساليب التنظيمية والتقنية الحديثة بالإضافة إلى الخبرات والإمكانيات المطلوبة فى هذا السبيل وكان أخطر ما فسرت به هذه الظاهرة ادعاء التناقض بين معطيات الإسلام والنهضة العلمية المعاصرة ومن أجل ذلك كان لابد من تنظيم إسلامى يجابه كل هذه المشكلات ويساعد على تجاوزها خاصة بعد أن توافرت الإمكانيات المادية لدى الدول البترولية الإسلامية والإمكانيات والخبرات التقنية لدى بعض الدول الإسلامية التى سبقت على الطريق .

٣- تجاوز الحساسيات الشكلية فى جامعة الدول العربية :

الجامعة العربية ضرورة قومية يجب أن يسعى الجميع لتدعيمها وتقويتها حيث أنها فى النهاية المعتصم الأخير الذى تلجأ إليه الدول العربية كلما أدلهم بها الأمر أو استعصى عليها الاتفاق على حل ومهما قيل عن إمكانياتها المحدودة وسلبياتها التى تنعكس عليها من واقع العالم العربى فهى الأمل المرتجى الذى يحاول فيه زعماء الأمة العربية أن يتناسوا خلافاتهم ويضمدوا جراحاتهم .

ولكن الجامعة العربية بمواثيقها التقليدية المرتبطة بمواثيق المنظمات الدائرة فى فلك المنظمات الدولية تحول بينها وبين مناقشة مشاكل الأقليات الإسلامية فى الدول المختلفة لأن ذلك يتعارض مع حقوق الدول فى سيادتها الداخلية بالإضافة إلى تشابك المصالح العربية وغير العربية فى كثير من الموضوعات والمشكلات والقضايا السياسية الهامة التى تحتاج فيها الجامعة العربية دعما دوليا على مستوى المنظمات السياسية الكبرى .

ومن أجل ذلك فكثيرا ما كانت تتجاوز جامعة الدول العربية النظر فى كثير من القضايا الإسلامية الهامة وفى مقدمتها مشاكل المسلمين فى الفلبين وقبرص وإرتريا وجيبوتى وغيرها مما كان يؤدى فى كثير من الأحيان إلى تجميد هذه المشكلات فضلا عما كان يصيب هذه الأقليات الإسلامية من أسى عميق يتولد عن الشعور بإغفال الجامعة العربية لأوضاعها المريرة .

ومن هنا كان لابد من إيجاد منظمة إسلامية تتخطى هذه الحواجز والحساسيات وتقدم المساعدات والإمكانيات المادية والعسكرية والحضارية للأقليات الإسلامية المغلوبة على أمرها .

٤- حريق المسجد الأقصى فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩م :

كان السبب المباشر الذى حول الحلم إلى حقيقة ما أقدمت عليه إسرائيل فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩م جريا على سياستها العدوانية من عملية تخريب كبرى لبعض الأماكن الإسلامية المقدسة فى فلسطين المحتلة وانتهاك حرماتها وبلغت ذروة ذلك الانتهاك بالحريق الذى أشعلته فى المسجد الأقصى ونتجت عنه أضرار فادحة سببت الذعر عند أكثر من ثمانمائة مليون من المسلمين مما دعا إلى ضرورة تصدى الدول والشعوب الإسلامية لهذا الحدث الخطير وإذابة كل الحساسيات التى كانت تثار حول إنشاء المنظمة الإسلامية .

ثانيا : مؤتمرات المنظمة :

كان حريق المسجد الأقصى العامل الأول فى عقد أول مؤتمر قمة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بعد أقل من شهر لهذا الحادث الخطير بمدينة الرباط فى رجب ١٣٨٩هـ (سبتمبر ١٩٦٩م) وحضره ملوك ورؤساء سبع وعشرين دولة عربية وإسلامية وممثلون من منظمة التحرير الفلسطينية كمراقبين ولم تحضر كل من سوريا والعراق وقد ندد المؤتمر بهذا الحادث الخطير وطالب المؤتمرون كلا من فرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأخذ بعين الاعتبار وضع الحرم القدسى بالنسبة للمسلمين فى مختلف أرجاء الأرض وعزم الحكومات الإسلامية على تحرير القدس ورفضهم لموقف إسرائيل من ضم القدس الشرقية إلى عاصمة الدولة الصهيونية بالإضافة إلى ضرورة الإنسحاب من الأراضى العربية التى احتلت بعد عام ١٩٦٧م ومساندتهم الكاملة للشعب الفلسطينى فى كفاحه من أجل استرداد أراضيه مع ترك التفصيلات لمؤتمر يعقد على مستوى وزراء خارجية الدول العربية والإسلامية فى جدة فى محرم ١٣٩٠هـ (فبراير / مارس ١٩٧٠م) وأهم ما يلاحظ فى هذا المؤتمر الأول ما يلى :

أولا : أن هذا الاجتماع كان أقرب إلى مؤتمر مجابهة لمسألة حريق المسجد الأقصى أكثر منه مؤتمرا للمنظمة الإسلامية ويتضح لنا ذلك من قراراته التى اقتصرت على شجب موقف إسرائيل من هذا الحادث العدوانى الخطير إضافة إلى القرارات التقليدية المعتادة لجامعة الدول العربية وفى مقدمتها المطالبة بجلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضى التى احتلت بعد عام ١٩٦٧ .

ثانيا : تردد بعض الدول التى تنهج نهجا اشتراكيا فى سياستها فى حضور هذا المؤتمر وفى مقدمتها العراق وسوريا اللتان امتنعتا عن حضور المؤتمر بالإضافة إلى مصر التى حضرت كعضو مراقب ولو أنها كانت قد خرجت جريحة من عدوان سنة ١٩٦٧م فلربما كانت حذت حذو الدولتين الأخريين وقد كان ذلك راجعا إلى التصور الذى وقر فى أذهان هذه الدول من وجود تناقض بين فكرة المؤتمر الإسلامى والجامعة العربية .

ثالثا : قلة عدد الدول الإسلامية والعربية التى شاركت فى هذا المؤتمر إذا قورنت بعضوية منظمة المؤتمر الإسلامى آنذاك التى تضم واحدا وأربعين دولة إسلامية وعربية هى المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية الغينية والجمهورية الأندونيسية وإيران والمملكة الأردنية الهاشمية وجمهورية لبنان والمملكة المغربية والجمهورية الليبية والجمهورية

التونسية وجمهورية الجزائرة الديمقراطية الشعبية وجمهورية بنجلاديش الشعبية وجمهورية أفغانستان والجمهورية العراقية وجمهورية النيجر والجمهورية التركية وجمهورية أوغندة وإتحاد ماليزيا وجمهورية زامبيا وغينيا بيساو وجمهورية الكاميرون ودولة الإمارات المتحدة وجمهورية تشاد وجمهورية مالى ودولة قطر وسلطنة عمان ودولة الكويت والجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وجمهورية موريتانيا الإسلامية ودولة البحرين وجمهورية جابون وجمهورية سيراليون وجمهورية باكستان الإسلامية وجمهورية السنغال وجزر القمر ومالديف وجمهورية السودان والجمهورية العربية السورية وفلسطين .

رابعا : عدم تمثيل الجامعة العربية فى هذا الاجتماع لما سبق أن ذكرت من أنه كان هناك تصور خاطئ بوجود تناقض بين المنظمتين الإسلامية والعربية . وكان اشتراك أمين الجامعة العربية فى جلسات منظمة المؤتمر الإسلامى اعتبارا من المؤتمر الثالث الذى عقد فى كراتشى شوال سنة ١٣٩٠هـ (ديسمبر ١٩٧٠م) ولم تحضره العراق وسوريا أيضا وبدأ اشتراك سوريا فى المؤتمر الرابع الذى عقد فى جدة فى محرم سنة ١٣٩٢هـ مارس سنة ١٩٧٢م وهو من أخطر مؤتمرات المؤتمر الإسلامى ثم بدأ حضور العراق بعد ذلك .

ولقد بدأ المؤتمر فى جلسته الثانية التى عقدت فى جدة فى محرم سنة ١٣٩٠هـ (فبراير – مارس ١٩٧٠م) بحضور وزراء خارجية الدول الإسلامية والعربية يضع الأسس التظيمية لتشكيله فقرر إنشاء أمانة دائمة للمؤتمر الإسلامى يكون مقرها جدة إلى أن تتحرر القدس فينتقل إليها على أن تكون هذه الأمانة حلقة إتصال بين الدول الإسلامية مهمتها متابعة تنفيذ القرارات والإعداد للدورات القادمة واتخذ المؤتمر قرارا باعتبار يوم ٢١ أغسطس من كل عام (يوم حريق المسجد الأقصى) يوم التضامن مع الشعب العربى الفلسطينى .

ويعتبر المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذى عقد فى جدة (فى محرم سنة ١٣٩٢هـ فبراير / مارس سنة ١٩٧٢م) من أخطر اجتماعات المؤتمر حيث صودق فيه على ميثاق المؤتمر الإسلامى بشأن تعزيز التضامن ودعم التعاون فى المجالات الاقتصادية والثقافية والمجالات الأخرى بين الدول الإسلامية كما تقرر إنشاء المؤسسات التالية :

١- إنشاء وكالات أنباء إسلامية دولية فى جدة تكون مركزا لأهم الأنباء والأحداث الإسلامية ويتم تداولها ونشرها على الأعضاء .

٢- إنشاء منظمات ومراكز ثقافية إسلامية مهمتها نشر وحماية العقيدة والثقافة الإسلامية على أن تكون من اختصاصات دائرة الشئون الثقافية بالأمانة العامة ويشرف عليها مساعد الأمين العام وتختص بالجوانب التالية :

(أ) رعاية الجماعات الإسلامية ماديا وثقافيا فى جميع بلدان العالم الإسلامى.

(ب) جمع المعلومات ذات الطابع الثقافى ودراستها وتداولها .

(ج) نشر الكتب المتعلقة بالدين الإسلامى والثقافة الإسلامية بالإضافة إلى قضايا العالم الإسلامى الكبرى وفى مقدمتها القضية الفلسطينية وقضايا الأقليات الإسلامية فى العالم .

(د) تنظيم دورات تدريبية للمسئولين عن المراكز الثقافية الإسلامية .

(هـ) تنشيط الألعاب الرياضية وإقامة المباريات بين الدول الإسلامية .

(و) إنشاء مركز للبحوث الإسلامية .

(ز) جمع الإحصاءات وإعداد الدراسات عن أحوال الجماعات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية .

(ح) إنشاء مجلة إسلامية دورية تنطق باسم المؤتمر الإسلامى .

(ط) إنشاء جامعة إسلامية تفتح أبوابها لكل أبناء الشعوب الإسلامية .

٣- الموافقة على اقتراح مصر بإنشاء البنك الإسلامى الدولى مهمته الدراسة العلمية وإعطاء المشورة فى الموضوعات الاقتصادية على أن تكون له إدارة مالية واقتصادية لخدمة العالم الإسلامى .

وقد تعرضت المؤتمرات الإسلامية التى عقدت لكافة القضايا الإسلامية الهامة وفى مقدمتها عدوان البرتغال على غينيا وقضية المسلمين فى الفلبين وتضامن الدول الإسلامية مع الشعوب الإفريقية المكافحة ضد الاستعمار والتمييز العنصرى وقضايا المسلمين فى قبرص وإرتريا وجيبوتى وغيرها من القضايا الإسلامية الملحة ووقفت إلى جانبها تساندها ماديا وسياسيا وإعلاميا وفكريا .

وقد اجتمع وزراء الخارجية للدول الإسلامية فى دورته رقم ١٢ بمدينة «إسلام أباد» الباكستانية خلال شهر رجب ١٤٠٠هـ الموافق شهر مايو ١٩٨٠ وذلك لمناقشة أهم قضيتين على الساحة الإسلامة وهما :

١- الغزو السوفيتى لأفغانستان .

٢- قضية فلسطين .

وقد اتخذ المؤتمر فى ٨ رجب ١٤٠٠هـ الموافق ٢٢ مايو ١٩٨٠م عدة قرارات أهمها :-

١- أعرب المؤتمر عن قلقه العميق لما يعانيه الشعب الأفغانى وللتدفق المستمر للاجئين الأفغانيين إلى باكستان وإيران .

٢- قرر المؤتمر تشكيل لجنة لزيارة موسكو للتفاوض بشأن مشكلة أفغانستان .

٣- توجيه نداء إلى جميع دول العالم لتقديم المساعدة لتخفيف آلام اللاجئين الأفغانيين .

٤- كرر المؤتمر مطالبه بالإنسحاب الفورى والكامل وغير المشروط لجميع القوات السوفيتية المرابطة فى الأراضى الأفغانية ، وأهاب بجميع الدول لإحترام سيادة أفغانستان ووحدة أراضيها واستقلالها السياسى وإنتمائها للإسلام .

٥- أكد المؤتمر التزام جميع الدول الإسلامية بتنفيذ جميع القرارات الإسلامية السابقة والمتعلقة بمدينة القدس .

٦- اعتبر المؤتمر قرار العدو الإسرائيلى الأخير بضم مدينة القدس الشريفة وجعلها عاصمة لكيانه الصهيونى العنصرى قرارا باطلا ولاغيا وغير مشروع وتحديا لمشاعر المسلمين جميعا ، ودعا المؤتمر جميع المسلمين لمقاومته .

١- جريدة الراية القطرية - الدوحة العدد ١٤٠ السنة الثانية السبت ١٠ رجب ١٤٠٠هـ/ ٢٤ مايو ١٩٨٠ م .

تعليق

منذ قامت منظمة المؤتمر الإسلامي وهي تخطو خطوات جادة على طريق العمل الإسلامي المشترك ، ورغم أن الشائع هو أن مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي انعقد بمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية في شهر سبتمبر عام ١٩٦٩م هو العام التأسيسي للمنظمة ، فإننا مع الرأي القائل بأن التاريخ الحقيقي لإنشاء المنظمة هو قرار المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد بمدينة جدة السعودية في شهر فبراير / مارس ١٩٧٢م بالمصادقة على مشروع ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي الذي قدمته الأمانة العامة وناقشه المؤتمر ، فبهذا القرار أصبح لدى منظمة المؤتمر الإسلامي أمانة عامة دائمة وميثاق دولي، أي أصبح هناك تنظيم دولي، وفي فبراير ١٩٧٣م اكتمل النصاب القانوني لتصديقات الدول الأعضاء على الميثاق، ومما يؤكد صحة هذا الأمر الخاص بتاريخ إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي أن قراءة إعلان مؤتمر القمة الإسلامي الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الأول المنعقد بمدينة الرباط توضح أن إنشاء المنظمة لم يكن واردا في جدول الأعمال أو في قرارات المؤتمر[1] .

وقد ظهرت للوجود مؤسسات منبثقة من منظمة المؤتمر الإسلامي تسهم في نشاط العمل الإسلامي الذي ترعاه المنظمة ، وهذه المؤسسات هي :

١- اللجنة الإسلامية للشئون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

٢- مركز البحوث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب ومقره مدينة أنقرة عاصمة تركيا .

٣- مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، ومقره مدينة استانبول .

٤- المركز الإسلامي للتدريب المهني والتقني والبحوث ، ومقره مدينة دكا عاصمة بنجلاديش .

٥- المركز الإسلامي لتنمية التجارة ، ومقره مدينة الدار البيضاء بالمغرب .

١- د. محمد السيد سليم : فعالية منظمة المؤتمر الإسلامي دراسة تقويمية : مجلد السياسة الدولية العدد ١١١ يناير ١٩٩٣ص١٤ .

٦- المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية . مقرها مدينة جدة .

٧- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومقرها مدينة فاس بالمغرب .

٨- الإتحاد الإسلامى لمالكى البواخر ومقره مدينة جدة .

٩- الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع ومقره مدينة كراتشى بباكستان .

١٠- وكالة الأنباء الإسلامية الدولية ومقرها مدينة جدة .

١١- البنك الإسلامى للتنمية الذى افتتح رسميا للعمل بمدينة جدة عام ١٩٧٥م وهو يمثل أهم مؤسسات المنظمة الاقتصادية [١].

وكان قد تم إنشاء الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بقرار من المؤتمر الأول لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد فى جدة فى شهر مارس ١٩٧٠م. وتضم المنظمة حتى عام ١٩٩٠م ٤٥ دولة إسلامية - وقد زاد العدد فأصبح ٥٠ دولة بعد قبول عضوية دول أخرى خلال السنوات الست الماضية- وهى بذلك تعادل حجم عضوية منظمة الوحدة الأفريقية، كما أنها تزيد عن ضعف حجم عضوية جامعة الدول العربية . ومن ناحية أخرى فإن منظمة المؤتمر الإسلامى تكاد أن تكون التنظيم الدولى الإقليمى الحكومى الوحيد الذى ينهض على أسس دينية، وهى الانتماء إلى الإسلام مما يعطيها صفة متميزة عن باقى التنظيمات الإقليمية[٢].

وكان من أهم أهداف منظمة المؤتمر الإسلامى رعاية شئون الأقليات الإسلامية فى الفلبين وغيرها والإهتمام بمشكلات المسلمين فى أفغانستان والبوسنة والهرسك والشيشان وغيرها ، إلى جانب تسوية المنازعات بين الدول الأعضاء بالطرق السلمية عن طريق اقتراح إنشاء جهاز سياسى تكون مهمته فض المنازعات بين الدول الإسلامية دون اللجوء للحرب ، أو عن طريق اقتراح إنشاء محكمة عدل إسلامية دولية .

١- المرجع السابق ص٣٤-٣٥ .

٢- د. محمد السيد سليم : منظمة المؤتمر الإسلامى وتسوية المنازعات ، مجلة السياسة الدولية العدد ١٠٥ يوليو ١٩٩١ ص٣٦ .

ورغم أن هذه الآليات- جهاز فض المنازعات كجهاز سياسى ، ومحكمة العدل الإسلامية

الدولية- تعثرت خطوات إنشائها ، فإن المنظمة تدخلت فى النزاعات المريرة بين بعض الدول الإسلامية مثل [١]:

١- النزاع بين الباكستان وبنجلاديش عام ١٩٧١م - ١٩٧٤م .

٢- النزاع بين سوريا والأردن عام ١٩٧١م .

٣- النزاع بين العراق والكويت عام ١٩٧٣م .

٤- النزاع بين العراق وإيران عام ١٩٧٤ م .

٥- النزاع بين مالى وفولتا العليا عام ١٩٧٤ م .

٦- النزاع بين المغرب والجزائر عام ١٩٧٦م .

٧- النزاع بين اليمن الشمالية واليمن والجنوبية عام ١٩٧٩ م .

٨- النزاع بين تشاد وليبيا عام ١٩٨٠م .

٩- النزاع بين العراق وإيران عام ١٩٨٠- ١٩٨٨م .

١٠- النزاع بين مالى وبركينا فاسو عام ١٩٨٥ م .

١١- النزاع بين موريتانيا والسنغال عام ١٩٨٩م .

١٢- النزاع بين العراق والكويت عام ١٩٩٠ - ١٩٩١ م .

وهكذا أسهمت منظمة المؤتمر الإسلامى فى العديد من القضايا التى تهم العالم الإسلامى، ولعل فى استعراضنا لمقررات مؤتمر القمة الإسلامى السابع والمؤتمر الإسلامى الثانى والعشرون لوزراء الخارجية المنعقدين بمدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية فى الفترة من ٨ إلى ١٣ رجب عام ١٤١٥هـ الموافق للمدة من ١٠ إلى ١٥ ديسمبر عام ١٩٩٤ م مما يشير إلى بعض جهود المنظمة .

أعتمد المؤتمر تقرير الإجتماع الوزارى التحضيرى الذى قدمه الدكتور عبد اللطيف الفيلالى، الوزير الأول، وزير الخارجية والتعاون بالمملكة المغربية. كما رحب بإنضمام جمهورية

١- المرجع السابق ص٣٧-٤٧ .

موزامبيق، كعضو كامل فى منظمة المؤتمر الإسلامى ووافق بالإجماع على طلب إنضمام جمهورية البوسنة والهرسك بصفة مراقب فى المنظمة . كما سجل المؤتمر تقديره لتقرير فخامة الرئيس عبده ضيوف ، رئيس جمهورية السنغال ورئيس مؤتمر القمة الإسلامى السادس وكذلك للتقارير التى قدمها رؤساء كل من لجنة القدس ، واللجنة الدائمة للإعلام والشئون الثقافية ، واللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى ، واللجنة الدائمة للتعاون العلمى والتكنولوجى.

وصادق المؤتمر على إعلان الدار البيضاء وأقر تعميمه ، كما صادق على بيان بشأن البوسنة والهرسك وعلى بيان خاص بشأن جامو وكشمير . وقرر المؤتمر أن يكون عام ١٩٩٥م عاما للإحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى فى جميع الدول الأعضاء، كما طلب من الأمين العام أن يقيم احتفالا خاصا بهذه المناسبة فى مقر المنظمة بالتنسيق مع دولة المقر . كما عبر المؤتمر عن إصراره على تقديم صورة صحيحة عن الإسلام والأخذ فى ذلك بروح الإجتهاد فى الإسلام المبنى على الأسس الكلية للشريعة الإسلامية. وندد بسوء نية الأوساط التى تنتهز كل فرصة للإساءة إلى الإسلام أو تقديمه كنقيض للتقدم والتطور أو خطر يهدد أسس حضارة العصر. ورفض بشدة هذه الصورة المشوهة عن الإسلام لتبرير الاعتداء على الشعوب والبلدان الإسلامية واحتلال أراضيها . واستنكر طريقة الكيل بمكيالين التى تلجأ إليها الأوساط المعادية للإسلام كلما تعلق الأمر بقضية عادلة تهم الأمة الإسلامية ، وأكد استعداد الأمة الإسلامية النابع من تعاليم الإسلام للتحاور البناء مع الديانات السماوية فى إطار التسامح واحترام الشريعة الدولية .

ورحب المؤتمر بالإسهام الذى قدمته المنظمة من أجل قضية التضامن الإسلامى والتعاون إبان السنوات الخمس والعشرين التى خلت ، وأقر كذلك بأهمية دور المنظمة فى بلورة التعاون بين الدول الأعضاء للتصدى للتحديات ، وأكد أهمية تقييم إنجازات المنظمة وإستعراض قدراتها على مواجهة التحديات من أجل تعزيز فعاليتها وموقفها من الأحداث ، وقرر تكوين فريق من الشخصيات البارزة فى شتى المجالات من أجل تقييم إنجازات المنظمة خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية ، ولتحديد مواطن قوتها وضعفها، ولإستعراض أهدافها فى ضوء الظروف المتغيرة ورفع توصيات إلى المؤتمر الإسلامى الثالث والعشرين لوزراء الخارجية، حول التدابير التى يجب إتخاذها من أجل تعزيز فعاليتها وموقعها باعتبارها جهازا للتضامن الإسلامى

والتعاون ووضع خطة مستقبلية شاملة لتوسيع نطاق التعاون وتعزيزه فى مجالات التنمية فى البلدان الأعضاء من أجل تقدم الأمة الإسلامية .

وفى المجال الثقافى ، أشاد المؤتمر بمشروع وثيقة حقوق الطفل ورعايته فى الإسلام وناشد الدول الأعضاء إدراج الإستراتيجية الثقافية ضمن مشاريعها الثقافية والتربوية والتعليمية . كما أعرب المؤتمر عن إنشغاله البالغ لما يتعرض له المسلمون من تقتيل واعتداءات على مقدساتهم فى فلسطين والهند والبوسنة والهرسك وفى جامو وكشمير ، وفى مناطق أخرى من العالم . أما فيما يتعلق بالشئون الإدارية والمالية ، فقد أعرب المؤتمر بشكل خاص ، عن قلقه العميق بسبب المصاعب المالية التى تواجهها الأمانة العامة والأجهزة المتفرعة عنها ، وحث الدول الأعضاء على تسديد مساهماتها المالية فى حينها وبصورة منتظمة .

وأخذ المؤتمر علما بالتقارير التى قدمها رؤساء الأجهزة المتفرعة والمؤسسات المتخصصة والمنبثقة عن الأنشطة التى قامت بها مؤسساتها فى إطار العمل الإسلامى المشترك . وقد أكد المؤتمر ضرورة دعم هذه الأجهزة والمؤسسات لتمكينها من أداء رسالتها .

هذا، وقد باشر المؤتمر جلسات العمل كالمعتاد ، حيث تفرعت عنه أربع لجان هى لجنة الشئون السياسية والأقليات والجماعات المسلمة والشئون القانونية والإعلامية ، ولجنة الشئون الثقافية والاجتماعية ، ولجنة الشئون القانونية ولجنة الشئون المالية والإدارية بالإضافة إلى اللجنة العامة .

رابطة العالم الإسلامى

نتيجة لظهور بوادر الإنقسام بين المسلمين ودب الخلاف فى صفوفهم وسيطرة النزاعات والأهواء على قلوبهم استغل أعداء الدين الإسلامى هذه المشاحنات والخلافات فبذروا الفساد والإلحاد وابتدأوا ينشرون مبادئهم الهدامة ومذاهبهم المضللة بقصد تشكيك المسلمين فى عقيدتهم الإسلامية وتفتيت وحدتهم الدينية والقضاء على التقاليد الصالحة والتعاليم الإنسانية التى يزخر بها ديننا الحنيف ومحو فضائل هذا الدين من قلوب أبناء المسلمين ، وقد لعب الاستعمار وأعوانه جهودا ضخمة لتحقيق ذلك .

وعندما وصلت الأمور إلى هذا المستوى المؤسف تنادى نفر من قادة المسلمين ومفكريهم إلى القيام بعمل حازم وسريع لتوحيد كلمة المسلمين وتأليف قلوبهم وتقوية صلاتهم للوقوف صفا واحدا وقلبا واحدا ضد التيارات المنحرفة وموجات الإلحاد العاتية .

ولما كان فى شهر الحج أكبر تجمع وأنسب فرصة لإلتقاء أعداد كبيرة من المسلمين فقد قرر قادة المسلمين وعلماؤهم ومفكروهم أن يستفيدوا من حكمة فريضة الله سبحانه وتعالى فى الحج فعقدوا مؤتمرهم الإسلامى بمكة المكرمة فى الرابع عشر من شهر ذى الحجة عام ١٣٨١هـ الموافق الثامن عشر من شهر مايو ١٩٦٢م واتخذوا عدة قرارات من أهمها تأسيس هيئة إسلامية مقرها مكة المكرمة تسمى «رابطة العالم الإسلامى» كما تم فى المؤتمر إختيار أعضاء المجلس التأسيسى للرابطة ، وقد روعى فى هذا الإختيار تمثيل مختلف الشعوب الإسلامية بالعلماء الذين يترأسون أعلى القطاعات الإسلامية فى بلادهم ، كما وضع المؤتمر صيغة مبدئية تكون نواة لنظام هذه الرابطة والذى تم إقراره رسميا فى المؤتمر الإسلامى العام الثانى الذى عقد بمكة المكرمة فى ١٥ ذى الحجة ١٣٨٤هـ الموافق ١٧ أبريل ١٩٦٥م [1].

وفيما يلى عرض لأهداف الرابطة وأساليب العمل من خلال الرابطة وأجهزتها المتعددة.

١- رابطة العالم الإسلامى فى ٢٥ عاما : إنجازات وتطلعات ، جدة ، ص١٣-١٤ .

تعريف بالرابطة :

رابطة العالم الإسلامي - وتختصر بـ «الرابطة» - منظمة شعبية عالمية تمثل كافة الشعوب الإسلامية فى أنحاء المعمورة وقد انبثقت عن المؤتمر الإسلامى العام الأول الذى عقد بمكة المكرمة فى ذى الحجة ١٣٨١هـ / مايو ١٩٦٢ م .

وللرابطة دور سياسى ودبلوماسى دولى بارز حيث تشغل مقعد مراقب بهيئة الأمم المتحدة ضمن المنظمات غير الحكومية كما أنها عضو فى منظمة اليونسكو وفى صندق الطفل العالمى بهيئة الأمم المتحدة وعضو مراقب فى منظمة المؤتمر الإسلامى وتحضر جميع مؤتمراتها . بما فيها مؤتمرات القمة ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية .

نشأتها :

أنشئت رابطة العالم الإسلامى بناء على قرار المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى مكة المكرمة يوم ١٤ ذى الحجة عام ١٣٨١هـ واتخذ عدة قرارات هامة كان فى مقدمتها قرار تأسيس هيئة إسلامية تسمى (رابطة العالم الإسلامى) مقرها مكة المكرمة ولها مجلس تأسيسى مؤلف من كبار العلماء ورجال الفكر فى العالم الإسلامى .

أهدافها :

العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية فى البلاد الناطقة بالشهادتين وتبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه ودحض الشبهات عنه والتصدى للتيارات والأفكار الهدامة التى يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم ، كما تهتم الرابطة بالدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحل مشاكلهم .

الأساليب :

١- الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق عقد مؤتمرات يحضرها كبار علماء العالم الإسلامى لتبادل الرأى وتنسيق الجهود من أجل نشر الدعوة الإسلامية .

٢- تشجيع الدعاة فى كافة أنحاء العالم للعمل على نشر الإسلام ودعمهم بكافة الإمكانيات اللازمة التى تساعدهم على أداء مهمتهم المقدسة سواء بعقد دورات تدريبية أو محاضرات وندوات دينية لهم .

٣- توزيع المصاحف بقراءتى حفص وورش وتراجم معانى القرآن الكريم باللغات العالمية الحية واللغات السائدة فى العالم الإسلامى إلى جانب توزيع الكتب والمجلات الإسلامية مجانا مساهمة فى تعميم الثقافة الإسلامية ونشر الدعوة بمختلف اللغات والإسهام بتوفير أسس للتعليم الإسلامى عن طريق إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية فى كافة أنحاء الوطن الإسلامى ودعمها فى حدود الإمكانات المتاحة .

٤- رفع مستوى الثقافة الإسلامية عن طريق الصحافة والكتب والوسائل الممكنة باللغات الحية وتشجيع المؤسسات الصحفية الإسلامية التى تخدم الدعوة الإسلامية إلى جانب الإهتمام بتشجيع التأليف الإسلامى وشراء الكتب الإسلامية النقية التى تشرح حقائق الإسلام الناصعة، والعمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامى عموما مما قد يلصق بها من دعوات غريبة عن روح الإسلام .

والجدير بالذكر أن رابطة العالم الإسلامى تشرف على إصدار جريدة أسبوعية «أخبار العالم الإسلامى» ومجلتين شهريتين «مجلة رابطة العالم الإسلامى» تصدران باللغتين العربية والإنجليزية وسلسلة الكتاب الشهرية «دعوة الحق» .

٥- ابتعاث وفود إلى جميع أقطار العالم الإسلامى والأقطار التى تتواجد فيها الأقليات الإسلامية لدراسة مشاكلهم والتعرف على مطالبهم ومد يد المساعدة لهم وتقديم المنح الدراسية لأبناء المسلمين فى مختلف أنحاء العالم وفى شتى المجالات العلمية .

٦- دعم كافة المنظمات والمؤسسات الإسلامية التى لها صلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الإسلامى معها لخدمة الدعوة الإسلامية .

٧- العمل على نشر لغة القرآن بين الشعوب المسلمة حتى تكون لغة التفاهم بين الجميع وترجمة معانيه بكافة اللغات الممكنة .

٨- الاستمرار فى فتح مكاتب جديدة للرابطة فى مختلفة دول العالم وحسب الأهمية التى تفرضها حاجة المسلمين حتى تتمكن هذه المكاتب من متابعة أحوال المسلمين بشكل أدق وتلبية متطلباتهم .

الجدير بالذكر أن للرابطة «٢٥» مكتبا معترف بها رسميا من قبل السلطات المحلية فى تلك الدول ويتمتع العديد منها بالإمتيازات والحصانات الدبلوماسية وتعتبر هذه المكاتب الجهاز الإدارى الذى يعاون الأمين العام فى مهمته خارج مقر الأمانة العام .

٩- مراقبة أوضاع المسلمين ورصد الحركات المعادية للإسلام وفضح خططها العدوانية مثل الصهيونية العالمية وحركات التنصير والقاديانية والماسونية والحركات الشيوعية والعلمانية والبهائية وغيرها من الحركات الهدامة.

١٠- الاستفادة إلى أبعد مدى ممكن من منافع الحج فى مجال التوعية الإسلامية عن طريق المحاضرات والندوات الإسلامية التى تقيمها الرابطة يوميا خلال شهر ذى القعدة من كل عام وحتى نهاية موسم الحج ويحاضر فيها نخبة من كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين مع الاستمرار فى عقد الندوة الإسلامية العالمية خلال موسم كل حج بمقر الرابطة والتى تضم أخصائيين فى مختلف المجالات من علماء العالم الإسلامى الذين يؤدون فريضة الحج .

١١- تنظيم التعارف بين وفود الحجيج بكل وسيلة ممكنة وتخصيص عدد من العاملين المتفرغين للتعرف على العناصر المؤمنة الواعية فى المساجد وعند المطوفين وفى الفنادق وغيرها للإستفادة منهم فى مجال الدعوة الإسلامية فى الخارج .

أجهـزة الرابطـة

* المؤتمر الإسلامى العام :

وهو أعلى هيئة تشريعية ويعبر عن مشاعر الشعوب الإسلامية فى العالم وآمالهم للوصول إلى أهدافهم العليا (عقد مرتين الدورة الأولى فى عام ١٣٨١هـ وانبثقت من خلاله رابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة ، والدورة الثانية فى عام ١٣٨٤ هـ) .

* المجلس التأسيسى :

يتولى المجلس التأسيسى رسم سياسة الرابطة وتحديد أهدافها واتجاهاتها وبرامجها بما يكفل تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها لخير الإسلام والمسلمين .

ويتكون المجلس حاليا من (خمسة وخمسين) عضوا من كبار العلماء وقادة الرأى والفكر فى العالم الإسلامى ويمكن إضافة أعضاء جدد لإستكمال التمثيل الإسلامى بناء على ترشيح من رئيس المجلس أو الأمين العام وموافقة أعضاء المجلس .

* الأمانة العامة :

وهى السلطة التنفيذية للرابطة ومقرها الدائم مكة المكرمة ويشرف الأمين العام على تنفيذ كافة القرارات والتوصيات التى يصدرها المجلس التأسيسى وجميع ما يتعلق بالتنظيم

والتكوين الإدارى والمالى لجهاز الرابطة ويمثل حلقة الاتصال المباشر بين الرابطة ومختلف الجهات والهيئات فى العالم وهو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة ورفع التقارير عن سير تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسى الذى يجتمع مرة واحدة كل عام وفى حالة الضرورة يجتمع أكثر من مرة فى السنة وللأمين العام ثلاثة أمناء مساعدون «حاليا» يشرفون على تنفيذ كافة توجيهاته حسب إختصاصاتهم .

* **مجلس المجمع الفقهى الإسلامى :**

بتوجيه من المجلس التأسيسى للرابطة تم تأسيس مجمع فقهى يضم جماعة من العلماء والفقهاء يتولون دراسة واقع الأمة الإسلامية والمشكلات التى تواجهها وإيجاد الحلول الصحيحة على أساس كتاب الله العزيز- والسنة المطهرة- والإجماع وبقية المصادر المعتمدة فى الفقه الإسلامى العظيم .

* **هيئة الإعجاز العلمى للقرآن :**

وهذه الهيئة وضعت النواة الأولى لها بمكتب الرابطة بجدة وأصبحت هيئة مستقلة بذاتها بعد ذلك . ومقرها فى مكة المكرمة ولها إجتماعات سنوية يناقش خلالها كل ما يتعلق بالعلوم الإعجازية التى يتحدث عنها كتاب الله الكريم .

* **المجلس الأعلى العالمى للمساجد :**

أنشئ المجلس الأعلى العالمى للمساجد بناء على قرار صادر من مؤتمر رسالة المسجد الذى عقد بمكة المكرمة فى رمضان ١٣٩٥هـ/ سبتمبر ١٩٧٥م وهو من الهيئات الرئيسية التى تعمل تحت مظلة الرابطة ويتكون المجلس من هيئة تأسيسة يبلغ عدد أعضائها « ٥٥ » عضوا يمثلون مختلف الشعوب والأقليات الإسلامية .

* **هيئة الإغاثة الإسلامية :**

وكانت إحدى لبنات مكتب الرابطة بجدة حيث بدأ نشاطها فى مجال الإغاثة الإسلامية- المتعلق منها بالمجاهدين الأفغان أو جمع التبرعات المادية والعينية لمواجهة أخطار المجاعة فى البلدان الأفريقية المتضررة من الجفاف وتدرجت فى أعمالها الخيرية حتى أصبحت هيئة متكاملة بمقرها الواقع فى شارع (الملك فهد) بجدة ولها موظفوها ومكاتبها وأجهزتها المستقلة[1].

١- رابطة العالم الإسلامى : النظام الأساسى .

رابطة الجامعات الإسلامية

تمثل الجامعات الإسلامية مؤسسة إسلامية ثقافية تعتبر وجها من وجوه الاستجابات الناجحة للتحديات التى تواجه العالم الإسلامى، وشكلا من أشكال العمل الإسلامى الجاد والمخلص لخدمة قضايا المسلمين الثقافية على إمتداد العالم الإسلامى بل وخارج العالم الإسلامى .

وجاء تأسيس رابطة الجامعات الإسلامية بمدينة فاس المغربية وفى رحاب جامعة القرويين فى عام ١٣٨٩هـ الموافق لعام ١٩٧٠م، خطوة على طريق العمل الإسلامى ، وإذا كانت الرابطة بدأ عدد أعضائها ثلاث وعشرون جامعة إسلامية واتخذت من المملكة المغربية مقرا لها فقد صار عدد أعضائها الآن ٨٠ جامعة إسلامية واتخذت من جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية مقرا لها ، وهو تطور يبشر بالأمل فى نمو وإتساع نشاط الرابطة ، وفيما يلى عرض لنشأة الرابطة وأهدافها والهيئات الرئيسية بالرابطة :

أولا : نشأة الرابطة وتطورها :

الجامعات الإسلامية ، إدراكا منها للدور الملقى على عاتقها فى الحفاظ على شخصية الأمة الإسلامية وحمايتها من الغزو الثقافى الأجنبى، وفى تغذية العالم المعاصر بتعاليم الإسلام ، وفى تحقيق ما تتطلع إليه الأمة من وحدة فكرية تقوم على أصيل ثقافتها ، ووعيا منها بالمشكلات والصعوبات التى تعترض سير مؤسسات التعليم العالى فى الدراسات الإسلامية والعربية ، وإقتناعا منها بأنه يمكن التغلب على هذه المشكلات وتلكم الصعوبات ، قامت بوضع إطار للعمل التعاونى فيما بينها ، وذلك بإنشاء مؤسسة تجمع جهودها وتعمل على إستثمار كفاياتها ، وفتح قنوات الاتصال فيما بينها ، وتوحيد توجهاتها والتنسيق فى مختلف شئونها ، فكانت فكرة الرابطة .

واجتمعت مجموعة من الجامعات الإسلامية لتأسيس الرابطة فى مدينة فاس بالمغرب . ففى عام ١٣٨٩هـ اجتمع ممثلو ثلاث وعشرين جامعة إسلامية إضافة إلى مجموعة من الشخصيات المسلمة المرموقة ، واتفقوا على تأسيس رابطة للجامعات الإسلامية مقرها الرئيسى الرباط بالمغرب تجمع فى عضويتها مؤسسات التعليم والبحث الجامعى فى مجال الدراسات الإسلامية والعربية أو ما يعادلها .

والرابطة هيئة مستقلة وتعتمد فى ميزانيتها . بعد الله ، على اشتراكات أعضائها وما قد يأتيها من تبرعات .

والآن ، أصبحت الجامعات الإسلامية ومعظم المؤسسات الإسلامية الأخرى أعضاء فى الرابطة أو مشاركين فى أنشطتها .

ثانيا : أهداف الرابطة :

- تهدف رابطة الجامعات الإسلامية إلى :

١- العمل على تنمية الروح الإسلامية وإشاعتها ، والإعتزاز بالقيم الإسلامية والتمسك بها .

٢- العمل على أن تكون اللغة العربية هى لغة التدريس فى سائر الكليات الجامعية .

٣- تنمية التعاون بين مؤسسات التعليم الجامعى فى الدراسات الإسلامية والعربية فيما يعود بالنفع عليها فى أداء رسالتها لخير الإسلام والمسلمين .

٤- تجميع البيانات عن التعليم الجامعى والبحث العلمى وعن كل ما يتعلق بالإسلام من دراسات وبحوث ووثائق ، وتدوينها فى سجل خاص ترسل منه نسخ للمؤسسات الثقافية الإسلامية .

٥- تنمية الإتصالات بين رابطة الجامعات الإسلامية وبين مؤسسات التعليم الجامعى فى الدراسات الإسلامية وغيرها من المؤسسات الثقافية الأخرى. وبين هذه المؤسسات من ناحية والإتحادات والمؤسسات الثقافية الإسلامية والعالمية من ناحية أخرى . وذلك كله فى حدود ما يتفق مع رسالة الإسلام وخير المسلمين .

٦- العمل على تيسير تبادل الأساتذة بين مؤسسات التعليم الجامعى فى الدراسات الإسلامية والعربية بكافة الطرق المنتجة وعلى الأخص عن طريق إنشاء سجل خاص يتضمن بيانا عن المؤسسات الإسلامية التى تكون فى حاجة إليهم ، وعن تلك التى يوجد من أساتذتها فائض يمكن من سد تلك الحاجة .

٧- العمل على تنظيم وتشجيع عقد مؤتمرات وندوات فى نطاق مؤسسات التعليم الجامعى فى الدراسات الإسلامية والعربية .

٨- دعم المؤسسات الثقافية الإسلامية وحمايتها والعمل على سد حاجاتها وتنسيق وسائلها .

٩- تشجيع البحث العلمى فى الدراسات الإسلامية والعربية والعمل على إنشاء ودعم المؤسسات التى تقوم به .

١٠- التنسيق فى توزيع المنح الطلابية بين الجامعات الإسلامية .

ثالثا : الهيئات الرئيسية بالرابطة :

وتتألف من الهيئات الرئيسية التالية :

أ- المؤتمر العام :

١- يعتبر المؤتمر العام السلطة العليا فى الرابطة وتتلخص اختصاصاته فيما يلى:

أ- تحديد السياسة العامة للرابطة والاتجاهات التى يتعين على المجلس التنفيذى والكتابة (الأمانة العامة) الإلتزام بها .

ب- المصادقة على برامج الرابطة وميزانيتها .

ج- انتخاب رئيس الرابطة وأعضاء المجلس التنفيذى .

د- تعيين الكاتب العام (الأمين العام) للرابطة على أن الكاتب العام الأول يعينه المجلس التنفيذى المنتخب أثناء المؤتمر التأسيسى .

هـ- تكليف المجلس التنفيذى بالقيام بأى مهمة تتفق مع أهداف الرابطة وغاياتها .

٢- يتألف المؤتمر العام من ممثلين عن المؤسسات الأعضاء ويمكن أن يسمح للملاحظين بالمشاركة فى المؤتمر ، ولكل مؤسسة عضو ، الحق فى صوت واحد هو صوت مندوبها المعين والحاضر فى المؤتمر العام . ولكل شخص حضر المؤتمر كملاحظ أن يتناول الكلمة بعد موافقة الرئيس ولكن ليس له حق التصويت .

أ- يعقد المؤتمر دورة واحدة كل أربع سنوات على الأقل فى التاريخ والمكان الذى يكون قد حددهما فى الجلسة السابقة. وعند الضرورة يمكن لرئيس الرابطة أن يغير تاريخ الإجتماع ومكانه بعد استشارة المجلس التنفيذى.

ب- يعقد المؤتمر العام دورة استثنائية بطلب مكتوب يوجه إلى الكتابة من طرف أغلبية أعضاء الرابطة . أو بعد قرار من المجلس التنفيذى يتخذه بأغلبية ثلثى الأعضاء .

جـ- تتخذ جميع قرارات المؤتمر العام بالأغلبية العادية للأعضاء الحاضرين والمصوتين، باستثناء الحالة التى ينص عليها القانون الأساسى للرابطة .

د- ينتخب رئيس الرابطة من طرف المؤتمر العام بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين والمصوتين . ويقوم بمهامه إلى أن ينتخب الرئيس الجديد فى الدورة المقبلة للمؤتمر العام .

هـ- يمكن إعادة إنتخاب الرئيس .

و- لاينتخب رئيس الرابطة إلا الشخص الحاضر فى المؤتمر والممثل لأحد مؤسسات التعليم العالى والدراسات الإسلامية الأعضاء فى الرابطة .

ز- يكون رئيس الرابطة رئيسا فى نفس الوقت للمجلس التنفيذى .

حـ- يمثل الرئيس أو من ينوب عنه الرابطة فى كل المناسبات .

ط- يقبل الرئيس بعد موافقة المجلس التنفيذى الهدايا والهبات التى لا تتنافى مع أهداف الرابطة .

٣- يعين المؤتمر العام الكاتب العام (الأمين العام) للرابطة والذى يعتبر فى نفس الوقت كاتبا للمجلس التنفيذى والمؤتمر العام . ويمكنه أن يشارك فى مداولاتهما ومناقشاتهما وليس له حق التصويت . ويكون تعيينه لمدة أربع سنوات يمكن أن يجددها المؤتمر كلما رأى ذلك ضروريا باقتراح من المجلس التنفيذى .

ب- المجلس التنفيذى :

١- يتألف المجلس التنفيذى من خمسة عشر عضوا بينهم الرئيس ينتخبهم المؤتمر العام لمدة أربع سنوات أخذا بعين الإعتبار ضرورة التمثيل الواسع للمؤسسات الأعضاء فى الرابطة . ويجوز إعادة انتخاب نصف أعضاء المجلس التنفيذى أربع سنوات أخرى فقط .

٢- ينتخب المؤتمر العام بالإضافة إلى أعضاء المجلس التنفيذى ثلاثة نواب يستدعيهم الرئيس لحضور جلسات المجلس عند وفاة أحد الأعضاء أو إستقالته أو شغور مكانه لسبب من الأسباب ، أما فى حالة التغيب الطارئ لأحد الأعضاء فله أن يعين ممثلا ينوب عنه .

٣- ينتخب المجلس التنفيذى من بين أعضائه نائبين للرئيس على أن يكون للرئيس نائبان من أقاليم مختلفة ولايكون لمجموعة من المؤسسات الإسلامية التابعة لدولة واحدة أكثر من مقعد واحد فى المجلس .

أ- يحضر جدول أعمال المؤتمر العام . وميزانيته . وبرنامج العمل لفترة ما بين دورتيه العاديتين .

ب- يسير ويراقب أعمال الكتابة (الأمانة العامة) بتعاون مع الكاتب العام (الأمين العام).

جـ- يعين بعد استشارة الكاتب العام أعضاء الكتابة الذين يشغلون مناصب هامة فى الرابطة .

٥- يعتبر المجلس التنفيذى مسئولا أمام المؤتمر العام ويقدم له تقريرا عن سائر أوجه نشاطه.

٦- يجتمع المجلس التنفيذى إلى دورة استثنائية كلما دعت الضرورة إلى ذلك بدعوة من رئيسه على شرط أن يطالب ذلك كتابة ثلثا أعضائه .

٧- لاتكون اجتماعات المجلس التنفيذى نظامية إلا بحضور أغلبية الأعضاء .

٨- يمكن للمجلس التنفيذى أن ينشئ لجانا وشعبا للعمل وأن يستعين فى عمله بخبراء ومستشارين .

جـ- الكتابــة (الأمانة العامة) :

١- تعتبر الكتابة الجهاز التنفيذى الدائم للرابطة . وبهذه الصفة تقوم بالمهام التى يخولها لها المجلس التنفيذى .

٢- فهى تقوم تحت مراقبة المجلس وتحت إشراف الكاتب العام (الأمين العام) : -

أ- بتنظيم مركز للوثائق الدائرة حول كافة قضايا التعليم العالى والجامعات الإسلامية .

ب- بتزويد المؤسسات الأعضاء فى الرابطة والمؤسسات التى تهتم بالتعليم الإسلامى العالى. والباحثين بالوسائل التى تساعد على استغلال موارد مركز الوثائق .

جـ- بتحضير مقاييس الاحصائيات الجامعية المقارنة لفائدة العالم الإسلامى ونشر مستندات إحصائية مطابقة لهذه المقاييس .

د- بإنشاء مكاتب من شأنها أن تسهل تبادل الطلبة والأساتذة وخاصة داخل العالم الإسلامى .

هـ- بتنسيق وتنمية جميع أوجه النشاط الضرورية لتوظيف وإعداد رجال التعليم الجامعى الذين يحتاج إليهم العالم الإسلامى .

و- بتسجيل جميع صور التعاون بين المؤسسات الأعضاء فى الرابطة قصد الحصول على أكبر فائدة ممكنة من الموارد الإنسانية والمادية .

ز- بتقديم الخدمات الخاصة التى يمكن أن تطلبها المؤسسات الأعضاء فى الرابطة .

حـ- بالإضطلاع بجميع المهام المتلائمة مع أهداف الرابطة .

٣- يقوم الكاتب العام (الأمين العام) بالمهام التالية :

أ- يقدم المقترحات للمجلس التنفيذى حول تعيين الموظفين الذين يشغلون مناصب هامة فى كتابة الرابطة (أمانة الرابطة) . ويوظف الفنيين . وهيئة الكتابة (الأمانة) فى حدود المناصب المالية المخصصة .

ب- يضطلع بالسلطة التأديبية لموظفى الكتابة (الأمانة) تبعا للقوانين التى يضعها المجلس التنفيذى.

جـ- يقدم للمجلس التنفيذى كل سنة مشروعا مفصلا للميزانية ويزوده بالحسابات المدققة عن السنة المالية السابقة .

رابعا : المؤسسات الأعضاء بالمجلس التنفيذى الحالى للرابطة :

١- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية .

٢- جامعة الأزهر - مصر .

٣- جامعة القرويين - المغرب .

٤-الكلية الزيتونية - تونس .

٥- جامعة أم درمان الإسلامية - السودان .

٦- الجامعة الإردنية - الأردن .

٧- جامعة الإمارات العربية المتحدة - دولة الإمارات العربية المتحدة .

٨- الجامعة العالمية الإسلامية - إسلام أباد- باكستان .

٩- ندوة العلماء لكنو - الهند .

١٠- الجامعة الإسلامية - أوغندة .

١١- جامعة الزقازيق - مصر .

١٢- جامعة القاهرة - مصر .

١٣- جامعة مرمرة - تركيا .

١٤- الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة .

١٥- الجامعة الإسلامية - جاكرتا - إندونيسيا .

وتم تشكيل ثماني لجان لدراسة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في القرن المقبل كانت على النحو التالي :

١- لجنة التحديات الحضارية ومقررها الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ عميد معهد الدراسات الآسيوية جامعة الزقازيق .

٢- لجنة التحديات الإعلامية ومقررها الأستاذ الدكتور أحمد محمد أمين عامر نائب رئيس جامعة قناة السويس .

٣- لجنة التحديات التربوية ومقررها الأستاذ الدكتور محمود أحمد شوق مستشار معالي الأستاذ الدكتور رئيس الرابطة .

٤- لجنة التحديات التقنية ومقررها الأستاذ الدكتور علي حبيش رئيس أكاديمية البحث العلمي السابق .

٥- لجنة التحديات السياسية ومقررها الأستاذ الدكتور أحمد يوسف عميد معهد الدراسات العربية .

٦- لجنة التحديات الاقتصادية ومقررها الأستاذ الدكتور محمد رضا العدل عميد كلية التجارة جامعة عين شمس.

٧- لجنة التحديات الاجتماعية ومقررها الأستاذ الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر .[1] .

٨- لجنة التحديات القانونية ومقررها الأستاذ الدكتور عبد الغني محمود استاذ القانون العام بجامعة الأزهر .

١- دستور رابطة الجامعات الإسلامية .

منظمات أخرى

أولا : رابطة الأدب الإسلامى العالمية :

تعتبر رابطة الأدب الإسلامى العالمية أحد أشكال الاستجابات الناجحة للأمة الإسلامية لمواجهة التحديات المعادية ، فهى مؤسسة غير حكومية تضم مجموعة من المثقفين من أبناء الأمة الإسلامية على إمتداد الوجود الإسلامى بدأ التفكير فى إنشائها فى الربع الأخير من القرن العشرين ، حتى ظهرت للوجود فى ٢ ربيع الأول عام ١٤٠٥هـ الموافق ٢٤ نوفمبر ١٩٨٤م .

وفيما يلى عرض لخطوات إنشاء رابطة الأدب الإسلامى العالمية وأهدافها ومبادئها العامة وهيكلها ...

تعريف برابطة الأدب الإسلامى

١- نشأة الرابطة :

إن واجب الدعوة إلى الله عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة ، وغربة الأدب الإسلامى وسيطرة الأدب المزور على العالمين العربى والإسلامى، كل ذلك دعا بعض الأدباء الإسلاميين إلى التفكير فى إنشاء رابطة تجمع صفوفهم ، وتشد كل واحد منهم بعضد أخيه ، وترفع صوتهم ، وتقفهم على واجبهم فى التأصيل للأدب الإسلامى ولمواجهة النظريات والمذاهب الأدبية العالمية التى لاتتفق مع مبادئ الإسلام .

وقد مر إنشاء رابطة الأدب الإسلامى بمراحل عديدة ، إذ بدأت فكرة راودت أذهان عدد من الأدباء الإسلاميين من مختلف الجنسيات ، ثم بدأت تتجسد فى لقاءاتهم التى بدأت عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، إلى أن استقر رأيهم على تكوين هيئة تأسيسية تدرس أبعاد الفكرة وتخطط لها، وتراسل الأدباء فى سائر الأقطار الإسلامية .

ثم كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامى التى دعا إليها سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى فى لكنو فى شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ودعى إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامى، وفيهم كثير من المهتمين بالأدب ، وفى هذه الندوة التى أعطت دفعا قويا للأدب الإسلامى، اتخذت توصية مهمة تتضمن (إقامة رابطة عالمية للأدباء الإسلاميين).

وقد تعزز هذا الاتجاه فى ندوة الحوار حول الأدب الإسلامى التى عقدت فى رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى شهر رجب عام ١٤٠٢هـ ، ثم فى ندوة الأدب الإسلامى التى عقدت فى رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى شهر رجب ١٤٠٥هـ، وفى خلال هذه الفترة قامت الهيئة التأسيسية للرابطة بالاتصال بسماحة الشيخ أبى الحسن الندوى، وعرضت عليه ما قامت به من أعمال تمهيدية ، واتصالات موسّعة ورغبت إليه أن يتبنى إنشاء هذه الرابطة ، واستجاب سماحته بما عرف عنه من صدر رحب ، وبصيرة نافذة ، ووعى وحكمة بالغين ، وإدراك لدور الأدب فى وجدان الأمة ، وترشيد مسارها، وإنارة طريقها فى العود الحميد إلى الإسلام ، والذى هو مسوغ وجودها وحصنها المنيع .

وهكذا انبثقت عن الهيئة التأسيسية لجنة تحضيرية تولت الإعلان عن قيام (رابطة الأدب الإسلامى) ونشرت هذا الإعلان فى عدد من الصحف والمجلات بتاريخ ٢ / ٣ / ١٤٠٥هـ الموافق ٢٤ / ١١ / ١٩٨٤ م .

ثم دعت الهيئة التأسيسية إلى المؤتمر العام الأول للرابطة ، بعد انتساب عدد كبير من الأدباء إليها فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى وعقد هذا المؤتمر فى رحاب جامعة ندوة العلماء بلكنو فى الهند فى شهر ربيع الثانى عام ١٤٠٦هـ الموافق لشهر كانون الثانى/ يناير ١٩٨٦م حيث تم وضع النظام الأساسى للرابطة ، وانتخاب مجلس الأمناء (وهو الهيئة العليا للرابطة) . كما إنتخب سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى رئيسا للرابطة ، وتم الترخيص الرسمى للرابطة فى مقرها الرئيسى بمدينة لكنو بالهند، ولها أن تفتح مكاتب وفروعا فى أى مكان من العالم .

٢- أهداف الرابطة ومبادئها العامة .

تهدف الرابطة إلى تحقيق الغايات التالية :

١- تعريف الأدباء الإسلاميين- على إختلاف لغاتهم وأجناسهم - بعضهم ببعض وجمع كلمتهم وإقامة التعاون بينهم ليكونوا قوة إسلامية سلاحها الكلمة الأصيلة الملتزمة بالإسلام .

٢- العمل على تأصيل نظرية الأدب الإسلامى ، وإظهار الملامح السائدة فى الأدب الإسلامى قديمه وحديثه .

٣- تحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامى .

٤- العمل على تأصيل نظرية النقد الإسلامى على أن تتصف بالموضوعية والنصف والبعد عن القوالب المستوردة والأساليب المبهمة .

٥- رسم منهج إسلامى مفصل للفنون الأدبية الحديثة التالية :

أ- القصة .

ب- المسرحية .

ج- السيرة الأدبية .

د- التمثيلية المسموعة .

هـ- التمثيلية المرئية .

٦- الاهتمام بالتفسير الإسلامى للأدب .

٧- إعادة كتابة تاريخ الأدب العربى من وجهة نظر إسلامية .

٨- إظهار صلة الأدب الإسلامى الحديث بالأدب القديم ، والرد على المحاولات الداعية إلى الانفصام بين أدب أمتنا فى الماضى والحاضر .

٩- دراسة الأدب الإسلامى المعاصر فى البلاد الإسلامية وإظهار الخصائص المشتركة للأدب الإسلامى فى العالم .

١٠- القيام بدراسات موسعة لعدد من الأدباء الإسلاميين وبخاصة الذين صاغوا أدبهم بإحدى لغات الشعوب الإسلامية .

١١- تعريف الشعوب الإسلامية بآداب بعضها بعضا بترجمة آثارها الأدبية إلى عدد من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى .

١٢- تشجيع الأدب الذى يهتم بقضايا المرأة المسلمة وتشجيع نتاج الأديبات المسلمات .

١٣- رسم منهج إسلامى لأدب الأطفال واليافعين والشباب .

١٤- التصدى للدعوات الأدبية المشبوهة والمنحرفة .

١٥- الدفاع عن حرية الفكر والتعبير بما لايتعارض مع الشريعة الإسلامية .

١٦- الدفاع عن حقوق الأدباء الإسلاميين المعنوية والمادية .

١٧- تهيئة وسائل النشر والتوزيع لأدباء الرابطة بجميع الوسائل الممكنة .

كما أن رابطة الأدب الإسلامى تنطلق فى تحقيق أهدافها وأعمالها وإختيار أعضائها من الإلتزام بالمبادئ التالية :

١- الأدب الإسلامى هو التعبير الفنى الهادف عن الإنسان والحياة والكون فى حدود التصور الإسلامى لها .

٢- الأدب الإسلامى أدب ملتزم ، وإلتزام الأديب فيه التزام عفوى نابع من إلتزامه بالعقيدة الإسلامية ورسالته جزء من رسالة الإسلام العظيم .

٣- الأدب طريق مهم من طرق بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح وأداة من أدوات الدعوة إلى الله والدفاع عن الشخصية الإسلامية .

٤- الأدب الإسلامى مسئول عن الإسهام فى إنقاذ الأمة الإسلامية من محنتها المعاصرة ، والأدباء الإسلاميون أصحاب ريادة فى ذلك .

٥- الأدب الإسلامى حقيقة قائمة قديما وحديثا يبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوى . ومعركة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش ، ويمتد إلى عصرنا الحاضر ليسهم فى الدعوة إلى الله ومحاربة أعداء الإسلام والمنحرفين عنه .

٦- الأدب الإسلامى هو أدب الشعوب الإسلامية على إختلاف أجناسها ولغاتها ، وخصائصها هى الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الإسلامية كلها .

٧- يقدم التصور الإسلامى للإنسان والحياة والكون- كما نجده فى الأدب الإسلامى- أصولا لنظرية متكاملة فى الأدب والنقد، وملامح هذه النظرية موجودة فى النتاج الأدبى الإسلامى الممتد عبر القرون المتوالية .

٨- يرفض الأدب الإسلامى أى محاولة لقطع الصلة بين الأدب القديم والأدب الحديث بدعوى التطور أو الحداثة أو المعاصرة ، ويرى أن الحديث مرتبط بجذوره القديمة .

٩- يرفض الأدب الإسلامى المذاهب الأدبية التى تخالف التصور الإسلامى ، والأدب العربى المزور ، والنقد الأدبى المبنى على المجاملة المشبوهة ، أو الحقد الشخصى ، كما يرفض لغة النقد التى يشوهها الغموض وتفشو فيها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة ، ويدعو إلى نقد واضح بناء .

١٠- يستفيد الأدب الإسلامى من الأجناس الأدبية جميعها شعرا ونثرا ، ولايرفض أى شكل من أشكال التعبير ، ويعنى بالمضمون الذى يحدد طبيعة الشكل الملائم للأداء .

١١- إن رابطة العقيدة هى الرابطة الأصيلة بين أعضاء الرابطة جميعا ، ويضاف إليها آصرة الزمالة الأدبية التى تعد رابطة خاصة ، تشد الأدباء الإسلاميين بعضهم إلى بعض ، ووحدة المبادئ والأهداف التى يلتزمون بها .

وقد تضمنت المادة الرابعة من النظام الأساسى للرابطة على أنه يشترط فى عضوية رابطة الأدب الإسلامى ما يلى :

١- أن يكون مسلما ملتزما بدين الله عز وجل وألايقل عمره عن عشرين سنة .

٢- أن يكون له إنتاج أدبى منشور يتسم بالأصالة .

٣- أن يلتزم بمبادئ الرابطة ويعمل على تحقيق أهدافها .

٤- أن يوافق مجلس الأمناء على عضويته .

٥- أن يلتزم بدفع الإشتراك المالى الذى يحدده مجلس الأمناء .

كما يلتزم مجلس الأمناء فى دورته الأولى قراره التالى منح صفة «عضو شرف» لمن يراه مكتب الرابطة من الشخصيات المرموقة فى المجتمع على أن تفيد عضويتهم الرابطة فائدة معنوية ومادية .

«وصفة عضو مناصر» لمن يراه المكتب من الذين يؤمنون بمبادئ الرابطة ويقدمون لها عونا ، لكنهم لم يكتسبوا صفة العضو العامل

٤- هيكل الرابطة :

أ- الهيئة العامة : وتتألف - كما نصت المادة السادسة من النظام - من سائر الأعضاء المنتسبين إلى الرابطة ، وهى السلطة التى تقرر النظام الأساسى للرابطة ، ولها حق تعديله ، وتنتخب مجلس الأمناء ، وتجتمع الهيئة العامة مرة كل ثلاث سنوات .

ب- مجلس الأمناء : ويتألف - كما نصت المادة السابعة من النظام- من خمسة عشر عضوا تنتخبهم الهيئة العامة من بين أعضائها لمدة ثلاث سنوات، ويراعى فى اختيارهم تمثيلهم للعالم الإسلامى ما أمكن ذلك، ومن صلاحيات مجلس الأمناء وضع خطة العمل السنوية،

والإشراف على تنفيذها ، وانتخاب مكاتب الرابطة وتوزيع وظائف أعضائها ، وإصدار قرارات افتتاح المكاتب والفروع .

ج- الرئيس ونوابه : ويمثل رئيس الرابطة السلطة التنفيذية العليا فيها ، وينتخب من مجلس الأمناء ومن بين أعضائه ، وقد قرر مجلس الأمناء انتخاب سماحة الشيخ أبى الحسن الندوى رئيسا للرابطة مدى الحياة ، ويعين الرئيس نائبا له أو أكثر من بين أعضاء مجلس الأمناء .

د- مكتبا الرابطة : لقد شكل مجلس الأمناء مكتبين : أحدهما مكتب شبه القارة الهندية وما جاورها ، وثانيهما مكتب البلاد العربية وما جاورها بالإضافة إلى أفريقيا وأوربا .

هـ- تنص المادة الثانية عشر من النظام على أن يكون مجلس الأمناء اللجان الفرعية اللازمة ومنها :

١- لجنة الشعر .

٢- لجنة القصة والمسرحية والسيرة .

٣- لجنة أدب الأطفال واليافعين .

٤- لجنة النقد الأدبى .

٥- لجنة التحقيق والبحوث والدراسات .

٦- لجنة الترجمة .

وتعمل الرابطة حالا على إصدار مجموعات مختاره من إنتاج أعضائها فى ميدان الشعر والقصة والبحوث الأدبية والنقدية .

وأخيرا فإن رابطة الأدب الإسلامى التى ينتشر أعضاؤها فى مختلف الأقطار العربية والإسلامية تدعو سائر الأدباء الملتزمين بالإسلام أن ينضموا تحت لوائها ، كما تهيب بكل غيور على الإسلام أن يعمل على تأييدها ودعمها حتى يصبح الأدب الإسلامى رائدا للأمة، كما هو مسئولية أمام الله عز وجل [1].

١- رابطة الأدب الإسلامى العالمية .. تعريف - الهند / لكنو .

ثانيا : الإتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام :

كان ظهور الإتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإسلام استجابة جديدة حققها العالم الإسلامى لمواجهة التحديات التى تواجه العالم الإسلامى فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وخلال القرن الواحد والعشرين ، حيث ظهر هذا الإتحاد فى شهر ذى القعدة عام ١٤٠٩هـ الموافق لشهر يونيو عام ١٩٨٨م . بهدف التنسيق بين الأجهزة أو المؤسسات والمنظمات العاملة فى مجال الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامى .

ويتضح من التسمية أنه اتحاد يضم مؤسسات ومنظمات وهيئات تعمل فى مجال الدعوة والإعلام بالمفهوم الإسلامى طبقا للشريعة الإسلامية قائمة بالفعل فى أقطار إسلامية وغير إسلامية وهذا الإتحاد ينظمه دستور يشتمل على مقدمة وست أبواب وخاتمة ، يختص كل باب بنشاط معين ونسوق مواد هذا الدستور فيما يلى :

المقدمة :

إيمانا بالوحدة الإسلامية وضرورة الإلتزام بها فى حياة الفرد والجماعة الإسلامية وإيمانا بوحدة الهدف والغاية كما حددهما الوحى الإلهى المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واستجابة لدعوة الإسلام بالتعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر، وتقديرا منا لخطورة الفرقة التى تهدد كيان العالم الإسلامى، وأدراكا للمؤامرات التى تدبر ضد وجودنا الإسلامى والتى لم تتوقف لحظة واحدة .

وعلى أساس من هدى الكتاب والسنة ، ومن تعاليم الإسلام التى رسخت فى ضمير هذه الأمة ، وفى ضوء التجارب التاريخية القديمة والمعاصرة التى تعرضت لها أمة الإسلام منذ فجر الدعوة ، فقد أنشئ الاتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام بناء على مقررات المؤتمر العالمى لمنهاج القرآن للدعوة الإسلامية الذى عقد فى لندن بقاعة ويمبلى الكبرى بتاريخ الرابع من ذى القعدة عام ١٤٠٩هـ والموافق للتاسع عشر من حزيران عام ١٩٨٨م بحضور مشاركين من كبار العلماء والفكرين والإعلاميين من مختلف البلدان العربية والإسلامية وذلك بهدف التنسيق بين أجهزة الإعلام وأجهزة الدعوة الإسلامية الموجودة فيها وفقا لخطة الدستور الخاص بالاتحاد والذى يهدف لإبراز الصورة الإسلامية المشرقة، والرد على دعاوى وأباطيل أعداء الإسلام وأصحاب التيارات الهدامة ، وليكون هذا الاتحاد أول هيئة إسلامية عالمية تجمع رجال الدعوة ورجال الإعلام ، إنهاء للفرقة والتضارب الناشئ من هذه الفرقة ، والتى عاشها الدعاة

والإعلاميين على صعيد العالم الإسلامى، وإنهاء للتساؤلات التى تدور حول عجزهم وعجز غيرهم من المسلمين فى وضع حد لتلك الفرقة وذلك التشتت .

وإيجادا لاستراتجية إسلامية متكاملة تخدم وحدة الأمة وذلك وفقا لمبادئ ومقاصد دستور الإتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام .

الباب الأول : نشأة الاتحاد مبادئه وأهدافه :

المادة (١) :

يتحد المسلمون فى مجال الدعوة الإسلامية والإعلام داخل إتحاد يسمى (الاتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام) ليتجمع به الأفراد والجماعات والجمعيات والهيئات والمؤسسات الإسلامية، والتى تعمل جميعها على جمع شمل الأمة فى أنحاء العالم وفقا لمبادئ وأهداف الاتحاد .

المادة (٢) :

يكون مقر الإتحاد العالمى الإسلامى (للدعوة والإعلام) فى جمهورية باكستان الإسلامية . لاهور . ٣٦٥ أيم مادل تاؤن بجوار مقر الأمانة العامة لإدارة منهاج القرآن .

ويجوز للجنة التنفيذية الدائمة للاتحاد إنشاء فروع أخرى للاتحاد فى مختلف بلدان العالم .

المادة (٣) :

أ- يعمل الاتحاد وفق إرادة الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى جميع أعماله ومساعيه لتحقيق نشر الإسلام والتصدى لكل ما يخالفه ، كما يسعى لتأكيد محبة الله تعالى ورسوله الكريم (ص) وآله وأصحابه وأوليائه الصالحين .

ب- الاتحاد منظمة إسلامية عالمية بحتة لاتتدخل فى الشئون الداخلية للدول وليس له أى هوية سياسية .

جـ- يعارض الاتحاد كل فرقة بين المسلمين سببها اللون أو العنصر أو اللغة أو القطر أو القومية .

د- يسعى الاتحاد إلى إبراز السلوك الأخلاقى للإسلام والتربية الروحية وذلك ليعرف الجميع بأنه دين الإنسانية جمعاء .

المادة (٤) :

يسعى الاتحاد لتحقيق الأهداف الآتية :

أ- العمل على تعليم وتربية النشئ وتزكية النفس بما يتفق وروح الإسلام بإدخال العلوم التطبيقية والعصرية بجانب العلوم الإسلامية فى التعليم .

ب- نشر الثقافة الإسلامية بطبع الكتب والدوريات والصحف والمجلات وغيرها (مستعينا بالصحافة والإذاعة والتلفاز) وإنشاء محطات للصوتيات والمرئيات واستوديهات لإنتاج البرامج المختلفة وتنظيم المؤتمرات والندوات واللقاءات والمحاضرات وإنشاء مركز للمعلومات والإحصائيات عن جميع مسلمى العالم .

ج- يقوم الاتحاد بمراقبة كافة الإصدارات المخالفة لحقائق الإسلام والثقافة الإسلامية للرد عليها والعمل على وقف إصدارها وتوزيعها ، وكذلك تشجيع إصدارات المستشرقين غير المسلمين المنصفة للإسلام .

د- نشر مفهوم الاقتصاد الإسلام ، وإقامة وتشجيع المشروعات التى تخدم ذلك المفهوم «كالكومنولث الإسلامى» .

هـ- نشر المفهوم الاجتماعى فى الإسلامى بشتى الوسائل بما يحقق القيم الإسلامية للأسرة المسلمة مع رعاية الأمومة ، وثقافة الطفل المسلم وذلك لغرض تكوين المجتمع الإسلامى .

و- يسعى الاتحاد إلى نشر الوعى الصحى بكافة الوسائل كأيفاد الأطباء إلى مناطق الأقليات الإسلامية بالتعاون مع الجهات المتخصصة الأخرى .

ز- دراسة المشكلات التى تواجه المسلمين فى كافة بلدان العالم والعمل على مواجهتها بالحل المناسب .

المادة (٥) :

للاتحاد أن يستخدم كافة الوسائل المتاحة لنشر مبادئه ، ولتحقيق أهدافه .

الباب الثانى : هيكل الاتحاد :

المادة (٦) :

تكون الرئاسة الشرفية لإحدى الشخصيات الإسلامية العالمية المشهورة ذات التأثير الفعال

فى نفوس المسلمين ، ويتم اختياره بإجماع آراء أعضاء اللجنة التنفيذية الدائمة للاتحاد ، وقد اختير قدوة العلماء والصلحاء سماحة العلامة الشيخ السيد طاهر علاء الدين القادرى الكيلانى البغدادى رئيسا شرفيا لهذا الاتحاد .

المادة (٧) :

ويتكون الاتحاد العالمى الإسلامى من الهيئات التالية :

أ- اللجنة التنفيذية الدائمة .

ب- المجلس الاستشارى .

ج- المؤتمر العام .

المادة (٨) :

تتكون اللجنة التنفيذية الدائمة من :

أ- الرئيس : معالى الشيخ يوسف السيد هاشم الرفاعى- الكويت .

ب- الأمين العام : البروفيسور الدكتور / محمد طاهر القادرى- باكستان.

ج- الأمين العامن المساعد : السيد / ياسر فرحات - مصر .

وهذه اللجنة هى الأمانة العامة الدائمة للاتحاد ولها كافة الصلاحيات اللازمة .

المادة (٩) :

يتكون المجلس الاستشارى من :

أ- نواب الرئيس الأربعة .

ب- رؤساء ومقررى اللجان العلمية المتخصصة .

جـ- الأعضاء بحكم مناصبهم .

د- الأعضاء المختارون من الشخصيات الإسلامية العالمية .

المادة (١٠) :

يتكون المؤتمر العام من :

أ- اللجنة التنفيذية الدائمة .

ب- أعضاء المجلس الاستشارى .

جـ- اللجان العلمية المتخصصة .

د- أعضاء الإتحاد .

هـ- ممثلو الهيئات والمؤسسات المشتركة فى عضوية الإتحاد .

و- الشخصيات الإسلامية العالمية الأخرى المشاركة من كافة بلدان العالم .

المادة (١١) :

تحدد اللجنة التنفيذية الدائمة جدول أعمال المؤتمر العام ، وموعد ومدة ومكان إنعقاده .. وهو يختص بمناقشة الموضوعات المختلفة التى تهم وحدة الأمة الإسلامية .

المادة (١٢) :

يضم المؤتمر العام لجانا علمية متخصصة تتولى مهام دراسة وبحث المسائل العلمية والفقهية من كافة المجالات .. وتتكون كل لجنة من رئيس ومقرر وعدد مناسب من الأعضاء المتخصصين حسب مجال كل لجنة . ويتولى مقرر اللجنة رئاستها فى حالة غياب رئيسا .. ويتم إختيار رئيس ومقرر وأعضاء اللجنة بمعرفة اللجنة التنفيذية الدائمة .. التى تحدد لها مهامها وفقا لمبادئ وأهداف الإتحاد ويعاد تشكيل هذه اللجان على حسب الظروف وبصفة دورية كل خمس سنوات .

وهذه اللجان هى كما يلى :-

١- لجنة الدعوة .

٢- لجنة الإعلام .

٣- لجنة أحياء التراث الإسلامى .

٤- لجنة العلوم الشرعية .

٥- لجنة التخطيط والاقتصاد الإسلامى .

٦- لجنة شئون المرأة المسلمة .

٧- لجنة الشباب المسلم .

٨- لجنة الطفل المسلم .

٩- لجنة الأقليات المسلمة .

١٠- لجنة العلاقات والإتصالات .

ويجوز للجنة التنفيذية الدائمة أن تضيف أو تحذف لجانا أخرى من اللجان العلمية المتخصصة .

الباب الثالث : النظام العام للإتحاد :

المادة (١٣) :

يتولى إدارة الإتحاد رئيس ، ويشرف على تنفيذ مبادئه وأهدافه ، وتوصيات المجلس الاستشارى والمؤتمر العام . ويتم إختيار أربعة نواب للرئيس تختارهم اللجنة التنفيذية الدائمة ممثلين لمختلف بلدان العالم الإسلامى ومن كبار الشخصيات الإسلامية العالمية التى لها تأثير كبير على العالم الإسلامى ويضمهم المجلس الاستشارى فى عضويته .

المادة (١٤) :

يكون للإتحاد أمين عام ، وأمين عام مساعد يعاونان الرئيس فى إدارة الإتحاد مكونين جميعا اللجنة التنفيذية الدائمة وتتولى وضع الخطط والأساليب المناسبة لإدارة الإتحاد ، ويجوز لها أن تستعين بمن تراه من أهل الخبرة لدراسة أى موضوع هام ويكون رأيه إستشاريا فقط .. وتتخذ قرارات اللجنة التنفيذية الدائمة بإجماع الآراء ، وفى حالة الإختلاف يتم الإحتكام لسماحة الرئيس الفخرى الذى يكون رأيه مرجحا ومقبولا من قبل الجميع .

المادة (١٥) :

يكون للإتحاد مجلس استشارى للاسترشاد به فى وضع السياسة العامة لتحقيق مبادئ الإتحاد ويتكون من :

أ- أربعة نواب لرئيس الاتحاد .

ب- أعضاء يتم إختيارهم بحكم وظائفهم .. وفى مقدمتهم وزراء الأوقاف والشئون الدينية والإعلام والثقافة ، والتعليم ، والعدل ، والتخطيط ، والاقتصاد ، ومدراء الجامعات الإسلامية ، ورؤساء الهيئات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية وتحدد هذه الوظائف وغيرها اللجنة التنفيذية الدائمة .

جـ- أعضاء يتم إختيارهم من الشخصيات العامة بمعرفة اللجنة التنفيذية الدائمة ويصدر رئيس الاتحاد بعد ذلك قرارا بهذا الاختيار .

هـ- رئيس ومقرر كل لجنة علمية متخصصة بالاتحاد . ويتولى رئاسة المجلس الاستشارى رئيس الإتحاد ، وله أن ينيب عنه للرئاسة فى حالة غيابه ويجتمع المجلس حسبما تراه اللجنة التنفيذية الدائمة مناسبا فى ذلك .

المادة (١٦) :

يشترط فى عضوية الإتحاد ما يلى :

أ- أن يكون العضو عالما ، أو داعيا ، أو إعلاميا ، أو مفكرا، أو باحثا مشهودا له بالاهتمام الإسلامى، وأن تكون رسالته تتفق ووحدة الأمة الإسلامية .

ب- أن يكون ممن لهم القدرة على تحقيق الأهداف والمقاصد التى أنشئ لغرضها الاتحاد .

جـ- المؤسسات والمنظمات الإسلامية الدعوية والإعلامية المنسجمة أهدافها ومقاصدها مع أهداف الاتحاد العالمى الإسلامى (للدعوة والإعلام) .

وللجنة التنفيذية الدائمة قبول عضوية من تتوافر فيه شروطها .

الباب الرابع : اللوائح المنظمة لإدارة الاتحاد :

المادة (١٧) :

تصدر اللجنة التنفيذية الدائمة بقرار من رئيسها اللوائح اللازمة لتنظيم وادارة الأمانة العامة ، والشئون المالية والإدارية اللجان العلمية المتخصصة والمجلس الاستشارى ، والمؤتمر العام .

المادة (١٨) :

تكون للاتحاد ميزانية سنوية يقترحها الأمين العام ، وتناقشها اللجنة التنفيذية الدائمة لغرض اعتمادها .

المادة (١٩) :

دستور الاتحاد وقراراته وتوصياته لايجوز تعديلها بالحذف أو الإضافة أو التغيير إلا بقرار مكتوب من اللجنة التنفيذية الدائمة .

الباب الخامس : الموارد المالية :

المادة (٢٠) :

يعتمد الإتحاد على تمويل حركته وتسيير إدارته وشئونه على الموارد الآتية :

أ- تبرعات وهبات الأعضاء .

ب- تبرعات الأفراد والمؤسسات والهيئات والجمعيات الإسلامية الأخرى المؤمنة بأهداف الإتحاد .

جـ- أى تبرعات إسلامية أخرى تخدم أهداف الإتحاد .

د- نتاج المشروعات الاستثمارية الخاصة بالإتحاد .

المادة (٢١) :

لايجوز الإنفاق من الموارد المالية إلا بموافقة اللجنة التنفيذية الدائمة للإتحاد وفق لائحة مالية تصدرها لهذا الغرض .

الباب السادس : الأحكام الإنتقالية :

المادة (٢٢) :

يكون بيان إعلان قيام الإتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام بناء على ما قرر فى مؤتمر منهاج القرآن العالمى للدعوة الإسلامية الذى عقد فى لندن بتاريخ ١٩ / ٦ / ١٩٨٨ ، الأساس لقيام الإتحاد ، وهذا الدستور هو أساس عمله .

المادة (٢٣) :

تقوم اللجنة التنفيذية الدائمة بإتخاذ كافة الإجراءات القانونية لتسجيل الإتحاد وفقا لقوانين دولة المقر (باكستان) .

المادة (٢٤) :

يعمل بهذا الدستور من تاريخ إعتماده من اللجنة التنفيذية الدائمة ونشره باللغات العربية والأوردية والإنجليزية .. وعند الإختلاف فى التفسير بين النسخ يؤخذ بما ورد فى النص العربى[١].

١- دستور الاتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام ١٩٨٨ م .

الفصل السادس

المسـلمون فى آسـيا

مقدمة :

- **أقطار وسط آسيا .**
- **المسلمون فى الصين .**
- **المسلمون فى اليابان .**

مقدمة :

انتشر الاسلام فى معظم قارات العالم ، بحيث نجد المسلمين يعيشون فى كل أركان الكرة الارضية ومع وجود دول إسلامية دينها الرسمى الاسلام وكل سكانها أومعظمهم مسلمون ، فقد عاشت وتعيش حتى اليوم أقليات فى كثير من أقطار العالم فى آسيا وافريقيا واوروبا وامريكا ، وسط كثرة غير إسلامية .

وقبل أن نتحدث عن هذه الأقليات منذ وجدت على الارض التى تعيش فيها الان ، فاننا يجب أن نعرف الدول الاسلامية ونعددها أولا ، وهى على النحو التالى : -

١- جمهورية مصر العربية وسكانها حوالى ٦٠ مليون نسمة . (آسيا وأفريقيا) .

٢- الجمهورية الجزائرية وسكانها أكثر من ٢٥ مليون نسمة . (أفريقيا) .

٣- المملكة المغربية وعدد سكانها أكثر من ٢٤ مليون نسمة . (أفريقيا) .

٤- الجمهورية السودانية وعدد سكانها ٢٠ مليون نسمة . (أفريقيا) .

٥- الجمهورية العراقية وعدد سكانها ١٨ مليون نسمة .(آسيا) .

٦- الجمهورية السورية وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة . (آسيا) .

٧- المملكة العربية السعودية وعدد سكانها حوالى ١٢ مليون نسمة . (آسيا) .

٨- الجمهورية العربية اليمنية وعدد سكانها ٧ مليون نسمة . (آسيا) .

٩- الجمهورية التونسية وعدد سكانها ٧ مليون نسمة . (أفريقيا) .

١٠- جمهورية الصومال الديموقراطية وعدد سكانها ١٠ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٩٥م . (أفريقيا) .

١١- جمهورية موريتانيا الاسلامية وعدد سكانها اثنين مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٩٥م .(أفريقيا) .

١٢- الجمهورية اللبنانية وعدد سكانها ٤ مليون نسمة . (آسيا) .

١٣- المملكة الأردنية الهاشمية وعدد سكانها حوالى ٣ مليون نسمة . (آسيا) .

١٤- فلسطين وعدد الفلسطينيين داخل الارض الفلسطينية وخارجها حوالى ٢ مليون نسمة (آسيا) .

١٥- الجمهورية العربية الليبية وعدد سكانها حوالى ٤,٥ مليون نسمة . (أفريقيا) .

١٦- جمهورية جزر القمر وعدد سكانها ٥,٠ مليون نسمة . (أفريقيا) .

١٧- سلطنة عمان وعدد سكانها اثنين مليون نسمة . (آسيا) .

١٨- دولة الكويت وعدد سكانها يقارب المليون نسمة (٩٠٠ ألف تقريبا). (آسيا) .

١٩- جمهورية جيبوتى وعدد سكانها ٥٠٠ ألف نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٩٥م . (أفريقيا) .

٢٠- دولة الامارات العربية المتحدة وعدد سكانها (سبع امارات) ٨٠٠ ألف نسمة. (آسيا) .

٢١- دولة البحرين وعدد سكانها حوالى ٤٥٠ ألف نسمة . (آسيا) .

٢٢- دولة قطر وعدد سكانها حوالى ٢٥٠ ألف نسمة . (آسيا) .

وهذه المجموعة من الأقطار - وعددها ٢٢ دولة - تدخل فى منظومة الجامعة العربية ، فهى تتفق فى الدين والجنس واللغة العربية معا ، فانه توجد بها أقليات غير إسلامية هى فى الغالب أقلية تدين بالمسيحية وإن وجدت أقليات يهودية أو وثنية كما فى جنوب السودان مثلا

ومع ذلك فهناك عدة دول إسلامية أسيوية ولكنها لا تدخل ضمن المجموعة العربية ، إذ أنها رغم وحدة الدين الاسلامى فيما بينها وبين بعضها ، وبينها وبين دول المجموعة العربية ، فانها تختلف فيما بينها وبين بعضها كما تختلف فيما بينها وبين دول المجموعة العربية فى الانتماء للجنس البشرى وفى اللغة ، وهذه الدول الاسلامية هى :

١- الجمهورية التركية : وهى دولة أسيوية أوروبية وعدد سكانها حوالى ٤٥ مليون نسمة يدين ٩٩٪ منهم بالاسلام .

٢- إيران : دولة أسيوية عدد سكانها حاليا حوالى ٤٥ مليون نسمة .

٣- أفغانستان : دولة أسيوية مغلقة وعدد سكانها حوالى ٢٠ مليون نسمة .

٤- باكستان : وعدد سكانها بعد انفصال بنجلادش أكثر من ٧٠ مليون نسمة كلهم مسلمون .

٥- بنجلادش : وعدد سكانها يزيد عن ٨٠ مليون نسمة يمثل المسلمون فيهم أكثر من ٨٥٪ .

٦- كشمير : ليست دولة مستقلة تماما وتقع بين الهند وباكستان وعدد سكانها ٣ مليون نسمة ٨٠٪ منهم مسلمون .

٧- إندونيسيا : مجموعة جزر عدد سكانها ١٥٠ مليون نسمة .

٨- جزر الملديف : وهى أرخبيل من الجزر بالمحيط الهندى معظم سكانها البالغ ٠,٥ مليون نسمة مسلمون .

٩- اتحاد ماليزيا : (يتكون من شبه جزيرة الملايو + اقليم صباح + اقليم سرواك) وعدد السكان ١٦ مليون نسمة منهم ٥٦٪ مسلمون .

والدارس لاحصائيات السكان فى العالم يجد أن المسلمين يبلغ عددهم الان حوالى ١٠٠٠ مليون نسمة من بين سكان العالم البالغ عددهم ٦٠٠٠ مليون نسمة ، وعدد المسلمين هذا موزع على قارات العالم ، وقد بدأ مع ظهور الاسلام وانتشاره خارج الجزيرة العربية مهده الذى ظهر فيه باعتباره دينا عالميا لا يختص به العرب وحدهم أنما هو دين كافة الناس .

وقد اختلف فى تقدير عدد المسلمين فى العالم تقديرا دقيقا ، نظرا لعدم توفر الاحصائيات الرسمية الصحيحة إما لتخلف الاقطار التى لم تهتم بعمل إحصاء دقيق للسكان فيها ، وإما لأسباب سياسية ودينية تدعو الدول إلى عدم إذاعة عدد المسلمين الذين يعيشون على أرضها ، وما يهمنا هو أن المسلمين أخذ عددهم فى الأزدياد فقد بدأ القرن التاسع عشر وفى العالم من المسلمين نحو ثلثمائة مليون ، وانتهى فأصبح عددهم حوالى أربعمائة مليون بين آسيا وأفريقيا وقليل منهم فى أوروبا موزعين فى شبه جزيرة البلقان (ألبانيا واليونان) إلى جانب قبرص والقرم ورودس وبلاد البشناق وبولونيا وشواطىء بحر البلطيق فى لتوانيا وفنلندا وما جاورها[1].

وعدد المسلمين فى كل قارة غير معروف على وجه الدقة وأن كان مكان تواجدهم معروف تماما ، ففى آسيا يوجد مسلمون خارج الاقطار الاسلامية - وأعنى بها الاقطار العربية وتركيا وإيران وأفغانستان وباكستان وبنجلادش واندونيسيا وماليزيا - يعيشون فى كل من الاتحاد السوفيتى وفى الصين والهند والفلبين واليابان وكوريا وبلاد التبت ، وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم فى بعض هذه البلاد ، إلا أن هذه الأقلية فى نمو مستمر[2].

١- عباس محمود العقاد : الاسلام فى القرن العشرين ص ٥٥ .

٢- شاتليه (مترجم) : الغارة على العالم الاسلامى ص ١٥٠ .

وفى أفريقيا وجد مسلمون فى غير البلاد العربية والاسلامية - وأعنى بها الاقطار العربية وغينيا ومالى والسنغال والنيجر والكاميرون وجزر القمر - يعيشون فى كل من تشاد والشواطىء الغربية (سيراليون وجامبيا وفولتا العليا وداهومى وساحل العاج وغينيا بيساو وغيرها) إلى جانب تنزانيا ومدغشقر وموزمبيق والحبشة وأوغندة وكينيا وأفريقيا الجنوبية[1]. ويذكر المبشرون أن كثيرا من القبائل النصرانية التى فى شمال الحبشة دخلت فى الاسلام وأن كانت أسماء أفرادها لا تزال كما كانت من قبل ، والمبشرون المنتشرون علي ضفتى النيل وشرقى أفريقيا وبلاد النيجر والكنغو يرفعون أصواتهم بالشكوى من انتشار الاسلام بسرعة فى هذه الانحاء [2].

فاذا أضفنا المسلمين الذين يعيشون على الارض الامريكية - سواء فى أمريكا الشمالية أو دول أمريكا الوسطى أو دول أمريكا الجنوبية - لتبين لنا أن الاسلام ارتفعت أعلامه على أركان الدنيا ، وصار المسلمون يعيشون فى كل قارات العالم القديم والجديد معا ، ولا يقلل من فاعليتهم تخلفهم عن الاوروبيين فى الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، ولذلك فعند المقارنة بين المسلمين وغيرهم من الشعوب المتقدمة يجب ألا يقال عنهم أنهم تقهقروا منتكسين إلى الزمن القديم وانما يقال انهم وقفوا حيث تقدم غيرهم مع العلم الحديث[3].

وفى الصفحات التالية استعراض للاقليات الاسلامية فى أنحاء العالم ، وبصفة خاصة فى الكتل السياسية كالاتحاد السوفيتى السابق والصين وأوروبا وأمريكا وأفريقيا ، لتكون أمامنا صورة ولو محدودة عن ظروفهم فى ظل حكومات غير إسلامية .

١- عباس العقاد : المرجع السابق ص ٥٧ .

٢- شاتليه : المرجع السابق ص ١٥٠

٣- عباس العقاد : المرجع السابق ص ٥٧ .

المسلمون فى الاتحاد السوفيتى السابق :

يمكن التأريخ للوجود الإسلامى فى أقطار وسط آسيا منذ الفتح الاسلامى لوسط آسيا فى أيام الخلفاء الراشدين - عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان بصفة خاصة - وأيام الخلفاء الامويين وأيام الخلفاء العباسيين ، حيث انتشر الاسلام فى تلك المناطق التى سميت باسم بلاد ما وراء النهر والمقصود هنا نهر جيحون الذى يصب فى بحر آرال الذى يعرف أيضا باسم نهر خوارزم ، وهذه المناطق تضم إلى جانب خراسان - التى تتبع حاليا كلا من إيران وأفغانستان كما يخضع جزء منها للاتحاد السوفيتى - ست مناطق هى «فرغانة» وقصبتها «أخسكيت» ، و«اسبيجاب» ومركزها «اسبيجاب» أيضا ، و«الشاش» وهى فى الأغلب اسم مدينة «طاشقند» وقصبتها «نبكث» أو «طاشقند» ، و«أشرونة» وقصبتها «بنجكث» ، و«الصغد» وقصبتها «سمرقند» ، و«بخارى» وقصبتها «بخارى»[١].

وهذه المناطق عرفت باسم «تركستان» وقد ظهرت فيها مراكز حضارية إسلامية وذلك خلال عهد الخلافة العباسية ، حيث ظهرت مدينة «مرو» عاصمة خراسان ومركز الدولة الطاهرية ، ومدينة «غزنة» وكانت مركزا للدولة الغزنوية وتقع فى بلاد الأفغان جنوب كابل ، ومدينة «بخارى» وكانت مركزا للدولة السامانية ، ومدينة «سمرقند» عاصمة بلاد الصغد وحاضرة تيمورلنك ، وقد نبغ من علماء هذه المناطق كل من الامام البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ والامام مسلم المتوفى عام ٢٦١هـ ، «والترمذى» المتوفى عام ٢٧٩هـ «والنسائى» المتوفى عام ٣٠٣هـ والبيهقى المتوفى عام ٥٦٥ هـ وكل هؤلاء من أئمة الحديث إلى جانب «الطبرى» المتوفى عام ٣١٠ هـ المؤرخ والمفسر الذى عاش فى بخارى فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وأبى دلف مسعد بن المهلهل الخزرجى الذى اشتهر كرحالة وجغرافى وشاعر[٢] ، «والخوارزمى» المتوفى عام ٤٢٨ هـ المؤرخ والشاعر ، وابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ الطبيب الفيلسوف ، والغزالى صاحب كتاب إحياء علوم الدين والمتوفى عام ٥٠٥ هـ والزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ وهو من أئمة التفسير . وأكثر إشراف تلك المناطق يدعون إنهم من أصل عربى وأن آباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك ، وهم يفتخرون بذلك [٣].

١- محمود شاكر : تركستان ص ٢٦ .

٢- د. محمد منير مرسى : أبو دلف ورسالته الثانية ، مجلة الخليج الجديد عدد ٤٤ أكتوبر ١٩٧٩م

٣- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ص ١٨٨ .

وقد ظلت تلك المناطق خاضعة للدويلات الاسلامية بالمشرق حتى اجتاحها «جنكيزخان» أوائل القرن الثالث عشر الميلادى الموافق للقرن السابع الهجرى ، وقد وصل فى زحفه إلى بغداد فخربها ثم إلى الشام فهزمه سلاطين المماليك فى مصر فى موقعة عين جالوت بفلسطين عام ١٢٦٠م/ ٦٥٨ هـ ، ومنذ ذلك الوقت تجزأت دولة المغول الكبرى حتى ورثها التتار على يد تيمورلنك [١] الذى مد سلطته حتى روسيا وحرص على الشعائر الاسلامية حتى مات عام ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م ، ومن ثم تفككت أمبراطورية التتار الاسلامية لتظهر دولة روسيا المستقلة وعاصمتها موسكو عام ١٤٨٠ التى أخذت تنتقم من المسلمين فى كل بقعة تتوسع فيها ، فعلى سبيل المثال فقد طرد الروس من مدينة «كازان» التى إستولوا عليها عام ١٥٥٢م جميع أهلها المسلمين ، وذلك ليحلوا مكانهم أبناء جلدتهم من الروس ، ولكن أثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الاسلام على أيديهم طول الطريق التى سلكوها ، وبين جميع القبائل التى جاوروها [٢].

أخذ الروس يتوسعون على حساب الملوك والخانات المجاورين لهم وكانوا يضطهدون المسلمين فى كل بلد يجدونهم فيها ، ففى عام ١٥٨٠م أستولى الروس على مدينة «سيبير»[٣] عاصمة التتار ، وفى عام ١٧٢٢م استولى بطرس الاكبر قيصر روسيا على «الدربند» [٤]وسائر سواحل بحر قزوين الغربية ، وفشل شاهات إيران فى إزاحة الروس من هذه المناطق ، حتى انتهى الامر عام ١٨١٢م بتنازل الايرانيين عن كل ادعاء لهم فى هذه المناطق[٥].

سارت روسيا فى التوسع على حساب إمبراطورية التتار الاسلامية فاستولت أيضا على منطقة «القرم» عام ١٧٧٧م ، وإقليم «جورجيا» عام ١٨٠١م ، ومنطقة القوقاز أو «قفقاسيا» عام ١٨٦٤م والتى عرفها العرب باسم «القبق» والتى تشمل جبال القوقاز

١- تيمورلنك تعنى تيمور الأعرج .

٢- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٣٨ - ٣٩ .

٣- اطلق الروس اسم سيبريا على كل البلاد التى تقع إلى الشرق من جبال الأورال وهى مشتقة من اسم عاصمة التتار .

٤- الدربند منطقة تقع بالقرب من بحر قزوين فى آسيا الوسطى .

٥- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٩ .

وسفوحها الشمالية والجنوبية وتنحصر بين بحرى قزوين والبحر الاسود والتى دخلها الاسلام منذ عهد الخلفاء الامويين حتى أخذها جنكيز خان بعد أن بلغت عدد سنوات حكم العرب لها حسب رأى البعض ٤٦٣ سنة ، ونتيجة لبطش «جنكيزخان» «وتيمورلنك» بأهل القوقاز هرب كثير منهم إلى مصر والعراق حيث قامت دول المماليك الجراكسة .

وحاول أهل البلاد المقاومة أمام الغزو الروسى للقوقاز ، وظهر زعماء مسلمون تصدوا لقيادة المقاومة من أشهرهم الشيخ شامل الذى كان عالما مسلما فهم الاسلام دولة فكان رئيسا للحكومة ، وفهمه سياسة فاستطاع أن يغتنم الفرص المناسبة ، ويعتمد على مؤيديه فى مناطق نفوذ أعدائه ، وفهمه إصلاحا فأسس المحاكم وأقام العدل ، وفهمه قوة فأوجد المصانع الحربية.[1] وقد نجح الشيخ شامل خلال الفترة من ١٨٤٣ إلى ١٨٥٩م فى التصدى للروس فى القوقاز حيث اتخذ من بلاد الطاجكستان مركزا لعملياته الحربية حتى تمكنت روسيا من البلاد واستسلم الشيخ شامل فى ٦سبتمبر ١٨٥٩م [2]. وحتى ذلك الحين عاشت اللغة العربية فى القوقاز حياة كاملة لا فى الكتابة فقط بل وفى الحديث أيضا ، بل إن قوة تيار التراث العربى القديم فى القوقاز استطاعت أن تحمل حتى أيامنا اللغة العربية الفصحى التى لا تستخدم فى التخاطب العام فى موطنها فى البلاد العربية [3].

وهكذا نجحت روسيا القيصرية فى السيطرة على أقاليم وسط آسيا التى بها الاسلام واللغة العربية ، وعمل الروس على إبقاء المجموعات الاسلامية فى تلك المناطق غير موحدة دينيا ولا سياسيا ، فكان القيصر يعين مفتى روسيا الداخلية ومفتى القرم (المناطق الغربية) ولم يكن لآسيا الوسطى مفتى واحد وأنما عدد من المفتين ، أما على الصعيد السياسى فكان المسلمون يشكلون جزءا من روسيا كسائر شعوب الامبراطورية وكانوا خاضعين لانظمتها إلا فى المحميات (إمارة بخارى وخانيه خيوة) ، وكان مسلمو تركستان ومركزها طاشقند والسهوب يخضعون للحكام العامين ، أما سكان القفقاس (القوقاز) فيخضعون لنائب الملك ، وترك القبائل الرحل يخضعون لعاداتهم وتقاليدهم مثل «القيرغيز» و «القوراق» .وظل الاستعمار

١- محمود شاكر : قفقاسيا ص ٢٦ .

٢- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٩١ .

٣- كراتشكوفسكى تعريب د. محمد منير مرسى : مع المخطوطات العربية - المراقب الملازم لشامل فى كالوجا ص ١٨٩ - ١٩٧ .

الروسى عسكريا فى جوهره لم يهتم إلا ببناء الحصون والمنشآت العسكرية بينما أهمل المناطق الاسلامية إهمالا لا يعادله إهمال آخر[١].

وحيث استطاعت روسيا منذ القرن الثامن عشر استخلاص مناطق آسيا الوسطى من يد أصحابها حتى إستتوى مركزها هناك عام ١٨٨٤م باستسلام «مرو» إليها عن رضا وطيب نفس[٢]، فان السياسة اللا إسلامية التى أتبعها الروس فى حكم المسلمين كانت من الأسباب التى دعت إلى تزمر المسلمين من ناحية وتهيئتهم للثورة على الحكم الروسى كما دعت فى نفس الوقت إلى التمسك أكثر بالدين الاسلامى ، وإن كانت القيود التى وضعتها الادارة الروسية على المسلمين قد أوقفت نشاطهم فى نشر الدين الاسلامى بين غير المسلمين .

وعندما قامت الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ تفاءل المسلمون الخاضعون للسيطرة الروسية خاصة عندما عرضت الحكومة الشيوعية فى موسكو على الشعوب التى خضعت للقياصرة بحد السيف الاختيار بين البقاء تحت إدارة الحكم الجديد أو الاستقلال ، وكان أهالى بلاد القوقاز أجمعين ممن أعلنوا أستقلالهم التام فتألفت جمهورية فى كرجستان (بلاد الكرج أو جورجيا) ، وأخرى فى الطاجستان ، والثالثة فى أذربيجان ، والرابعة فى أريفان الارمينية، وأوفدت كل من الجمهوريات الاربع وفودها إلى الاستانة لمفاوضة الاتراك والالمان فى الاعتراف بهذه الجمهوريات الأربع ، وصار الحديث فى ارتباطها بعضها ببعض بشكل حلفى[٣]. ولكن هزيمة الاتراك والالمان فى الحرب العالمية الاولى واحتلال الانجليز للقوقاز قد أوقف مشروعات جمهوريات القوقاز الاسلامية ، حتى إذا إستعاد الروس القوقاز قبضوا بيد من حديد على هذه الجمهوريات وقضوا بشدة على الثوار الوطنيين فيها .

وفى تركستان قامت ثورة ضد الحكم الروسى منذ عام ١٩١٩ ، وقد قام بدور فيها القائد التركى المعروف أنور باشا والذى عمل وزيرا للحربية فى حكومة الاتحاديين ثم ترك تركيا عقب إعلان الهدنة وقاد ثورة تركستان حيث استشهد عام ١٩٢٢م بعد كفاح دام أحد عشر شهرا كاملا[٤].

١- محمود شاكر : تركستان ص ٤٦ -٤٧ .

٢- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٦٧٠ .

٣- لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٩١ .

٤- محمود شاكر : تركستان ص ٥٣ .

وبعد أن هاجم عساكر البلاشفة فى مواطن عديدة وظفر بهم ، وغنم منهم مدافع واعتادا حربية ، ونشرت الجرائد الاوروبية أخبار غزواته وفتوحاته ، وفرح بها أحبابه والمسلمون جميعا[١].

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية حاولت حكومة الاتحاد السوفيتى استرضاء المسلمين الخاضعين لها فسمحت بأنشاء مراكز إسلامية ، ولكن ما كادت الحرب تنتهى حتى عادت الحكومة السوفيتية إلى اتباع أسلوب القسوة والاضطهاد بل الابادة مع المسلمين خاصة أنها نقمت انضمام كثير من المسلمين المضطهدين إلى الالمان أثناء معارك الحرب العالمية ضد الروس ، ونتج عن هذا الاسلوب القضاء على مظاهر الايمان عند المسلمين بمعنى عدم الجهر به خوفا وتقية ، ولكنه لم يستطع أن يمس حقيقة الايمان فى نفوس المسلمين الذين قاوموا الالحاد .

إن تسعة أعشار المسلمين فى آسيا الذين يعيشون فى أقطار الاتحاد السوفيتى السابق إنما هم من الاتراك ، كما أن معظم هؤلاء المسلمين إنما هم من أتباع السنة ، كما يعيش حوالى ثلاثة ملايين من الشيعة أغلبهم فى جمهورية طاكجستان ، كما يوجد مائة ألف إسماعيلى فى هضبة البامير وهم من أتباع أغا خان ولهم إتصال بالهند [٢]. وقد عمدت الحكومة السوفيتية إلى تقسيم المسلمين وذلك لتجزئتهم ، وهم يعيشون الآن فى :

١- جمهورية قازاخستان وهى جمهورية إسلامية وعدد سكانها ١٧ مليون نسمة وعاصمتها مدينة «ألما أضا» أى بلد التفاح . نصفهم تقريبا مسلمون .

٢- جمهورية أوزبكستان وعدد سكانها ٣٠ مليون نسمة وقد شملت كلا من جمهورية «كاراكالباكيا» وجزء من إمارة بخارى ، وقسما من خانية خوارزم ومناطق أخرى وعاصمتها مدينة «طاشقند» وأهم مدنها «سمرقند» و«خيوة» و«بخارى» وعدد المسلمين ١٦ مليون .

٣- جمهورية تركمانستان وعدد سكانها أربعة مليون نسمة فقط رغم أتساع مساحتها وعاصمتها مدينة «عشق آباد» وتقع جنوب البلاد بالقرب من حدود إيران .وعدد المسلمين فيها أكثر من ثلاثة مليون نسمة.

٤- جمهورية «قيرغيزيا» وعدد سكانها حوالى خمسة ملايين نسمة ، ولكن نتيجة لسياسة الاتحاد السوفيتى المناهضة للوطنيين تناقص العدد وزاد عدد الوافدين من الروس

١- لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ٤ ص ٣٧٢

٢- محمود شاكر : تركستان ص ٦٩ .

والعاصمة «فرونزى» نسبة إلى القائد الروسى ميخائيل فرونزى ، مما يدل على سيطرة الروس على القيرغيز . وعدد المسلمين حوالى أربعة ملايين مسلم .

٥- جمهورية طادجكستان : ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من ستة مليون وهم من أصل إيرانى ومركزها مدينة «ستالين أباد» . وعدد المسلمين حوالى خمسة ملايين مسلم .

٦- جمهورية باشكيريا : وتقع فى السفوح الغربية لجبال أورال سكانها حوالى خمسة ملايين نسمة وعاصمتها مدينة «أوفا» التى ظلت حتى القرن الحالى مركزا إسلاميا كبيرا . وعدد المسلمين يقرب من أربعة مليون مسلم .

٧- جمهورية تاتاريا وتشترك مع جمهورية باشكيريا فى حدودها الشرقية ، وعاصمتها مدينة كازان التى اشتهرت بوجود عدد كبير من المساجد مما يدل على وجود عدد كبير من المسلمين بلغ ثلاثة ملايين نسمة وعدد سكانها حوالى خمسة مليون .

٨- شبه جزيرة القرم التى قامت بها دولة إسلامية عقب الحرب العالمية الأولى ولكن الشيوعيين فى موسكو قضوا على هذا الاستقلال وسيطروا على البلاد حتى الان وحاربوا الوجود الاسلامى . وعدد السكان حوالى سبعة مليون نسمة منهم خمسة ملايين مسلم .

وهذه الجمهوريات السبع إلى جانب القرم مناطق إسلامية ، وكلها تعرف بتركستان الروسية فى الوقت الذى توجد فيه تركستان الصينية ، كما توجد جمهوريات وأقاليم إسلامية أخرى فى منطقة القوقاز تخضع لسيطرة روسيا الاتحادية ، وهى على النحو التالى :

أولا : جمهوريات ذات استقلال وتدخل فى اتحاد فيدرالى مع موسكو[1] وقد أصبحت دولا مستقلة وهى :

١- جمهورية أرمينيا ، وتقع فى الجزء الجنوبى من القوقاز على حدود تركيا وإيران ، ويزيد عدد سكانها عن ٤ مليون ونسبة المسلمين منهم حوالى ١٢٪ .

٢- جمهورية أذربيجان ، وتقع إلى الجنوب الشرقى من القوقاز ، وبها مدينة باكو العاصمة التى تنتج البترول وعدد سكانها حوالى سبعة ملايين ونصف ونسبة المسلمين فيهم ٧٨٪ وكانت أكثر من ذلك قبل دخول الروس إلى هذه المنطقة .

٣- جمهورية جورجيا : وتشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز ، ويبلغ عدد

١- محمود شاكر : قفقاسيا ص ٤٦ .

سكان جورجيا حوالى ستة ملايين ونصف نسمة ونسبة المسلمين منهم ١٩٪ ، ويعرفون باسم الكرج والعاصمة مدينة «تفليس» . وتضم أقساما إدارية هى «جورجيا» و «إبخازيا» و «آجاريا» .

ثانيا : جمهوريات ذات حكم ذاتى وتشمل [١]:

١- جمهورية «كباردديا بلكاريا» وكل سكانها مسلمون وهم من العناصر الشركسية ، وعدد سكانها حوالى المليون نسمة .

٢- جمهورية «أوستينا الشمالية» وبعض السكان يعتنقون المسيحية والبعض الآخر مسلمون .

٣- جمهورية «شاشان أنغوشيا» وسكانها يدعون أنهم من أصل عربى ، ويبلغ عددهم ما يقارب المليونين يتمسكون بالاسلام .

٤- جمهورية أبخازيا : وتقع شمال غربى جورجيا على ساحل البحر الاسود وعاصمتها مدينة «سوخوم» وبعض سكانها مسلمون والبعض الاخر مسيحيون خاصة الذين يقيمون على الساحل .

٥- جمهورية آجاريا : وتقع على ساحل البحر الاسود أيضا بين «جورجيا» و «تركيا» وعاصمتها مدينة «باطوم» وهى مدينة بترولية تصدر بترول «باكو» .

٦- جمهورية داغستان وتقع بين جبال القوقاز وبحر قزوين وعدد سكانها حوالى مليونين ونصف وكلهم من المسلمين على اختلاف أجناسهم فيما عدا الروس الوافدين إلى البلاد والعاصمة مدينة «محج قلعة» التى تعرف اليوم باسم «ماخاتشكالا» .

٧- جمهورية ناختيشيفيان ، وهى من الجمهوريات الواقعة إلى الجنوب من أرمينيا على الحدود الايرانية ، ومن ثم فسكانها من أصل إيرانى ويتمسكون بالإسلام .

ثالثا : مقاطعات ذات حكم ذاتى وهى :

١- كراتشاى الشركسية : وهى مقاطعة ذات حكم ذاتى وتابعة لاقليم «ستافروبول» وسكانها من المغول وكلهم مسلمون .

١- محمود شاكر: نفس المرجع ص ٤٧ وما بعدها .

٢- قره باخ الجبلية : وهى تقع فى جمهورية أذربيجان فى سفوح جبال أرمينيا .

٣- أوستينا الجنوبية : والاوستين اسم قبيلة شركسية تقطن القسم الأوسط من جبال القوقاز وتقع إلى الجنوب من جمهورية أوستينا الشمالية ، وهى تتبع جمهورية جورجيا .

٤- الأديغة : وتقع عند ساحل البحر الاسود الشرقى وأهم مدنها ميناء سوخى .

وهذه التقسيمات للبلاد التى يسكنها مسلمون فى الاتحاد السوفيتى السابق له مخططاته التى تتفق مع نظرة الماركسية إلى الاسلام وإلى كل دين باعتباره مخدر الشعوب كما يقولون ، ومن ثم جاءت هذه التقسيمات لكى تحارب الوجود الاسلامى بين المسلمين وفى نفوسهم . ورغم وجود تشكيلات دينية ومفتى أعظم فى تركستان مركزه طاشقند ، ورغم وجود مفتى أعظم لمسلمى القوقاز . ومفتى لمسلمى القرم [١]، فأن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى السابق يلقون العنت والاضطهاد ، ويتعرض الشباب المسلم لتأثيرات معادية للاسلام حتى يخشى على الاسلام بعد انتقال الجيل المعاصر المسلم إلى الرفيق الاعلى .

وسعت الحكومة الروسية أيضا - مع سعيها لمحاربة الدين الاسلامى - إلى فرض اللغة الروسية على أطفال مدارس تركستان أى على المسلمين الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية ، وإقناع هؤلاء المسلمين بأن مصلحتهم فى الخضوع للسياسة الروسية إذا أرادوا التقدم ونزع صفة التخلف عنهم ، وإدراك أن الدين هو الذى يحول بينهم وبين الأخذ بأسباب التقدم فى مختلف نواحى الحياة .

المسلمون فى الصين :

ينتشر المسلمون فى كل مقاطعات الصين وإن كانت نسبتهم تختلف بين مقاطعة وأخرى ، ويرجع هذا الاختلاف إلى الطرق التى دخل بها الاسلام وانتشر فى الصين وإلى سياسة الحكومات الصينية المتعاقبة نحو رغبة المسلمين فى إقامة حكومة إسلامية تجمعهم تحت ظلها. وقد دخل الاسلام إلى الصين منذ أيام الاسلام الاولى خاصة فى عهد الخلفاء الراشدين . وأن أول وافد من الدولة الاسلامية إلى الدولة الصينية أوفد عام ٦٥١م فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . ثم ذهبت الوفود الاسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس متعاقبين إلى الصين فى عهد الخلفاء الراشدين أيضا[١] .

١- لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٨٨ .

٢- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

وكان للتجار المسلمين دور كبير فى انتشار الاسلام بالصين ، فالتجار الذين نزلوا بالمناطق الساحلية وخاصة فى المراكز الكبرى مثل «كانتون» و «شانغهاى» ومدن «شانتونج» حملوا معهم الدعوة الاسلامية والتجار الذين دخلوا الى الاجزاء الغربية من الصين بطريق البر عبر وسط آسيا قاموا هم أيضا بدور هام فى هذا السبيل وتنقلوا فى فيافى الصين ولم يقتصروا على جهة واحدة وأنما فى جميع الجهات فكان انتشار الاسلام يماشي سير الدعاة ويختلف حسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومدة إقامتهم ومدى إيمانهم وعمق فكرتهم [١]. ودخل الاسلام إلى شمال الصين بواسطة الترك فى عهد جنكيزخان وخلفائه ، حيث لم يعبأ جنكيزخان بالدين وكان يجمع حوله من جميع الملل ودخل فى جنده كثير من الترك والأفغان والباتان والفرس ، وكل هؤلاء مسلمون فنشروا الاسلام فى الصين [٢].

وحتى اليوم نجد أن المسلمين يكثرون فى مقاطعات «كانسو» و «يونان» و «هونان» و «شانتونج» و «هابى» ، إضافة إلى تركستان التى معظم سكانها من المسلمين [٣]، وقد انتشر الاسلام فى الصين انتشارا سريعا وسهلا نتيجة توفر عدة عوامل هى :

١- تجارة المسلمين وهى سبب دخول الاسلام فى الصين الاصلية فى عهد أسرة «تان» (٦١٨ - ٩٠٥م) ، وازدهر الاسلام فى عهد أسرة «سون» (٩٦٠ - ١٢٧٦م) وأسرة «مين» (١٣٦٨ - ١٦٤٣ م) .

٢- الفتوح الاسلامية وهى سبب إسلام سكان مقاطعة سنكيانج أو التركستان الصينية فى عهد أسرتى «سون» و «مين» ، فضلا عن أنها كانت سببا فى إسلام التركستان الروسية فى عهد أسرة «تان» .

٣- تناسل المسلمين ، وهو سبب ازدهار الاسلام وازدياد المسلمين فى الصين الاصلية بعد أسرة «يون» (١٢٧٧ - ١٣٦٧م) وأسرة «مين» التى تلتها .

٤- اختلاط الكافرين - الوثنيين - بالمسلمين وتأثرهم بآدابهم وهو سبب آخر لاسلام أبناء التتار فى التركستان الصينية والروسية [٤].

٥- شراء المسلمين لاولاد الصينيين الوثنيين ويربونهم على الاسلام فيصيروا متمسكين بالدين الاسلامى ، ومما يدل على ذلك أنه فى ثورة البوكر التى جرت عام ١٩٠٠م والتى قتل فيها ألوف من المسيحيين ، ونهبت أموالهم ، وبيعت نساؤهم فاشترى مسلمو نينغ هسيا

١- محمود شاكر : تركستان الصينية ص ٥٢ .
٢- لوثروب ستودارد : المرجع السبق جـ ١ ص ٢٧١
٣- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٦ .
٤- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٧٤ .

عددا كبيرا منهم ، وبعدها صار يسعى مطران منغوليا لاستردادهم ، ولكن رفض أغلبهم الردة بعد أن عرفوا الاسلام وذاقوا حلاوة الايمان .

٦- لجوء مسلمى الصين إلى الزواج بالصينيات الوثنيات ، وهم يرغبون من ذلك نشر الاسلام فلعل الله يشرح صدور زوجاتهم للاسلام [١].

ويبلغ نسبة عدد المسلمين فى الصين إلى عدد سكان الصين حوالى ١/ ١٠ على أكثر المصادر دقة ، فاذا كان عدد سكان الصين ١٣٠٠ مليون نسمة الان فاننا يمكن أن نذكر دون مبالغة أن عدد المسلمين فى الصين ١٣٠ مليون ، يتكلمون اللغات الصينية والتركية والفارسية والعربية بالترتيب وحسب المناطق التى يعيشون فيها ، ومعظم الكتب الدينية تكتب باللغتين العربية والفارسية ، ويعمل المسلمون هناك بالتجارة والزراعة ، وهم غير مكروهين من قبل بقية الطوائف الصينية ، وذلك لعدم نقدهم مبادىء الفيلسوف «كنفوشيوس» ولعدم إذاعة الدعوة الاسلامية أى عدم التبشير بها ، ومن ثم كان مسلمو الصين وطنيون بكل معنى الكلمة وهم أهل نجدة وشجاعة وهم رجال حرب وقتال وكثير منهم جنود فى الجيش وفيهم قواد ، وفيهم علماء وأن لم تكن لهم رئاسة دينية وإنما تقوم الجمعيات المحلية بالاشراف على التقاليد الاسلامية [٢].

ورغم استمرار انتشار الاسلام وحسن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فى الصين ، إلا أنه عندما سيطرت الأسرة «المانوشورية» على الحكم فى الصين خلال ثلاثة قرون (١٦٤٤-١٩١١م) اضطهدت هذه الاسرة المسلمين وسامتهم سوء العذاب فصادرت أملاكهم ، وأخذت أموالهم ، وأنتهكت حرماتهم ، مما جعل الثورات تندلع فى كل مكان من قبل المسلمين[٣].والتى بدأت عام ١٨٥٦م فى بلاد «يونان» بسبب شجار عمال من المسلمين والوثنيين يعملون فى أحد المعادن فأسفر القتال عن الغلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحنق من ولاة الصين مبلغه فاستنفروا إليهم الوثنيين قاطبة ، وتكررت الوقائع وصمد الفريقان بعضهم لبعض ، فلجأت الحكومة إلى الحيلة والدسائس وجاذبت زعماء المسلمين حبال الرشوة بالاموال وآلاعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم ومن ثم ينتقم منهم الصينيون شر أنتقام[٤].

١- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٦ - ٥٧ .

٢- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥ . ويحب المسلمين أن يقال لهم لفظة «باى شان» أى أصحاب العمائم البيض .

٣- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٩٠ .

٤- لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

وعندما قامت الثورة الشيوعية فى الصين عام ١٩٤٩م ، وأعلنت جمهورية الصين الشعبية - التى أنهت حكم جمهورية الصين الذى أمتد من عام ١٩١١ كبداية للحكم الجمهورى - أعلنت حكومة بكين أن تركستان الصينية (الشرقية) دولة تتمتع باستقلال ذاتى ، وأصبح السيد سيف الدين هو رئيس الدولة وذلك عام ١٩٥٣م ، وعرفت هذه البلاد منذ تلك الفترة باسم «سينكيانج» ووصلت مع الصين بخط حديدى عام ١٩٥٨م [١].

وتضم الصين المقاطعات التالية :

١- ولاية «كانسو» وتتألف من هضبة التبت العالية وتقع على السفوح الشرقية لجبال نان شان ، وبها سور الصين العظيم ، وعدد سكانها من المسلمين حوالى ٧ ملايين ، ومركز المقاطعة مدينة « لان تشو » .

٢- مقاطعة «نينج هسيا» وأكثر سكانها من المسلمين وهى فى الاصل جزء من « كانسو» ومركزها مدينة «نينج هسيا» .

٣- مقاطعة «يونان» . وتقع بين منطقة التبت ومقاطعة ستشوان فى الشمال وبين دولة بورما من الغرب وفيتنام ولاوس من الجنوب ومقاطعتى «كوانج سى» و «كيوتشو» من الشرق وكان ظهور الاسلام فيها على يد رجل يدعى السيد الاجل فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ويزيد عدد سكانها عن المليون نسمة وعاصمة المقاطعة مدينة «يونان» .

٤- مقاطعة «شنس» : وعاصمتها مدينة «سنفان» وعدد المسلمين فيها يقدر بحوالى المليون .

٥- مقاطعة «شانس» وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٥ ألف مسلم .

٦- مقاطعة تشيهلى ، وقد قسمت إلى عدة مقاطعات أصغر وعدد سكانها حوالى المليونين وعاصمتها مدينة بكين عاصمة الجمهورية .

٧- مقاطعة «شانتونج» ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ٢٠٠ ألف نسمة وهى مقاطعة ساحلية .

٨- مقاطعة منشوريا : وعاصمتها مدينة «شن يانج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

١- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٠ .

٩- مقاطعة «منغوليا الداخلية» : عدد المسلمين فيها قليل وغير معروف على وجه الدقة

١٠- مقاطعة «ستشوان» : ومركزها مدينة «سونج بان تينج» ويزيد عدد المسلمين عن ربع المليون .

١١- مقاطعة «هونان» ومركزها مدينة «هوى شينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

١٢- مقاطعة «هوبة» : ومركزها مدينة «فوشانج» وعدد المسلمين فيها حوالى عشرة آلاف مسلم .

١٣- مقاطعة «آن هوى» : وعاصمتها مدينة «أنكينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ٥٠ ألف مسلم .

١٤- مقاطعة «كيانج سو» : ومركزها مدينة «نانج كينج» وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

١٥- مقاطعة «تشيكيانج» : ومركزها مدينة «هانج تشوفو» وعدد سكانها من المسلمين يقرب من المليون مسلم .

١٦- مقاطعة «كوى شوى» : وبها حوالى عشرة آلاف مسلم .

١٧- مقاطعة «كوانج سى» : ومركزها مدينة «كوى لين» وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٠ ألف مسلم .

١٨- مقاطعة «كوانج تونج» : وعاصمتها مدينة «كانتون» وعدد المسلمين حوالى ٢٥ ألف مسلم .

١٩- مقاطعة «كيانج سى» : وبها حوالى ثلاثة آلاف مسلم .

٢٠- مقاطعة «فوكين» ومركزها مدينة «آموى» وعدد المسلمين فى المقاطعة عدة آلاف قليلة [١].

وقبل ان نختتم حديثنا عن المسلمين فى الصين لنا سؤال ما هى أحوال المسلمين فى الصين وما هو واجب المسلمين فى الاقطار الاسلامية نحوهم ؟ لا شك أن الشيوعية لا تعترف بالدين بل وتحاربه ولا تدين إلا بالدنيا ، ولهذا لا تجد مجالا للتفرقة بين الناس فى غيرها ، فتضيق بغير الشيوعية ولا تقبله فى دولتها ، وتفرق بها فى الدنيا بين الناس فتثيب فى الدنيا من ينتحلها ، وتعاقب فيها من لا يتخذها عقيدة [٢].

١- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٩ - ٨٨ .

٢- عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ص ٥٨٤ .

وتبعا لسياسة الشيوعية تغيرت عقيدة بعض مسلمى الصين تحت تأثير الضغط أحيانا والتوجيه أحيانا أخرى وخاصة بالنسبة إلى النشىء الجديد ، وتارة من أجل الوظائف والمناصب، وتارة بسبب ضعف الايمان حيث يظن بعض الناس أن الارزاق والاعمار بيد الحكام ، ورغم ذلك نجد أن بعض المسلمين تمسكوا بعقيدتهم واحتفظوا بدينهم أشد الاحتفاظ وإن كانوا قد تواروا فى عبادتهم عن الانظار ، وابتعدوا فى صلواتهم عن العيون ، تجنبا لما اتبعه النظام الشيوعى من سياسة اقتصادية تقوم على اغتصاب أموال الناس باسم القانون ، وسياسة اجتماعية حطمت الروابط بين الافراد والاسر وخرقت العادات والتقاليد الخلقية . وما إلى ذلك من سياسات اوجدت رد فعل عند المسلمين فيتطلعون إلى قوة إسلامية كبرى تمد لهم يد المعونة ، وينتظرون دعوات للدين حتى ينضوا تحت لوائها ويسيروا فى ركبها [١].

المسلمون فى اليابان وكوريا :

دخل الاسلام الجزر اليابانية عن طريق مواطنين من التركستان الذين فروا أمام ضغط وأضطهاد الروس الشيوعيين فى تركستان ومنشوريا ، ويمكن التأريخ لأول مسجد بنى فى اليابان إلى عام ١٩٣٥م وقد ألحقت به مكتبة إسلامية يستطيع أن يلجأ إليها من يرغب فى المزيد من المعارف والمعلومات الصحيحة عن الاسلام والمسلمين .

وقد تزايد عدد المسلمين فى اليابان نتيجة عدة عوامل مثل انضمام بعض الجنود اليابانيين إلى الاسلام عقب عودتهم من الحرب فى ماليزيا وأندونيسيا أثناء الحرب العالمية الثانية ، ومثل تأثر بعض اليابانيين بالاسلام فى تعاملهم مع مسلمين سواء كانوا أساتذة وعلماء أو تجار ، وأثناء عمل اليابانيين فى بعض البلاد الاسلامية مثل أفغانستان وباكستان وغيرها .

ومنذ عام ١٩٥٢م تم تشكيل اتحاد لمسلمى اليابان ، والذى يعد أقدم المنظمات الاسلامية فى اليابان والتى يبلغ عددها الان ١٥ منظمة ، وتقوم هذه المنظمات بأنشاء المساجد والمعاهد لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى والاتصال بالاقطار العربية والاسلامية وحضور المؤتمرات والندوات الاسلامية التى تعقد هنا وهناك فى أنحاء العالم الاسلامى .

ويتولى الحاج «عبد الكريم سيتو» الاستاذ بجامعة «تاكو شوكو» وظيفة منسق مجلس المنظمات الاسلامية فى اليابان .

ويبلغ عدد المسلمين اليوم فى اليابان حوالى ٧٥ ألف مسلم ، وقد كان عددهم قبل عام

١- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩١ .

١٩٧٣م قليلا ثم تضاعف بعد هذا التاريخ منذ أزمة البترول حيث شعر اليابانيون بحاجتهم إلى التعامل مع الاقطار العربية ، ولكى ينجح هذا التعامل لابد من التقرب من العرب ، ومن ثم دخل الكثيرون فى الاسلام .

وفى كوريا الجنوبية يبلغ عدد السكان ٤٥ مليون نسمة وعدد المسلمين فيهم ٦٠ ألف مسلم وفى هونج كونج يبلغ عدد المسلمين حوالى ٣٠ ألف مسلم من ٦ مليون نسمة

المسلمون فى جنوب شرق آسيا :

وبالنسبة للمسلمين فى أقطار جنوب شرق اسيا ، فان عدد المسلمين فى سنغافورة حوالى نصف مليون مسلم من جملتعدد السكان البالغ ثلاثة ملايين نسمة ، وفى فيتنام تبلغ نسبة المسلمين إلى عدد السكان ٣٪ ، وفى كمبوديا تبلغ نسبة المسلمين إلى عدد السكان ٢٪ وفى لاوس يعيش أربعة آلاف مسلم ، وفى نيبال تبلغ نسبة المسلمين إلى عدد السكان ٤٪ ، وفى تايلاند تبلغ نسبة المسلمين إلى عدد السكان ٤,٠ ٪ وفى بورما يعيش عدد من المسلمين تبلغ نسبتهم ٧٪ من عدد السكان . وفى فورموزا (تايوان) يعيش حوالى ٧٠ ألف مسلم .

أما عدد المسلمين فى الفلبين فيبلغ حوالى ١٥ مليون مسلم من عدد السكان البالغ عددهم حوالى ٦٥ مليون نسمة . بينما يبلغ عدد المسلمين فى جزر فيجى ٧٠ ألف مسلم من جملة عدد السكان البالغ حوالى ٨٠٠ ألف نسمة ، وفى غينيا الجديدة يبلغ عدد المسلمين ألفي مسلم من جملة عدد السكان البالغ ٤٠٠ ألف نسمة ، بينما يبلغ عدد المسلمين فى نيو كاليدونيا حوالى ٣٠ ألف مسلم من جملة عدد السكان البالغ ١٧٠ ألف نسمة .

وفى أستراليا يبلغ عدد المسلمين ٣٠٠ ألف مسلم من جملة عدد السكان البالغ ١٦,٥ مليون نسمة . أما نيوزيلاند فيبلغ عدد المسلمين فيها حوالى ستة آلاف مسلم من جملة عدد السكان البالغ حوالى ٣,٥ مليون نسمة .وفى سيرى لانكا يبلغ عدد المسلمين حوالى مليوني مسلم من جملة عدد السكان البالغ حوالى ١٧ مليون نسمة . وفى بوتان تبلغ نسبة المسلمين إلى عدد السكان ٥٪ ، وفى نيبال يبلغ عدد المسلمين حوالى المليون مسلم من جملة عدد السكان البالغ حوالى ٢٠ مليون نسمة .

الفصل السابع

المسلمون فى أفريقيا

مقدمة :

- الأقطار الاسلامية .

- الأقليات الاسلامية فى أقطار أفريقية

مقدمة

تتناول دراستنا لهذا الموضوع الوجود الإسلامي في الأقطار الأفريقية غير الإسلامية للوقوف على أحوال المسلمين فيها بصفتهم أقليات وسط سكان غير مسلمين لندرك الدور الواجب على الأقطار الإسلامية والمسلمين في كل مكان نحو هذه الأقليات لتدعيمها ماديا وأدبيا .

ويعتبر دخول الإسلام فى أفريقيا من الأمور ذات الأثر الكبير فى تاريخ القارة ، وهذا لأن العرب المسلمين أصحاب الدين الجديد لم يؤمنوا يوما بنظرية تفوق الأجناس أو وجود جنس نقى ، بل تزاوجوا واختلطوا بجميع الشعوب الأفريقية ،وارتحلت القبائل العربية فى الصحراء الكبرى ، وربطت بين الأفريقيين شمال القارة ووسطها وشرقها وغربها [1] حتى أصبح عدد المسلمين فى القارة الأفريقية اليوم يوازى ثلث سكان القارة شمال وجنوب خط الإستواء .

ويمثل الإسلام اليوم فى القارة الأفريقية قوة كبرى ،ولا تقتصر هذه القوة على القيمة العددية للأفارقة المسلمين فقط بل تشمل هذه أيضا النشاط الثقافى والإقتصادى والاجتماعى الذى يمارسه مسلمو أفريقيا إلى جانب اشتراكهم الحالى فى الحركات التحررية لأوطانهم للتخلص من نير الإ ستعمار الأجنبي بوسائله المختلفة [2] .

وإن نظرة إلى الإحصائية التى وردت فى بعض المصادر عن أعداد الأفارقة المسلمين فى كل قطر من الأقطار الأفريقية يتضح أن الدين الإسلامي في انتشا ره بأفريقيا قد اخترق نطاق الغابات فى غرب أفريقيا ،كما انتشر على طول الساحل الغربي ودخل مع بعض المهاجرين إلى الكونغو ، وكذلك الحال في الشرق ،إذ نفذ الإسلام إلى جنوب السودان وهضبة البحيرات ، وتدفق إلى قلب الهضبة الحبشية وتخطى ساحل شرق أفريقيا إلى المناطق الداخلية : إلى كينيا وتنجانيقا ودخل جنوب أفريقيا مع المهاجرين المسلمين من سكان شبه القارة الهندية [3].

وقد نفذ الاسلام الى القارة الافريقية عن طريقين رئيسيين هما :

١- طريق البحر الاحمر وأثيوبيا والمحيط الهندى .

٢- طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس فى مصر [4].

ومن هذين الطريقين اخذ الاسلام ينتشر فى أنحاء القارة ، فعن الطريق الاول انتشر الاسلام فى شرق ووسط القارة ، بينما عن الطريق الثانى انتشر الاسلام فى شمال أفريقيا

١- د . عبد الملك عوده :السياسة والحكم فى أفريقيا ص ٥٨ .

٢- د . رأفت الشيخ : افريقيا في العلاقات الدولية ص ١٦ .

٣- د . حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ص ٨ .

٤- -Awad, M.Some aspects of the diffusion of Arab influnces in theSudan,P

أو غربها حيث تدفقت عبره الجماعات الاسلامية والقبائل العربية [١]. ، وكان الاسلام يأتى مع موجات من العرب والمسلمين المحملين بالرسالة من شبه الجزيرة العربية ، وكل موجة تؤدى دورها من حيث نشر الدين الاسلامى واللغة العربية والاختلاط بالافارقة ، وكانت كل موجة تستقر في المكان الذى تنزل به أول الامرسرعان ما تتجه الى المناطق المجاورة لها لكى تنشرفيها نورالايمان بالاسلام ، ولعل الموجة العربية التي وفدت الي شمال أفريقيا كانت أنشط الموجات العربية الإسلامية إذ كانت هذه الموجة القادمة من ليبيا فى اتجاه الجنوب الأفريقى عبر الصحراء الكبرى قد ساعدت على نشر الدين الإسلامى والتأثير فى زنوج غرب أفريقيا تأثيرا اجتماعيا [٢].

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أنه عند دخول الدين الإسلامى إلى القارة الأفريقية ومعه ثقافة العرب تشربها الأفارقة الذين اعتنقوا الدين الإسلامى ، وحاولوا التوفيق بين عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة أى ثقافتهم على تواضعها ،وبين الثقافة العربية الإسلامية الحديثة النشطة، واستمر الإسلام والثقافة العربية على نشاطهما فى أفريقيا حتى أصبحت بعض الأقطار والمدن الأفريقيةمراكز إشعاع للحضارة العربية المزدهرة ، من أمثلتها بمصر عواصمها الإسلامية المتعاقبة : الفسطاط والعسكر والقطائع ثم القاهرة ، والقيروان فى تونس وفاس فى المغرب الأقصى ، وفى غرب أفريقيا أصبحت مدينة "تنبكت " طول القرن الخامس عشر والسادس عشر من مراكز الثقافة العالمية ، وعلماؤها يبارون علماء المدارس الإسلامية الأخرى فى القوة والإنتاج ، وامتدت هذه النهضة إلى سنار وهرر ومقديشيو وكلوه وزنجبار وغيرها من مراكز الإسلام فى أفريقيا [٣].

وقد ساهمت الرباطات التى وجدت فى شمال وغرب أفريقيا فى نشر الدين الإسلامى هناك ، هذه الرباطات عبارة عن ثكنات عسكرية لحراسة الثغور الإسلامية وحمايتها من الروم فى البحر المتوسط يوم كان الأسطول العربى الإسلامى لا يقوى على مدافعتهم [٤].

١- عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا ص ٧ .

٢- Bartlett, V., Struggle for Africa, p. 14.

٣- عبد الرحمن عبد الله السعدى ، تاريخ السودان ، ص٢٨ .

٤- رأفت الشيخ ، تطور التعليم فى ليبيافى العصور الحديثة ، ص٩٠ .

ثم تحولت تلك الرباطات لتصبح مراكز متنوعة الوظائف ؛ بعد استقرار الأمر للمسلمين فى أفريقيا ، حيث اتخذها العلماء مقارا يقدمون فيها مختلف الخدمات فصار بكل رباط مستشفى للمرضي يعالجهم المرابطون بالمجان ، وبه دارللمسافرين بين الأمصار الإسلامية للراحة استعدادا لمواصلة السفر ، وبه مدرسة يلقى فيها المرابطون دروسهم على الرجال والنساء، وبه معمل لصناعة الحبروالرق والكاغد(الورق) لتوزع على طلاب العلم مجانا ، ودار نسخ المصاحف الشريفة وكتب الحديث والفقه حيث يحبس المؤلفون مؤلفاتهم بخطوط أيديهم على الأربطة لتكون منها النسخة الأم التى يرجع إلى نصها الصحيح [١] .

استمر تأسيس الأربطة التى كانت ثقافتها الإسلامية تشع على ربوع أفريقيا ، واتسعت سلسلة الرباطات من خليج غانا على المحيط الأطلنطى إلى البحر الأحمر فى مكة المكرمة ، واستمر هذا الحال إلى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فظهر عندئذ أبو بكر الصنهاجى الذى اشترك مع يوسف بن تاشفين فى تأسيس دولة المرابطين التى قام بأعمالها السياسية يوسف بن تاشفين وقام بأعمالها العلمية أبو بكر الصنهاجى فى غانا ومحمد بن ياسين فى موريتانيا وبني لها يوسف بن تاشفين جامعة مراكش .

وهكذا بلغت الأربطة - الساحلية والصحراوية - من التضخم ما جعلها طريق العلم والحج ووسيلة إدخال أفريقيا فى الاسلام ، وما حولها إلى جامعة مراكش وما جعل المرابطين دولة إسلامية كبرى فتحت الاندلس من جديد ووحدت أقطار المغرب وأدخلت السودان فى الاسلام[٢]. ولكن عندما تحللت دولة المرابطين على يد «الموحدين» فقدت الأربطة دورها وحلت محلها الزوايا الصوفية التى قامت كذلك بدور كبير فى نشر الثقافة العربية الاسلامية وفى اعتناق كثير من الوثنيين الافارقة للدين الاسلامى . ولعل أشهر هذه الزوايا ما ارتبط بالدعوة السنوسية التى انطلقت من برقة .

وكان إلى جانب الزوايا الصوفية أدوات إسلامية أخرى ساهمت فى نشر الاسلام بأفريقيا وأعنى بها الحركات والممالك الاسلامية ، فالى جانب الحركة المهدية فى السودان والطرق التيجانية ، والشاذلية وجدت حركة محمد بن عبد الله حسن فى الصومال وحركة الحاج عمر فى جنوب السنغال الادنى[٣]، كما وجدت امبراطورية فى غانا التى عاشت من القرن الرابع

١- رأفت الشيخ ، أفريقيا فى العلاقات الدولية ،ص ١٩ .

٢- عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب ص ٤٦ .

٣- د . رأفت الشيخ : أفريقيا فى العلاقات الدولية ص ٢٣ .

إلى القرن الحادى عشر الميلادى وتقع فى جنوب موريتانيا الحالية وتقع عاصمتها على نهر النيجر الاعلى ، و«امبراطورية مالى الاسلامية» التى قامت فى المدة من ١٢٣٨ - ١٤٨٨م والتى وصل الاسلام الى أراضيها أول ما وصل فى القرن الحادى عشر الميلادى ، و «أمبراطورية السنغاى» إلتى أعتنق ملوكها الدين الاسلامى منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، وسلطنة «باجرمى» فى منطقة «تشاد» و «أمبراطورية كانم وبرنو» التى ازدهرت فى الفترة الممتدة من القرن العاشر حتى أواخر القرن الثامن عشر ، وكان يسكن سلطنة كانم شعب «ساو» الذى اتخذ لنفسه سكنا حول بحيرة تشاد . واختلط - وأفراده بيض البشرة - بقبائل أفريقية سود البشرة من سكان بحر الغزال ومن سكان واحة الكفرة ، وكانت عاصمتهم مدينة «نيجامى» [١].

وفى شرق أفريقيا ظهرت سلطنات وممالك إسلامية ، حيث نسمع عن مملكة «أحمد القرين» فى شرق أفريقيا والذى واجه التحالف البرتغالى الحبشى فى القرن الخامس عشر الميلادى . ونسمع عن مدن الساحل الشرقى لافريقيا مثل «مالندى» و «مومباسا» و «كيلوا» و «سوفالا» و «موزمبيق» التى خضعت لسيطرة أمراء من المسلمين الذين لهم الفضل فى جعل حياة الافارقة الشرقيين أكثر تقدما ورقيا من سكان غرب أفريقيا [٢]. وهذه المدن الاسلامية هى التى تعرضت لهجمات البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر . ولعلنا نتذكر إقامة الدولة الاسلامية فى زنجبار على عهد السيد سعيد بن سلطان حاكم مسقط وعمان فى أوائل القرن التاسع عشر تلك الدولة التى لعبت دورا مهما فى نشر المدنية العربية الاسلامية لا فى شرق أفريقيا فقط بل وفى حوض نهر الكنغو وفيما يعرف بجنوب غرب أفريقيا ، حيث صارت هناك رحلات وهجرات للمسلمين من شرق القارة إلى غربها شجعها السلطان سعيد بنفسه .

ولعلنا نتذكر كذلك الدور الذى قامت به مصر فى عهد الخديوى أسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩م) فى نشر الثقافة العربية الاسلامية فى جنوب السودان وأوغندة بل وساحل الصومال، وإذا كانت دولة السلطان سعيد بشرق أفريقيا قد تركزت فان النشاط المصرى قد امتد داخل القارة ، ويرجع الفضل لهذا النشاط فى وجود مسلمين فى كل من أوغندة وكينيا وتنزانيا .

الأقطار الاسلامية :

ونتيجة لكل هذا النشاط الاسلامى نجد خريطة العالم الاسلامى الافريقى على النحو التالى :

١- د . حسن محمود : المرجع السابق ص، ٣٢٩ .

٢- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٤٨ .

أولا : الاقطار العربية الاسلامية : وتشمل مصر ، والسودان ، الصومال ، جيبوتي ، ليبيا ، وتونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا . ويمكن الرجوع إلى الاحصائيات عن هذه الاقطار في الفصل الخامس عن المسلمين في آسيا .

ثانيا : الاقطار الافريقية الاسلامية : وتشمل ما يلى :

١- السنغال : وتقع غرب أفريقيا ويبلغ عدد سكانها ثمانية مليون نسمة حسب تعداد هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٩٥م ، ونسبة المسلمين ٩٠٪ من مجموع السكان والعاصمة «داكار»[١].

٢- مالى : وقد دخلها الاسلام منذ القرن الرابع الهجرى الموافق للعاشر الميلادى حيث قامت بها عدة أمبراطوريات أسلامية مثل أمبراطورية الصنغاى - أو السنغاى - ، ومملكة «التكرور» ، ومملكة «فوتا» وغيرها . ويبلغ عدد سكان مالى حاليا ما يزيد عن عشرة ملايين نسمة أكثر من ٦٦٪ منهم مسلمون ، والعاصمة «باماكو» [٢].

٣- جامبيا : وكانت جزءا من امبراطورية مالى الاسلامية وهى جزء من السنغال ، وخضعت لاستعمار انجليزى ، وسكانها لا يكادون يصلون إلى أكثر من مليون نسمة أكثر من نصف عددهم مسلمون . إذ تبلغ نسبتهم إلى ٩٠٪ .

٤- غينيا : وهى دولة ساحلية فى غرب أفريقيا أشهر شعوبها شعب «الماندنج» [٣]، وقد خضعت لاستعمار برتغالى ثم لاستعمار فرنسى حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٥٨م، وعدد سكانها أكثر من ثمانية ملايين نسمة حوالى ٨٠٪ مسلمون . والعاصمة - وهى نفس الميناء - «كوناكرى» .

٥- غينيا بيساو : آخر معاقل الاستعمار البرتغالى فى أفريقيا وتقع بين السنغال من جهة الشمال وغينيا من جهة الجنوب ، ويسكنها أكثر من مليون نسمة أغلبيتهم وثنيون ونسبة المسلمين لها اعتبارها بين السكان ، ومن هنا اعتبرت من الدول الاسلامية ، وعاصمتها «بيساو» [٤]. ونسبة المسلمين أكثر من ٥٠٪ .

١- د . محمد السيد غلاب : البلدان الاسلامية ...ص ٤٧٠ .

٢- نفس المرجع : ص ٤٨٥ .

٣- تعرض شعب الماندنج المسلم لعمليات خطف حيث بيع من اختطف رقيقا فى العالم الجديد ، وقصة الجذور للكاتب الزنجى الامريكى «هيلى» توضح هذه الحقيقة بالنسبة لهذا الشعب ولغيره ، حيث كان بطل القصة من هذا الشعب .

٤- د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٤٧٧ .

٦- فولتا العليا (بوركينافاسو) : وهى دولة داخلية ليست لها سواحل فى غرب أفريقيا ، وقد دخلها الاسلام منذ القرن الخامس عشر الميلادى ، ثم خضعت للاستعمار الفرنسى حتى حصلت على استقلالها الكامل داخل المجموعة الفرنسية فى ١٥ أغسطس ١٩٦٠م ، وعدد سكانها حوالى عشرة ملايين ونصف يحتل المسلمون فيهم نسبة لها اعتبارها.. إذ تبلغ أكثر من ٦٠٪ من عدد السكان والعاصمة «وجادوجو» .

٧- ساحل العاج (كوردفوار) : تطل على خليج غينيا بغرب أفريقيا ، وقد صارت مملكة إسلامية منذ القرن الخامس عشر الميلادى أسوة بالممالك الاسلامية بغرب أفريقيا ، ثم خضعت للاستعمار الفرنسى من عام ١٩٠٢ حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ ، ويسكن ساحل العاج حوالى ثلاثة عشر ملايين نسمة، ورغم أن المسلمين لا تزيد نسبتهم عن ٢٣٪ من عدد السكان ويتركزون فى شمال البلاد[١]، ألا أنهم يؤلفون أكبر مجموعة موحدة من السكان ، حيث لا تتجاوز نسبة المسيحيين ١٢٪ بينما باقى السكان وثنيون ، والعاصمة «أبيدجان» .

٨- سيراليون : دولة ساحلية بغرب أفريقيا تعرضت لهجمات تجار الرقيق والمستعمرين مثل غيرها من أقطار غرب أفريقيا ، وقد اختارت موقعها فى الاصل جمعية مكافحة الرق البريطانية عام ١٧٨٧م لاعادة توطين الرقيق المحررين ، ثم صارت مدينة Free Town العاصمة المركز الرئيسى لمكافحة تجارة الرقيق فى هذه المناطق ، وصارت سيراليون عام ١٨٠٧م مستعمرة لتاج البريطانى ومن «فريتاون» كان النفوذ البريطانى الكنسى والتعليمى ونشاطه التجارى يمتد إلى بقية غرب أفريقيا لتكوين مواقع لبريطانيا فى غرب القارة تساهم فى تدعيم العلاقات بين إنجلترا وهذم الاقاليم [٢]، ويسكن سيراليون ما يزيد عن أربعة ونصف مليون نسمة تمثل نسبة المسلمين كبيرة أذ بينما لاتتجاوز نسبة المسيحيين الثلث نجد أكبر شعبين من شعوب سيراليون يعتنقون الاسلام هما شعبى «الماندى» و «التمنة» . والاول فى الجنوب والثانى فى الشمال . ونسبة المسلمين تصل إلى ٦٠٪ من عدد السكان .

٩- توجو : أصغر الجمهوريات الناطقة باللغة الفرنسية فى غرب أفريقيا ، ولها ساحل صغير علي خليج غينيا ، وقد انتشر الاسلام فى شمال توجو ، ويبلغ عدد سكانها نحو مليون منهم حوالى اثنين مليون نسمة مسلم يتركزون فى الشمال [٣]. والعاصمة هى مدينة «لومية».

١- The African Continent, P. 162 .

٢- Kirkwood, K. : Britain and Africa, P.15 .

٣- د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٤٩٤ .

١٠- داهومي : وتطل هى الاخرى على خليج غينيا وتحدها من الشرق نيجيريا ومن الغرب توجو ومن الشمال فولتا العليا والنيجر . وبدأ الاسلام يدخل إلى الشمال الشرقى من داهومى فى القرن السابع عشر الميلادى ، وقد أخذ الاسلام ينتشر فى المناطق الساحلية للبلاد فى مطلع القرن الثامن عشر [١]. وقد تعرضت داهومى لجريمة تجارة الرقيق . ثم خضعت للاستعمار الفرنسى منذ عام ١٨٩٣م حتى استقلت أول أغسطس ١٩٦٠م ، ويزيد عدد سكانها قليلا عن ستة ملايين نسمة معظمهم وثنيون ، وتبلغ نسبة المسلمين ٣٥٪ من عدد السكان يتركزون فى الشمال [٢]، وعاصمة داهومى هى مدينة «بورتو نوفو» . وقد صار اسم البلاد «بنين» Benin . بدلا من داهومى .

١١- نيجريا : هى أكثر الاقطار الافريقية سكانا اذ يقرب عدد سكانها من ١١٠ مليون نسمة ، وهى من أكبر دول أفريقية مساحة ، وتمتد من المحيط الاطلنطى جنوبا حتى الصحراء الكبرى شمالا ، وهى دولة اتحادية تتكون من الاقليم الشمالى المسلم ، والاقليم الجنوبى الشرقى ، والاقليم الجنوبى الغربي ، ثم أضيف إقليم رابع هو إقليم الوسط الغربى [٣]. وقد شهدت قيام حركات إسلامية وسلطنات إسلامية منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد خضعت للاستعمار البريطانى ثم نالت استقلالها عام ١٩٦٠م وصارت عضوا فى الكومنولث البريطانى ويبلغ عدد المسلمين فى نيجريا أكثر من ٦٧ مليون مسلم أى ما يوازى أكثر من نصف عدد السكان ، والعاصمة «لاجوس» [٤].

١٢- الكاميرون : وأرضه تشبه مثلثا كبيرا ضلعه الشرقى يتاخم تشاد وأفريقيا الوسطى ، وضلعه الجنوبى يتاخم الكنغو والجابون وغينيا الاستوائية ، وضلعه الغربى يتاخم نيجيريا ويطل بجبهة ضيقة على خليج غينيا [٥]. وقد دخل الاسلام إلى شمال الكاميرون ، كما تعرضت البلاد لاحتلال فرنسى وألمانى وأنجليزى حتى تم استقلال البلاد عام ١٩٥٧م وصارت اتحادا عام ١٩٦١م ، ويبلغ عدد السكان حوالى ١٣ مليون نسمة وعدد المسلمين أقل

١- عبد الرحمن زكى : أفريقية الاسلامية ص ٨٩ .

٢- - The African Continent, P.177 .

٣- - The African Continent, P.177

٤- د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٠١

٥- د . محمد رياض : أفريقيا .. ص ٤٦٦ .

من النصف إذ تبلغ نسبتهم من ٤٠ إلى ٤٥٪ من عدد السكان [١]، ولا يزال نصف السكان يعتنقون الديانات القديمة وعاصمة الكاميرون مدينة «ياوندى» وهى داخلية [٢].

١٣- النيجر : دولة صحراوية داخلية ، وقد كانت من بين الاقطار الافريقية بغرب ووسط أفريقيا التى خضعت للاستعمار الفرنسى حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠م ، ويرجع دخول الاسلام إلى تلك البلاد منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، حيث دخلها من الغرب عن طريق صنغاى ومن الشرق عن طريق «كانم» و«برنو» [٣]، وقد كانت النيجر جزءا من الامبراطوريات والسلطنات الاسلامية فى غرب أفريقيا ، وسكان النيجر حوالى ثمانية مليون نسمة كلهم تقريبا مسلمون ، والعاصمة «نيامى» .

١٤- تشاد : وتتكون من سلطنات إسلامية سابقة هى «كانم» التى بدأ الاسلام بها فى القرن التاسع الميلادى و «وادای» و «الباجرمی» وقد دخلها الاسلام فى القرن الرابع عشر الميلادى ثم خضعت كلها لسلطة «رابح السودانى» فى أواخر القرن التاسع عشر حتى احتلها الفرنسيون أوائل القرن العشرين ، وعدد سكانها حوالى سبعة ملايين نسمة أغلبيتهم مسلمون ٨٥٪ وهذه الاغلبية المسلمة تتحدث اللغة العربية . والعاصمة مدينة «أندجامينا» فورت لامى سابقا [٤].

١٥- أفريقيا الوسطى : دولة تقع بوسط القارة ، وبحكم هذا الموقع خضعت للممالك الاسلامية فى السودان الغربى : «كانم» و «برنو» و «وادای» و «الباجرمی» و «دارفور» حتى أستخلصها الفرنسيون لانفسهم أول القرن العشرين حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٥م [٥]. ويتمثل الاسلام فى القبائل السودانية والمستعربة التى تعيش فى الشمال الشرقى ، والقبائل المغربية مثل «البيل» و «البوروورو» فى المرتفعات الغربية ، ويبلغ عدد المسلمين فى أفريقيا الوسطى ٩٥٠ ألف مسلم من عدد السكان البالغ حوالى ٣ مليون [٦].

١٦- أثيوبيا : كانت «الحبشة» - وهو الاسم القديم لاثيوبيا أول أرض هاجر إليها

١- د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥١٢ .

٢- The African Continent, P .190 .

٣- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٧٧ .

٤- New African Year Book, P. 109 .

٥- د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٢٦ .

٦- The African Continent , P . 226 .

المسلمون ، حين نصح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المسلمين بالخروج إلى أرض الحبشة «فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » . وقد أستقر بعض مهاجرى المسلمين فى الحبشة ثم توافدت الهجرات الاسلامية إلى الحبشة إما عن طريق مضيق باب المندب أو عن طريق مصر والبحر الاحمر . ومن ثم صار للاسلام قدم ثابتة فى الحبشة وما حولها وواجه المسلمون بعض المصاعب نظرا لان ملوك الحبشة ينتمون مذهبيا إلى أقباط مصر فهم مسيحيون لا ينظرون بارتياح إلى علو شأن الاسلام والمسلمين ، وحملت راية الجهاد الاسلامى عدة إمارات منها «إمارة عدل» و «سلطنة أوفات» و «إمارة هرر» وغيرها من الممالك الإسلامية التى بلغت سبع أمارات فى جملتها ، على أن الاسلام ظل فى أثيوبيا وأريتريا دين أكثر من نصف السكان تعتنقه قبائل الدناقل فى أريتريا وشرقى الحبشة إلي جانب أهالى هرر وقبائل الجالا وكلها شعوب قوية المراس فى شرقى البلاد [١].

وعدد سكان الحبشة ٣٥ مليون نسمة منهم الجالا والصوماليون والدناكل مسلمون ونسبتهم أكثر من نصف عدد السكان ، بينما الاحباش وهم «التيجرينيون» و «الامهرا» و «شوا» فأقباط [٢]. ومن الواضح استحواذ أثيوبيا على أراض عربية هى الصومال الغربى وأريتريا وهرر . وعاصمة الحبشة مدينة «أديس أبابا» . ويمثل المسلمون ٤٠٪ من عدد سكان أثيوبيا .

١٧- تنزانيا : وتتكون من أتحاد «تنجانيقا» و «زنجبار» الذى ظهر للوجود عام ١٩٦٤م وتقع بشرق أفريقيا وتطل على المحيط الهندى وتجاور كلا من كينيا وأوغندا ورواندا وزائير وزامبيا وملاوى وموزمبيق ، ولها عدة جزر أهمها جزيرة «زنجبار» وجزيرة «بمبا» وجزيرة «مافيا» [٣]. ويمكن تحديد دخول الاسلام إلى تلك البلاد فى القرن الاول الهجرى زمن الدولة الاموية ، حيث هاجر إليها كثير من المسلمين الذين نشطوا فى إنشاء المراكز التجارية الممتدة من القرن الافريقى شمالا حتى مدينة «سفالة» فى موزمبيق الحالية جنوبا ، كما أنشأوا مدن «دار السلام» عاصمة تنزانيا الحالية ، و«كلوة» المدينة التنزانية ، وعن طريق هذه المراكز ظهرت ممالك إسلامية فى شرق أفريقيا ساهمت فى نشر الاسلام .

وقد ظل الوضع على هذا النحو حتى جاء البرتغاليون أول القرن السادس عشر حيث شعروا

١- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٣٨ .

٢- Op . Cit, P 226 .

٣- د. محمد السيد غلاب : المرجع السبق ص ٥٤٢ .

بأن الوجود الاسلامى بشرق أفريقيا يشكل عائقا أمامهم للاستحواذ على تجارة التوابل وتحقيق حلمهم فى إنشاء امبراطورية برتغالية ، وفيما بين ١٥٠٥ و ١٥٠٩م هاجم البرتغاليون موانى «كلوة» و«ومومباسا» و «موزمبيق» ودمروها وأقاموا مراكز برتغالية مكانها [١]، ومع ذلك فانه ما كاد القرن السابع عشر ينتصف حتى تم طرد البرتغاليين من شرق أفريقيا على يد العرب والمسلمين الذين تزعمهم السيد / سيف بن سلطان سلطان مسقط وعمان الذى بدأ بتكوين مركز أفريقى للسلطنة فى زنجبار ، وخضعت تنجانيقا وزنجبار للاستعمار الانجليزى ، حتى حصلت الاولى على أستقلالها عام ١٩٦١م بينما حصلت الثانية على استقلالها عام ١٩٦٣م ، ثم حدث انقلاب عسكرى عنصرى فى زنجبار ضد العرب المسلمين فى زنجبار الذين قتل منهم ١٦ ألف عربى مسلم و٥٤ ألف من المسلمين الاخرين . ثم صارت زنجبار وتنجانيقا دولة اتحادية عام ١٩٦٤ م .

ويمثل المسلمون فى زنجبار حوالى ٩٠٪ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالى المليون نسمة ، وهم ينتمون إلى العرب والشيرازيين والهنود والافارقة ، بينما يصل عدد المسلمين فى تنجانيقا إلى ٦٠٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٣٦ مليون نسمة تقريبا . والعاصمة دار السلام التى تعد مدينة إسلامية حيث أن ٩٠٪ من سكانها من المسلمين [٢].

١٨- جزر القمر : تتكون من مجموعة من الجزر البركانية الصغيرة وتقع شمال جزيرة مدغشقر ، وقد دخلها الاسلام مبكرا أثناء نشاط العرب فى المحيط الهندى ، ويقال إن العرب نزلوها فى القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى - قادمين من مسقط [٣]. وحاول البرتغاليون أرتياد جزر القمر فى القرن السادس عشر الميلادى ولكنهم واجهوا مقاومة من الاهالى فى بعض الجزر فاضطروا إلى إخلائها [٤]. ويبلغ عدد سكان الجزر نحو ثلثى مليون نسمة ، وهم خليط من عدة جنسيات أفريقية عربية هندية صينية إيرانية ، والاسلام هو الدين الغالب فى هذه الجزر ، واللغة العربية هى لغة الادارة ولغة التعليم الإسلامى - ولذلك لاتعجب أن تطلب جزر القمر الانضمام لجامعة الدول العربية - واللغة السواحلية هى لغة التجارة وتكتب بحروف عربية والعاصمة «موروني» [٥]. ونسبة المسلمين فى الجزر ٨٠٪ من عدد السكان وقد أصبحت جزر القمر عضوا بجامعة الدول العربية .

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٥٠ - ٥١ .

٢- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٥٣ - ٥٥٥ .

٣- نفس المرجع ص ٥٥٩ .

٤- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ١٤٥ .

٥- The African Continent, P . 308

الأقليات الاسلامية فى أقطار أفريقية :

يتواجد الاسلام فى صورة أقليات سكانية فى عدة دول أفريقية هى : -

١- ليبيريا :

وتقع على الساحل الغربى لافريقيا بين «سيراليون» و «رأس بالماس» ، وقد أنشئت هذه الدولة الجديدة عام ١٨٢١م عندما أهتم بعض الامريكيين بموضوع مكافحة تجارة الرقيق وتحرير زنوج أمريكا فحصلوا على مرسوم حكومى عام ١٨١٩ بانشاء مستعمرة ليبيريا على مثال مستعمرة سيراليون البريطانية ، حيث أرسلت الحكومة الامريكية الزنوج المحررين جماعات متوالية ، وقد وصلت أول مجموعة منهم إلى ليبيريا عام ١٨٢٢م وكان عددهم ٨٨ أفريقيا فقط ، ثم أعلن إستقلال هذه البلاد عام ١٨٤٧م وتعين لها رئيس .

وعندما حدثت الحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) شكل زنوج الولايات الجنوبية مشكلة كبيرة فى ولايات الشمال التى رحلوا من الجنوب إليها ، وهناك خلقوا مشكلات خطيرة إجتماعية وسياسية ، ولم يكن فى الامكان إعادتهم الى الجنوب كما أن بقاءهم فى الشمال أصبح أمرا غير مرغوب فيه [١]، ومن ثم رحلوا إلى دولة ليبيريا التى أنشئت عاصمتها «مونروفيا» منذ عام ١٨٢١م .

ويبلغ عدد سكان ليبيريا حاليا حوالى ٣ مليون نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٣٥٪ يتكلمون لغات محلية ، رغم أن اللغة الرسمية للدولة هى اللغة الانجليزية ، ولا يشارك المسلمون - وهم يسكنون فى المناطق الداخلية من الدولة - فى الحكم ، ويسيطر على جهاز الحكم السود القادمون من أمريكا ولا يزيد عددهم عن ألف شخص أى أن نسبتهم تبلغ ١٪ من السكان فقط [٢].

٢- غانا :

وتقع فى غرب أفريقيا وتشرف على خليج «غانا» وكانت تعرف باسم «ساحل الذهب» وهى إحدى البلاد الداخلة فى حوض نهر «الفولتا» ومنذ القرن الحادى عشر الميلادى نسمع عن إمبراطورية غانا الاسلامية التى عاشت عصور أزدهار وعصور تفكك حتى بدأ التدخل الانجليزى فى البلد ، إذ كانت قبائل «الفانتى» التى تسكن الجزء الساحلى ، وقبائل

١- Bartlett, V. : Struggle for Africa , P. 141

٢- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٤٧ .

«الاشـانتى» التى تسكن فى الداخل ، وهذه القبـائل كـانت مـتنافـرة ومـتـقـاتلة (١).

وقد مارست الشركات البريطانية نشاطها المعتاد فى الجزء الساحلى واستطاعت عقد المعاهدات التى احتكرت بها التجارة فى هذا الجزء الا أن أنجلترا أصطدمت بقبائل «الاشانتى» الذين يسكنون المناطق الداخلية ، وهى قبائل شديدة المراس واثقة تماما من قدرتهم على حكم جيرانهم بقدر ثقتهم فى حكم أنفسهم ، ومن هنا قاوموا الانجليز حتى عام ١٩٠١م عندما فرضت انجلترا حمايتها على غانا ، ثم ألحقت كمستعمرة للتاج البريطانى ، إلى أن حصلت على استقلالها عام ١٩٥٧م ، وكانت تعرف باسم ساحل الذهب (٢).

ويبلغ عدد سكان غانا حوالى ١٦ مليون نسمة تقدر نسبة المسلمين بينهم بحوالى ٣٨٪ وتدين قبائل الاشانتى الداخلية جميعها بالاسلام ، بينما يمثل الاسلام أقلية بين قبائل الفانتى الساحلية ، والعاصمة مدينة أكرا واللغة الرسمية للبلاد هى الانجليزية (٣).

٣- غينيا الاستوائية :

دولة صغيرة تتكون من جزء ساحلى يقع فى غرب أفريقيا بين كل من الكاميرون والجابون ، وجزء بحرى يتكون من جزيرة «فيرناندو» وبعض الجزر الصغيرة ، وعرفت بالاستوائية تمييزا لها من غيرها من الدول التى سميت باسم غينيا - مثل جمهوريا غينيا ، وغينيا بيساو ..- ويبلغ عدد سكان هذه الدولة ٦٠٠ ألف نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٣٥٪ وهم يقيمون فى المنطقة الساحلية من الدولة والتى تعرف باسم «ريوموني» ، بينما أكثر سكان «فيرناندوبو» من النصارى الكاثوليك (٤).

وقد دخل الاسلام الى تلك البلاد على يد المرابطين فى القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى - كما كان للتجار المسلمين دور فى هذا السبيل ، وعاصمة البلاد هى مدينة «سانتا إيزابيل» وتقع فى جزيرة «فيرناندوبو» واللغة الرسمية هى الاسبانية باعتبار هذه البلاد كانت مستعمرة أسبانية .

٤- الجابون :

دولة تقع بغرب أفريقيا ويمر بوسطها تقريبا خط الاستواء ، وتقع بين كلّ من غينيا

١- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ١١٧ .

٢- Kirkwood , P . 26 .

٣- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٥١ .

٤- نفس المرجع ص ٦٥٣ .

الاستوائية والكاميرون والكنغو . وقد دخلها الاسلام فى عهد دولة المرابطين بغرب أفريقيا وشمالها خلال القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، ورغم نشاط المسلمين فى نشر الاسلام بين الافارقة الوثنيين ، الا أن الاستعمار الاوروبى منذ حركة تجارة الرقيق قد أعاقوا انتشار الاسلام وسيطر الاستعماريون الفرنسيون على سواحل البلاد وأسسوا مدينة «ليبرفيل» على الساحل عام ١٨٣٨م ، وقد كانت الجابون تكون مع الكنغو مستعمرة واحدة حتى انفصلت الجابون واستقلت عام ١٩٦٠م .

وقد أعتنق رئيس الجمهورية «ألبرت برنارد بونجو» الاسلام فى عام ١٩٧٣م وتسمى باسم «عمر بونجو» وأسلمت معه أسرته جميعها ، كما تابعه عدد من المسئولين وأفراد القبيلة التى ينتمى إليها ، وهى قبيلة «البونجوى» . وعدد سكان الجابون حوالى مليون ونصف نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم بنحو ٤٥٪ بينما عدد المسيحيين نسبتهم ٣٥٪ والوثنيين نسبتهم ٢٠٪ والعاصمة مدينة «ليبرفيل» واللغة الرسمية هى اللغة الفرنسية [١].

٥-كينيا :

وتقع فى شرق أفريقيا ، وكانت مجالا لنشاط العرب والهنود المسلمين منذ القرون الاولى للاسلام ، وقد خضعت لاستعمار انجليزى أواخر القرن التاسع عشر ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٥ مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ [٢]، وتتراوح نسبة المسلمين بين ٣٥٪ و٥٧٪ ، بينما توجد أقلية مسيحية والباقى من السكان وثنيون ، وقد أسس المسلمون فى كينيا بعض المؤسسات الاجتماعية والتعليمية منها الجمعية الخيرية الاسلامية ، والاتحاد الوطنى للمسلمين وجمعية الشبان المسلمين فى نيروبى والمؤسسة الاسلامية ، ومؤسسة القرآن الكريم فى نيروبى وجمعية الشبان المسلمين فى «ممباسة» ، والجمعية الصومالية الباكستانية فى «ممباسة» والجمعية النسائية العربية الافريقية فى «ممباسة» والجمعية الصومالية الاسلامية فى نيروبى ، والجماعة الاسلامية فى نيروبى - وهى فرع للجماعة الاسلامية فى باكستان وتضم الباكستانيين الذين ينتمون للجماعة . ويزيد عدد الجمعيات الاسلامية فى كينيا على ٥٢ جمعية [٣].

١- المرجع السابق ص ٦٥٤ - ٦٥٥ .

٢- New African Year Book , P. 151 .

٣- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٦٣ - ٦٦٤ .

ونظرا لكثرة عدد الجمعيات الاسلامية في كينيا ، فان جهود المسلمين هناك مبعثرة رغم وجود تنظيم يضم هذه الجمعيات يعرف باسم «المجلس الاعلى لمسلمى كينيا» ، لان هذا التنظيم اهتم بأنشاء المدارس والمكتبات العامة والمساجد لمواجهة حركة التبشير النشطة ، وعاصمة البلاد مدينة «نيروبى» وهناك مدن ذات تاريخ إسلامى قديم مثل «ممباسة» ومالندى وهى مدن ساحلية ذات صبغة إسلامية عربية . وقد أصبح عدد السكان حوالى ٢٥ مليون نسمة .

٦- موزمبيق :

كانت موزمبيق مقرا لامارات ومدن إسلامية مزدهرة منذ القرن الرابع الهجرى ، ومن أشهر هذه المدن «سفالة» و «كلوة» ، ومن هذه المدن نفذ الاسلام نحو الداخل وشق طريقه فى جنوبى «مالاوى» - نياسالاند سابقا - [١]، ومنذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى خضع كل الساحل الشرقى لافريقيا تقريبا للبرتغاليين بعد صدامهم بالامارات العربية الاسلامية هناك ، حتى جاء أجداد السلطان «برغش» العمانى فى القرن الثامن عشر فطردوا البرتغاليين من النصف الشمالى للساحل الشرقى الافريقى ، وأسسوا فى الاملاك الافريقية التى ورثها برغش سلطنة ولكن البرتغاليين بقوا فى المناطق المجاورة لمنافسيهم حيث استمروا متمسكين بموزمبيق التى تاخمت حدودها الشمالية الحدود الجنوبية لمملكة السلطان برغش [٢]. وقد ظلت موزمبيق مستعمرة برتغالية حتى حصلت على إستقلالها فى ٢٥ يونيو ١٩٧٥[٣].

ويبلغ عدد سكان موزمبيق ما يقرب من عشرة ملايين نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٥٪ من السكان يكثرون فى المناطق الساحلية ويقلون فى المناطق الداخلية ، وقد تعرض المسلمون للاضطهاد من الحكم البرتغالى ، ويتجمع المسلمون من أهل السنة على الساحل ، «وفى لورنزو ماركيز» مسجدان ، وفى مدينة موزمبيق مسجد وهناك قاض شرعى فى كل من الجهتين ، كذلك تعيش على الساحل جماعات من الهنود أكثرهم من الاسماعيلية [٤].

١- د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٧٠ .

٢- Coupland. R. : The exploitation of East Africa , P. 445 .

٣- New African Year Book, P. 182 .

٤- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٦٧ .

وعاصمة موزمبيق مدينة «مابوتو» . وقد أصبح عدد السكان حوالى ١٧ مليون نسمة وعدد المسلمين حوالى ثمانية ملايين مسلم .

٧- أوغندة :

تقع فى جنوب السودان وبين كل من كينيا وتنزانيا وزائير ورواندا ، وقد وصل إليها الاسلام عن طريق المدن الساحلية بشرق أفريقيا منذ أواخر القرن الثامن عشر على يد التجار العرب والمسلمين . وعن طريق مصر عندما ضمت أوغندة إلى السودان المصرى فى عهد الخديوى إسماعيل منذ عام ١٨٦٤م إعتنق ملكها «الكاباكا» المسمى «أمتيسا الاول» الدين الاسلامى ، لكن الموظفين الانجليز مثل بيكر وغوردون عملا فى عهد الخديوى إسماعيل على عرقلة النشاط الاسلامى هناك وأتاحا للبعثات التبشيرية المسيحية العمل بحرية ، ولكن الاسلام استطاع أن يرسخ أقدامه فى تلك البلاد رغم المؤمرات نتيجة تأثير الجنود المصريين الذين اختلطوا بالسكان وتزوجوا منهم ، حتى أن كثيرا من مسلمى أوغندة اليوم يعدون أنفسهم من أحفاد أولئك الجنود الذين قدموا البلاد أيام الخديوى إسماعيل (١).

ونجحت انجلترا فى فرض حمايتها على أوغندة منذ عام ١٨٩٠ وربطتها بجنوب السودان لتمنع تأثير شمال السودان المسلم على تلك الجهات وسمحت للبعثات التبشيرية المسيحية بالنشاط فى تلك البلاد ، ومع ذلك ظل كثير من المسلمين فى أوغندة متمسكين بعقيدتهم ، واستمر الاسلام فى الانتشار بجهود التجار والعمال من الهنود المسلمين بعد جهود التجار العرب والجنود المصريين وعدد سكان أوغندة ١٢,٤٣ مليون نسمة حسب أحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ (٢). والعاصمة مدينة «كمبالا» ، وتبلغ نسبة المسلمين فى أوغندة نحو ٤٠٪ من مجموع السكان يتجمعون فى منطقة «بوغندة» وفى الولاية الغربية ، وفى الولاية الشرقية وفى الولاية الشمالية على طول مجرى نهر النيل . وفى هذه المناطق تقوم المؤسسات والجمعيات الاسلامية على رأسها المجلس الاسلامى الاعلى ، وإن كانت قلة إمكاناتهم تجعلهم هدفا لمنافسة قوية للبعثات التبشيرية ، وإن كان أهل البلاد ينظرون إلي المسيحية باعتبارها إحدى المستحدثات أو الواردات الاوروبية ، وبخاصة أنهم يجدون المسلمين القادمين أكثر إختلاطا بهم وإندماجا فيهم ، ونظروا إلى كل مسلم يفد إلى البلاد أن واجبه الدعوة إلى الاسلام (٣) وقد أصبح عدد السكان حوالى ٢٠ مليون نسمة .

١- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٧٨ .

٢- New African Year Book , P. 243 .

٣- د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ص ٤٨ .

٨- بوروندى :

وتقع فى وسط أفريقيا فى المنطقة الاستوائية داخل هضبة البحيرات . وقد دخلها الاسلام على أستحياء على يد التجار العرب والمسلمين ، ثم نشط المسلمون فى تلك البلاد على عهد سلاطين زنجبار العمانيين حتى أستولت عليها ألمانيا بموجب قرارات مؤتمر برلين١٨٨٤/١٨٨٥م ثم ضمتها بلجيكا للكنغو عقب هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الاولى ، ومن الطبيعى أن يعمل الاستعمار بأشكاله المختلفة على محاربة الاسلام والمسلمين هناك . ورغم ذلك نشط المسلمون فى اقامة المؤسسات الدينية والتعليمية والاجتماعية ، حتى إذا حصلت البلاد على استقلالها عام ١٩٦٢م أعطى المسلمون منذ عام ١٩٦٦م شيئا من الحرية واعترف بالدين الاسلامى رسميا [١].

وعدد سكان بوروندى ما يزيد قليلا عن أربعة ملايين نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م ويمثل المسلمون فى البلاد ٢٥٪ من عدد السكان . وأغلب مسلمى بوروندى من أهل السنة مع وجود مذاهب أخرى إسلامية كالشيعة الجعفرية والإسماعيلية والاباضية . وعاصمة البلاد هى مدينة «بوجومبورا» وقد أصبح عدد السكان حوالى سبعة ملايين نسمة .

٩- رواندا :

وتقع إلى الشمال من «بوروندى» وقد خضعت لما خضعت له بوروندى من حيث نشاط التجار العرب والمسلمين فى نشر الاسلام بين أهلها ، ومن حيث خضوعها للاستعمار الألمانى البلجيكى حتى حصلت على إستقلالها عام ١٩٦٢ . وعدد سكان رواندا ٤,٥٧ مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٧٨م [٢]، وتبلغ نسبة المسلمين فى هذه البلاد ١١٪ فقط الذين يتجمع معظمهم فى العاصمة «كيكالى» ويقيمون المساجد هناك . وقد أصبح عدد السكان حوالى ثمانية ملايين نسمة .

١٠- مالاوى :

تقع على ضفاف بحيرة «مالاوى» - التى كانت تسمى باسم نياسا - وكانت مالاوى نفسها تسمى باسم «نياسا لاند» ، وهى تقع بين تانزانيا وزامبيا وموزمبيق . وقد وصل الاسلام إليها على يد التجار والدعاة أيام امبراطورية الزنج التى قامت فى القرن الرابع

١- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٨٧ .

٢- New African Year Book , P 205 .

الهجرى وكانت عاصمتها مدينة كلوة التى تقع جنوبى تانزانيا [١] وخضعت هذه البلاد للاستعمار الانجليزى الذى خلف الاستعمار البرتغالى عام ١٨٥٩م ، ثم صارت مالاوى مستعمرة بريطانية عام ١٨٩١م بعد كفاح ضد المسلمين هناك ، وظلت كذلك حتى حصلت على إستقلالها عام ١٩٦٣م . وعدد سكانها ٥,٤٣ مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م . وتبلغ نسبة المسلمين هناك ٣٥٪ من مجموع السكان [٢]. وقد أصبح عدد السكان عشرة ملايين نسمة .

١١- زامبيا :

هى التى كانت تعرف بأسم روديسيا الشمالية ، والتى خضعت مع روديسيا الجنوبية - زيمبابوى - للاستعمار الانجليزى منذ عام ١٨٩٥م ، وقد دخل إليها الاسلام مبكرا إذ يرجع وجود الاسلام فى «روديسيا» إلى القرن الهجرى الاول ، ويبلغ عدد المسلمين فى زامبيا ما يزيد على مائة ألف مسلم يمثلون ٢,٤٪ من عدد السكان الذين يبلغون ٥,٥٪ مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ ، وللمسلمين مؤسسات إسلامية مثل الجمعية الاسلامية ، وجمعية الشباب المسلم التى ينتمى أكثر أعضائها إلى الهند وباكستان ، ثم رابطة النساء المسلمات ، إلى جانب عدة مساجد وكتاتيب - ثلاثة من الكتاتيب - لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى[٣]. وقد أصبح عدد السكان حوالى عشرة ملايين نسمة .

١٢- زيمبابوى «روديسيا» :

وكانت تعرف باسم روديسيا الجنوبية وخضعت لما خضعت له زامبيا من نشاط إسلامى ومن إستعمار إنجليزى ، فقد دخل الاسلام إلى «زيمبابوى» على يد المسلمين القادمين من ساحل شرق أفريقيا ، وقد وجد الدكتور «ستانلى تيمبور» قبرا فى أراضى «زيمبابوى» على مقربة من نهر «الزمبيزى» يعود إلى ما قبل ثلاثة عشر قرنا . وقد نقش عليه ما يلى : بسم الله الرحمن الرحيم لا اله ألا الله محمد رسول الله . هذا قبر سلام بن صالح الذى إنتقل من دار الدنيا إلى دار الاخرة فى السنة الخامسة والتسعين من هجرة النبى العربى . صلى الله عليه وسلم . وهذا يدل على وجود العرب والمسلمين فى تلك البلاد منذ وقت مبكر ، ولا تزال أسرهم تحمل أسماء مثل البكرى ، المصرى ، الشريفى[٤].

١- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٩٦ .

٢- New African Year Book , P . 167 .

٣- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٩٨ .

٤- نفس المرجع ص ٧٠٠ .

ويبلغ عدد السكان فى زيمبابوى حوالى ٧ مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م [١]، بينهم عدد من الاوروبيين لا تزيد نسبتهم عن ٥٪ من مجموع السكان هم المتحكمون فى البلاد سياسيا وإقتصاديا ، وعدد المسلمين فى زيمبابوى قليل يقدر بحوالى ٢٥٠ ألف مسلم فقط . وقد أصبح عدد السكان أكثر من عشرة ملايين نسمة ، وبالتالى زاد عدد المسلمين لما يقرب من المليون مسلم .

١٢- زائير :

دولة مترامية الاطراف بحوض نهر الكنغو فى غرب أفريقيا ، وقد وصل الاسلام إليها عن طريق الشرق والغرب والشمال على يد التجار العرب والدعاة من نيجريا ومالي والسنغال وغينيا . وعلى يد دولة البوسعيد فى زنجبار وعلى يد الجنود المصريين فى بحر الغزال المديرية السودانية ، وذلك كله خلال القرن التاسع عشر ، وصار للمسلمين دولة فى زائير وأمراء كان أشهرهم حامد بن محمد بن جمعة المرجبى [٢]، ولكن الاستعمار البرتغالى قضى على القوة الاسلامية فى التسعينات من القرن التاسع عشر حيث صارت زائير مستعمرة بلجيكية حتى حصلت على إستقلالها عام ١٩٦٠م . وخلال فترة الحكم الاستعمارى لقى المسلمون كل أضطهاد من جانب البلجيك .

ويبلغ عدد سكان زائير ٢٦,٤٦ مليون نسمة حسب أحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨[٣]، وتصل نسبة المسلمين ٢٥٪ من مجموع السكان يسكنون الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من زائير ، كما يعيش عدد منهم فى العاصمة «كينشاسا» حيث أقاموا الكلية الاسلامية وجمعية المسلمين هناك ، إلى جانب انتشارهم فى بعض المدن الاخرى . ورغم أعتراف الدولة بالدين الاسلامى رسميا بين عقائد الشعب ، فان المسلمين فى زائير ضعاف قليلو الامكانيات وهم فى أمس الحاجة إلى المدرسين وعلماء الدين ليواجهوا البعثات التبشيرية النصرانية التى تملك الامكانات البشرية والمادية الضخمة [٤]. وقد أصبح عدد السكان ٣٥ مليون نسمة .

١- New African Year Book , P . 201 .

٢- د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ١٣٨ .

٣- Ibid , P. 252 .

٤- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٩٤ .

١٣- الكنغو :

دولة صغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر الكنغو بغرب أفريقيا ، وكانت مستعمرة فرنسية عاصمتها «برازافيل» نسبة إلى المكتشف الفرنسي «برازا» الذى سار على رأس بعثة لاستكشاف الضفة اليمنى من نهر الكنغو فكشف مسافة كبيرة من نهر الاجوا وأسس مدينة «فرانس فيل» التى تغير إسمها «برازا فيل» لتكون مركزا تجاريا [١]، ومنها أرسلت البعثات الفرنسية لاكتشاف المناطق الداخلية وعقد المعاهدات مع زعماء البلاد تضع بلادهم تحت الحماية الفرنسية وقد وصلت هذه البعثات إلى حدود الكنغو البلجيكى - زائير حاليا - حيث عقدت معاهدة بين الفرنسيين والبلجيك لتخطيط الحدود بين أملاكهم فى حوض الكنغو [٢].

وقد دخل الاسلام إلى الكنغو بنفس الطريق الذى دخل به دولة زائير من الشرق والغرب والشمال على يد التجار العرب ، ويبلغ عدد السكان ١,٤٥ مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م [٣]، ويبلغ عدد المسلمين فى الكنغو ستون ألفا ، ويوجد للمسلمين ثلاث مدارس هى : مدرسة المركز الاسلامى ، ومدرسة الهلال ، والمدرسة الاسلامية الكنغولية ، كما يوجد مسجد فى العاصمة «برازافيل» الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الكنغو [٤]. وقد أصبح عدد السكان أكثر من مليونين وبالتالى زاد عدد المسلمين إلى ٤٥٠ ألف مسلم .

١٤- ملاجاش :

هى جزيرة مدغشقر الواقعة فى شرق أفريقيا فى المحيط الهندى ، واسم «ملاجاش» هو اسم أكبر قبائل الجزيرة وأكثرها عددا ، وقد وصل إليها الاسلام على يد التجار والدعاة والمهاجرين سواء من بلاد العرب أو من بلاد الهند أو من بلاد فارس وذلك منذ وقت مبكر يرجع الى القرن الخامس الهجرى ، وقد تعرض المسلمون فى الجزيرة لاضطهاد شديد من جانب البرتغاليين حتى كادوا ينسون أحكام الاسلام وشريعته ، حتى إذا جاء الفرنسيون عام ١٨٨١ بدعوة تأمين الرعايا الفرنسيين الذين أصيب بعضهم باضطهادات من أهل الجزيرة فى ظل الخلافات الدائرة حول العرش بين أفراد الاسرة المالكة ، ثم أصبحت الجزيرة مستعمرة فرنسية عام ١٨٩٦م ، وظلت كذلك حتى حصلت على إستقلالها فى ٢٦ يونيو ١٩٦٠ ، والعاصمة مدينة «تناناريف» .

١- د. زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٦٧ .

٢- د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ١٣٤ .

٣- Ibid , P. 114 .

٤- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ٦٩٥ .

وعدد سكان ملاجاش ٨,٧٧ مليون نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م[١] وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٥٪ من السكان ، بينما تبلغ نسبة الوثنيين ٥٠٪ من عدد السكان ، والنسبة الباقية وقدرها ٢٥٪ من السكان مسيحيون . ويحرص المسلمون على تعلم اللغة العربية ، ويكثر المسلمون العرب فى مدغشقر كما قدم إليها مهاجرون من جزائر القمر يقدر عددهم بعشرات الالاف وقد نشطوا فى بناء المساجد[٢]. وقد أصبح عدد السكان ١٣ مليون نسمة .

١٥- جزيرة موريشيوس :

وتقع فى المحيط الهندى إلى الشرق من جزيرة مدغشقر ، وقد وصل إليها الاسلام على يد التجار منذ القرن الرابع الهجرى ، وقد تعرضت الجزيرة لغزو من جانب كل من البرتغاليين عام ١٥٠٧م والهولنديين عام ١٧١٥م والفرنسيين عام ١٧١٥م والبريطانيين عام ١٨١٤م حتى حصلت على استقلالها فى ١٢ مارس ١٩٦٦م[٣] وعاصمتها هى مدينة «بورت لويس» التى أسسها الفرنسيون فى الاصل ، وعدد سكان الجزيرة يبلغ ٩٤٢ ألف نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ بينهم ٢٥٪ من المسلمين . ويوجد للمسلمين ثلاث منظمات رئيسية هى : الدائرة الاسلامية ، واتحاد الطلبة المسلمين والبعثة الاسلامية ، كما يوجد هناك ثلاثة مساجد وعدة مدارس[٤]. وقد أصبح عدد السكان مليون و ٢٠٠ ألف (١,٢٠٠,٠٠٠) نسمة .

١٦- جزر الرأس الاخضر :

تواجه «غينيا بيساو» بغرب أفريقيا وتقع فى المحيط الاطلنطى ، وكانت مستعمرة برتغالية حتى حصلت على استقلالها فى ٥ يوليو ١٩٧٥م ، ويبلغ عدد السكان ٤٣٠ ألف نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيهم ٢١٪ من عدد السكان . والعاصمة «برايا»[٥].

١- Ibid, P. 164.

٢- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٧٢ .

٣- Ibid, P . 175 .

٤- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٧٥ .

٥- Ibid , P . 104 .

١٧- جزر ساوتومي وبرنسيب :

تواجه غينيا الاستوائية بغرب أفريقيا ، وكانت مستعمرة برتغالية ثم حصلت على إستقلالها فى ١٢ يوليو ١٩٧٥م ، وعدد سكانها ٨٣ ألف نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٨٪ من مجموع السكان . والعاصمة ساوتومى[1]. وقد أصبح عدد السكان ١١٠ ألف نسمة .

١٨- ليسوتو :

كانت مستعمرة بريطانية بوسط أفريقيا بجانب بتشواناالاند وسوازيلاند ، وقد حصلت على إستقلالها فى ٤ أكتوبر ١٩٦٦م ، وعاصمتها «ماسبيرو» ويبلغ عدد السكان حوالى مليونى نسمة يشكل المسلمون بينهم ٥٪ من عدد السكان .

١٩- جزر سيشل :

إستولت عليها أنجلترا من فرنسا بموجب معاهدة باريس لعام ١٨١٤م ، وظلت مستعمرة بريطانية حتى حصلت على أستقلالها فى ٢٨ يونيو ١٩٧٦م ، وعاصمتها مدينة «فيكتوريا» وعدد سكانها ٦٣,٣٠٠ نسمة حسب إحصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م . وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ١٪ فقط من عدد السكان[2].وقد أصبح عدد السكان حوالى ١٠٠ ألف نسمة

٢٠- بتشوانا :

دولة بوسط أفريقيا تحدها جنوبا جمهورية جنوب أفريقيا ، ومن الشمال الشرقى روديسيا «زيمبابوى» ، ومن الشمال زامبيا ومن الشمال الغربى أنجولا ومن الغرب ناميبيا ، وقد كانت مستعمرة إنجليزية حتى حصلت على إستقلالها فى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦م ، وعدد سكانها ٧٤٩ ألف نسمة حسب إحصائية هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ بينهم عدد من المسلمين تبلغ نسبتهم ٥٪ من مجموع السكان ، والعاصمة «جابرون» . وقد زاد عدد السكان فأصبح حوالى مليون ونصف نسمة .

٢١- سوازيلاند :

مستعمرة إنجليزية سابقة حصلت على إستقلالها فى ٦ سبتمبر ١٩٦٨م ، وعاصمتها مدينة

١- Ibid , P . 207 .

٢- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٠٢ .

«مبابان» ، وعدد سكانها ٥٣٩ ألف نسمة حسب إحصائية هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨[١] ونسبة المسلمين بينهم ٥٪ فقط من عدد السكان ، واللغة الرسمية الانجليزية بينما اللغة المحلية هى اللغة السوازيلاندية . وقد زاد عدد السكان فأصبح ٨٠٠ ألف نسمة .

٢٢- جنوب أفريقيا :

جمهورية تقع فى جنوب القارة الافريقية ، عاصمتها مدينة كيبتاون ، ومدينة «بريتوريا» وقد حصلت على إستقلالها كاتحاد تحت الحكم الذاتى منذ ٣١ مايو ١٩١٠م ، ويبلغ عدد سكانها ٢٧,٧٦ مليون نسمة حسب إحصائية هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨م . بينهم عدد من المسلمين تبلغ نسبتهم ١,٩٪ فقط من عدد السكان [٢]، يعيش منهم ٤٠ ألف مسلم فى مدينة الكاب والباقى فى شرق الكاب وناتال ومدن الترنسفال[٣]. وقد زاد عدد السكان إلى ٣٥ مليون نسمة وبالتالى زادت نسبة عدد المسلمين .

٢٣- ناميبيا :

ظلت تخضع لوصاية جمهورية جنوب أفريقيا منذ الحرب العالمية الاولى ، وتقع فى جنوب غرب أفريقيا تحدها شمالا أنجولا وشرقا بتشواناالاند وجنوب أفريقيا من الجنوب . وعاصمتها مدينة «ويندهوك» وعدد سكانها ٨٦٥ ألف نسمة حسب إحصائية هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ ، بينهم نسبة من المسلمين تبلغ ٤,٠٪ فقط من عدد السكان[٤].وقد حصلت على استقلالها عام ١٩٩٠م . وقد أصبح عدد السكان مليونى نسمة .

٢٤- جزر ريونيون :

وتقع إلى الشرق من جزيرة مدغشقر بالمحيط الهندى ، وهى جزء من الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار . وعدد سكانها ٦٠٠ ألف نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٠٪ من عدد السكان ، وعاصمتها مدينة «سانت دنيس»[٥].

١- Ibid , P. 228 .

٢- Ibid , P. 221 .

٣- د. محمد رياض : أفريقيا .. ص ٥٨٥ .

٤- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٠٢ .

٥- The African Continent, P. 310 .

٢٥- جزر المحيط الاطلنطى غير المستقلة :

توجد أقليات أسلامية فى عدة جزر بالمحيط الاطلنطى المواجه لغرب أفريقيا هى كما يلى :

(أ) جزر ماديرا بها ٣٠ ألف مسلم يؤلفون ١٠٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ٣٠٠ ألف نسمة .

(ب) جزر آزور بها ٥١٦ مسلم يؤلفون ٥٪ فقط من مجموع السكان .

(جـ) جزر أنوبون بها ٣٠ ألف مسلم يؤلفون ٢٥٪ من مجموع السكان .

(د) جزر الخالدات (كناريا) بها ٧٠ ألف مسلم يؤلفون ٧٪ من مجموع السكان .

(هـ) جزيرة القديسة هيلانة بها ٦٠ مسلم فقط يؤلفون ١٪ من مجموع السكان[١].

هذه صورة للاسلام فى أفريقيا ، ومما يجب ملاحظته أن البعثات التبشيرية المسيحية نشطت فى محاربة الاسلام بأفريقيا ، فقد عملت السلطات الحاكمة خلال عصر الاستعمار على تسهيل مهمة هذه البعثات لانها تدعم الوجود الاستعمارى ففى «داكار» عاصمة السنغال يوجد أكبر مركز تبشيرى بغرب أفريقيا يتخرج منه سنويا ١٢ ألف قسيس وراهب يعملون على نشر المسيحية هناك على حساب الاسلام . ويشير المبشر الامريكى «زويمر» أنه يوجد فى أواسط أفريقيا مجال فسيح للتبشير وأقاليم واسعة الارجاء واقعة على مسافة مائة ميل من الشاطىء يربو عدد سكانها على الخمسين مليونا لم تنتشر فيها الايات الانجيلية ، ويبدى أسفه لان الاسلام يتقدم وينتشر بهدوء ونظام فى أفريقيا بين القبائل الوثنية [٢].

١- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٥٦ .

٢- شاتليه : الغارة على العالم الاسلامى ص ٢٤٩ .

الفصل الثامن

المسلمون فى أوروبا وأمريكا

مقدمة :

- المسلمون فى غرب أوروبا .
- المسلمون فى شرق أوروبا .
- المسلمون فى أمريكا الشمالية .
- المسلمون فى أمريكا الوسطى .
- المسلمون فى أمريكا الجنوبية .

الاسلام فى أوروبا

مقدمـة :

دخل الاسلام إلى أوروبا منذ الفتح العربى الاسلامى للاندلس وجزر البحر الابيض المتوسط وبعد أن توغل الاتراك العثمانيون المسلمون فى شرق أوروبا ، حتى الوقت الحاضر حيث يتواجد مسلمون فى أنحاء من أوروبا متعددة يسعون إلى تدعيم وجودهم ويقيمون مؤسساتهم الاسلامية ويتطلعون إلى المسلمين فى الاقطار العربية والاسلامية لمد يد العون والتأييد لهم .

ويمكن التأريخ لدخول الاسلام إلى أوروبا منذ حركة الفتوح الاسلامية لجزر البحر المتوسط وشبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا والبرتغال حاليا) وجنوب فرنسا ، هذا من ناحية الغرب ، كما يمكن التأريخ لدخول الاسلام إلى شرق أوروبا منذ محاولات الامويين الاستيلاء على القسطنطينية ونجاح الاتراك فى ذلك عام ١٤٥٣م على يد السلطان محمد الفاتح .

أولا : المسلمون فى غرب أوروبا :

لقد ترك الفاتحون المسلمون والدول التى أقاموها فى جزر البحر المتوسط وشبه جزيرة أيبيريا وجنوب فرنسا آثارا حضارية ، بدأت بدخول موسى بن نصير مع طارق بن زياد إلى أوروبا فى عملية فتح الاندلس فى عمليات نقلت الاسلام إلى قلب القارة الاوروبية وأقامت له دولة هناك عاشت ما يزيد على السبعة قرون وقدمت للعالم ثمارا حضارية رائعة [1]. وقد سكن الاندلس عرب المشرق الذين وفدوا مع الفتح الاسلامى ، وهناك أحتفظوا بتقاليد أجدادهم ، ثم أخذت هذه التقاليد تتوا م مع عوامل البيئة الجديدة بسبب إعتناق أهل الاندلس الاسلام واندماجهم مع العرب المسلمين عن طريق المصاهرة ، وقد عاش المحاربون المسلمون الذين ينتمون إلى أصل عربى فى أراضيهم الشاسعة التى قام على زراعتها السكان الاصليون الذين اعتنقوا الاسلام بعد قليل [2].

وقد نجح الاغالبة الذين حكموا المغرب الاوسط من عاصمتهم القيروان وبمساعدة عرب الاندلس فى فتح جزيرة صقلية ، وبقيت هذه الجزيرة فى أيديهم منذ عام ٨٣٠ إلى عام ١٠٦٠م ، وقدر للعرب أثناءها أن ينشروا حضارتهم هناك والتمكين لها فى ربوع الجزيرة إلى

١- د. نبيه عاقل : خلافة بنى أمية ص ٢١٨ - ٢١٩ .

٢- د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام ... جـ ٢ ص ٢٤١ .

درجة بعيدة حملت النورماندين الذين قضوا على الحكم العربى سنة ١٠٦٠م فى عهد «الكونت رجار» على أن يأخذوا عن العرب نظامهم الادارى ويقتبسوا العناصر الاساسية للثقافة فى حياتهم الفكرية وفى فنهم أيضا .

وفى عام ١١٥٤م ألف العالم العربى الادريسى «لرجار الثانى» كتابه الشهير فى صفة الارض الذى سمى : «نزهة المشتاق فى اختراق الافاق» بل إن فريدريك الثانى الذى حكم الجزيرة من عام ١١٩٧ إلى ١٢٥٠م والذى خلف النورماندين فى حكم صقلية عنى بتنمية هذا التراث إعجابا منه بعلوم العرب وأساتذتهم [١].

وفى الاندلس حيث مكث العرب هناك ما يقارب الثمانية قرون فقد أقاموا حضارة عربية مزدهرة قامت على أكتاف العلماء الذين لايحصيهم عد ، حيث عجت برجال الدين والجغرافيين والمؤرخين الذين لا يحصيهم العد ، وكانت المساجد وقصور الامراء تتجاوب أصداؤها بالادب والفن والشعر والمناقشات الفلسفية [٢]، شأنها فى ذلك شأن بقية الاقطار الاسلامية . وظهر علماء أوروبيون درسوا فى جامعات الاندلس ، وأعتمد جميع المؤلفين اللاتين الذين ألفوا فى القرون الوسطى أعتمادا كليا على مؤلفات المسلمين حتى أواخر القرن الخامس عشر تقريبا ، وهؤلاء العلماء اللاتين لم يضيفوا شيئا إلى علماء المسلمين [٣].

ورغم أنقسام الاندلس إلى دويلات يحكمها ملوك الطوائف منذ أوائل القرن الحادى عشر بما جعلها تتعرض لانحطاط سياسى ، فانها حفلت بحصاد ثقافى عظيم ، ومرد ذلك إلى أن ملوك الطوائف كانوا كلما ضعف سلطانهم أزدادوا تنافسا فى أجتذاب الشعراء والعلماء إلى بلاطهم [٤]، حتى صارت قصورهم منارات للمعرفة على أختلافها تقلت إشعاعاتها إلى أوروبا الغربية .

ورغم أن علماء أوروبا الغربية عاشوا عصرا استقلال فكرى منذ أواخر القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر بظهور علماء أمثال ليوناردو دافنشى وكوبرنيكوس وغيرهم

١- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٤٩ .

٢- ويل ديورانت : قصة الحضارة جـ ٤ ص ٢٣٠ .

٣- جلال مظهر : حضارة الاسلام .. ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

٤- كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ٣٠٨ .

ورغم أن أوروبا اتخذت فى بداية عصر النهضة موقفا معاديا لعلوم المسلمين ، إلا أنها عادت مرة ثانية فى أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر إلى علوم المسلمين لتستقى منها بطريقة استقلالية لتكملة النقص الذى كان لا تزال ثغراته فى حاجة إلى سدها من علوم المسلمين [1].

ورغم الحركة الصليبية المعادية للاسلام والتى انطلقت من أوروبا الغربية خلال العصور الوسطى ، فان العصور الحديثة والمعاصرة شهدت نشاطا إسلاميا فى أقطار أوروبا الغربية جاءت نتيجة هجرة كثير من المسلمين من المستعمرات الاوروبية فى العالم الاسلامى - خاصة الهند وشمال أفريقيا وغربها - وحاليا نسمع عن نشاطات إسلامية كثيرة فى كل قطر أوروبى غربى ونسمع عن مؤسسات إسلامية تقام هنا وهناك فى كثير من المدن الاوروبية الغربية ، ورغم أننا لا نملك أحصائيات عن عدد المسلمين فى أقطار أوروبا الغربية ، إلا من خلال متابعتنا لتلك النشاطات نستطيع أن نطمئن إلى انتشار الاسلام هناك وإلى حيوية المسلمين حتى الوقت الحاضر .

ومن الامثلة على الوجود الاسلامى بدول غرب أوروبا ما يلى :

١- النمسا :

و يتواجد بها مسلمون أصلهم من مقاطعة البوسنة والهرسك اليوغسلافية وفدوا إلى النمسا قبيل الحرب العالمية الاولى ، وقد أسس هؤلاء المسلمون جمعية لهم تعرف باسم «الجمعية الاسلامية الثقافية» ، وبجانب هؤلاء يعيش طلاب العلم من المسلمين الذين يدرسون هناك[2].وليست هنالك إحصاءات دقيقة من عدد المسلمين فى النمسا .

٢- ألمانيا الغربية :

بدأ تواجد المسلمين فى ألمانيا الغربية عقب معارك الحرب العالمية الاولى ، وتزايدوا عقب معارك الحرب العالمية الثانية ، وكان وجودهم راجعا إما لكونهم أسرى حرب بقى بعضهم ولم يعودوا إلى أوطانهم أو فرارا من الغزو الشيوعى لدول شرق أوروبا مثل يوغسلافيا وبولندا وبلغاريا ورومانيا ، إلى جانب العمال والطلاب الذين أقاموا فى بعض المدن الالمانية مثل

١- جلال مظهر : المرجع السابق ص ٥٣٣ .

٢- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٥٤ .

«ميونخ» - وقد أنشيء بها مسجد - وفرانكفورت «هامبورج» ، و«بون» و«برلين» و «آخن» التى بها مسجد وهى فى نفس الوقت مركز أتحاد الطلاب المسلمين فى أوروبا الذى يصدر صحيفة الرائد ويقوم بنشاط كبير[1]. وليست هناك إحصائية دقيقة عن المسلمين بالمانيا الغربية ، لان منهم من استوطن ومنهم غير المستقر كطلاب العلم من البلاد الاسلامية .

٣- بلجيكا :

ويقيم بها عدد كبير من العمال المسلمين الوافدين من أقطار الشمال الافريقى ، وتبلغ نسبة المسلمين فى بلجيكا حوالى ١ - ٢٪ من مجموع السكان ويشغلون المرتبة الثانية بعد المسيحيين ، وقد صدر مرسوم ملكى بلجيكى بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٧٤م بالاعتراف بالاسلام فى بلجيكا بعد موافقة البرلمان البلجيكى ، كما وافقت السلطات الحكومية فى بروكسل على تدريس التربية الاسلامية فى مدارس المسلمين إبتداء من العام الدراسى ١٩٧٥ - ١٩٧٦م . وقد أقيم مركز ثقافى إسلامى ضخم فى العاصمة بروكسل بمعاونة الدول الاسلامية وبخاصة المملكة العربية السعودية [2].

٤- فرنسا :

يكاد المسلمون فى فرنسا يقتصرون على الوافدين منهم من أفريقيا خاصة من المستعمرات الفرنسية السابقة فى شمال وغرب أفريقيا . وهؤلاء يعملون كعمال فى الحرف الدنيا ومن ثم فمستواهم الاجتماعى والثقافى والاقتصادى غير مرض ، ويقدر عدد هؤلاء المسلمين بأكثر من ٤٠٠ ألف مسلم يقيم ٣٠ ألف منهم فى العاصمة باريس حيث يؤدون شعائرهم الدينية فى المسجد الذى أقيم هناك منذ عام ١٩٢٦م على الطراز المغربى ، كما توجد فى باريس كذلك رابطة للطلاب المسلمين فى فرنسا بمثابة المركز المشرف على النشاط الاسلامى للطلاب الوافدين إلى فرنسا من الاقطار الاسلامية [3].

٥- أنجلترا :

بدأ تواجد المسلمين فى أنجلترا قادمين من الهند فى القرن التاسع عشر ، وقد أسس مسلمو

١- نفس المرجع السابق ص ٧٥٥ .

٢- مجلة الفيصل العدد ١٨ ذو الحجة ١٣٩٨ هـ موضوع المركز الاسلامى فى بروكسل .

٣- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٥٦ .

الهند فى لندن جمعية إسلامية لهم عام ١٨٨٦م ، وهى تعتبر أقدم جمعية إسلامية فى دول غرب أوروبا ، وبتوالى السنين كثر نزوح المسلمين - من باكستان ، ومن أفريقيا ومن جنوب الجزيرة العربية - إلى أنجلترا حيث أخذوا فى تكوين الجمعيات الخاصة بهم والمساجد الاسلامية فى كثير من المدن الانجليزية ، ولم يقتصر الوجود الاسلامى على لندن فقط بل نشط المسلمون فى مدن منشستر ومدينة كارديف جنوب ويلز وغيرها ، حيث ظهرت مساجد ومراكز ثقافية أسلامية وجمعيات وروابط أسلامية ، بل ومقابر للمسلمين [١].

وفى لندن يوجد مركز أسلامى ومعهد إسلامى للبحث والدراسة لا يتبع لاية حكومة أو منظمة سياسية أو غير سياسية ، ورغم أنه يحصر نشاطه فى ميدان البحث العلمى إلا أنه يعتبر نفسه جزءا من الحركة الاسلامية العالمية الابعاد ، ويرى أن مهمته هى تقوية الوجود الاسلامى على الخريطة الفكرية لمدينة لندن وفى الغرب كله .

٦- أسبانيا :

على الرغم من أن المسلمين مكثوا بشبه جزيرة أيبيريا حوالى ثمانية قرون إلا أن الاضطهاد ومحاكم التفتيش قد قضت على الوجود الاسلامى بشبه الجزيرة قضاء يكاد يكون تاما ، وفى الوقت الحاضر تشهد أسبانيا حركة تهدف إلى بعث الاصول الاسلامية للحضارة الاسبانية المعاصرة ، ومن ثم وجد ما سمى بالمعهد الاسبانى العربى التابع لوزارة الخارجية الاسبانية الذى يقدم المنح العلمية للطلاب العرب والمسلمين ويهتم بالتراث العربى الاسلامى فى أيبيريا ، كما يقوم المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد منذ الخمسينات من القرن العشرين بدور كبير فى هذا المجال ، وتبعا لذلك أخذ المسلمون يتوافدون على أسبانيا طلابا للعلم أو للعمل ، وليست هناك أحصائية دقيقة عن عدد المسلمين فى أسبانيا .

٧- سويسرا :

يرجع تواجد المسلمين فى سويسرا إلى وقت ليس بالبعيد . حيث أخذ المسلمون طلابا وعمالا يتوافدون على البلاد مما إستدعى إقامة مركز إسلامى فى مدينة «لوزان» قام بانشائه خمسة وثلاثون من المسلمين المقيمين ليخدم الجالية الاسلامية فى المدينة - لوزان - والمكونة من مواطنين سويسريين أعتنقوا الاسلام وعددهم يقرب من ألف نسمة ، بالاضافة إلى ١٥٠٠

١- المرجع السابق ص ٧٥٦ .

مسلم تقريبا من جنسيات مختلفة يقيمون فى مدينة لوزان . ويصدر المركز مجلة تسمى «المسلمون» [١].

٨- أيطاليا :

قد لا يكون من المبالغة القول بأن الاسلام الذى دخل إلى جزيرة صقلية منذ القرن التاسع الميلادى قد أثر فى شبه الجزيرة الايطالية ، ولكن تغير الظروف قلصت الوجود الاسلامى هناك ، والان يوجد عدد من المسلمين النازحين إلى روما وغيرها من المدن الايطالية حيث يقيمون لانفسهم مساجد ومؤسسات إسلامية ترعى شئونهم . ومع ذلك لا توجد إحصائية دقيقة عن عدد المسلمين فى إيطاليا .

٩- بقية دول غرب أوروبا :

مما لا شك فيه أن هناك أقليات إسلامية فى كل من هولنده والدول الاسكندنافية وأن لم تكن لدينا إحصاءات دقيقة عن أعداد هذه الاقليات الاسلامية ، إلا أن وجود مساجد فى مدن «لاهاى» و «أستوكهلم» و «أوسلو» وغيرها دليل حى على وجود مثل هذه الاقليات .

ومما تجدر ملاحظته أن بعض مدن أوروبا الغربية تحتوى على الكثير من تراث المسلمين الفكرى فى مكتباتها ، ونفائس الاثار الاسلامية فى متاحفها ، وهى بهذه الذخائر تجتذب طلاب العلم المسلمين وغيرهم ، وقد سطت الدول الغربية على هذه النفائس بطرق مختلفة أثناء إستعمارها لبلدان الاسلامية [٢].

ومما تجدر الاشارة إليه كذلك أن بعض الجهات فى دول غرب أوروبا تشجع على تشويه صورة الاسلام بتشجيع الحركات التى تنتسب إلى الاسلام وهومنها براء مثل «الجماعة القاديانية» التى تنسب إلى ميرزا أحمد غلام مرتضى المولود عام ١٨٣٩م فى بلدة «قاديان» إحدى قرى البنجاب ، وقد زعم أنه المسيح المنتظر وادعى النبوة ونسخ أحكام الجهادفى الاسلام بل ونسخ دعوة الرسل [٣]. كما تعمل الجهات الاوروبية على إبعاد طلاب العلم المسلمين عن التمسك بدينهم وأحكامه عن طريق تقديم الاغراءات .. وكل ذلك يضع مسئولية كبرى على المسلمين فى أقطار العالم الاسلامى .

١- نفس المرجع السابق ص ٧٥٧ .

٢- نفس المرجع السابق ص ٧٥٨ .

٣- نفس المرجع السابق ص ٧٥٧ .

ثانيا : المسلمون فى شرق أوروبا :

وقد بدأ انتشار الاسلام فى أوروبا الشرقية منذ حرص الأمويون على الاستيلاء على ممتلكات الامبراطورية البيزنطية بشرق أوروبا ، حيث حاول العرب الاستيلاء على القسطنطينية - عاصمة الامبراطورية البيزنطية - ثلاث مرات : المرة الاولى فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، والثانية فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، والثالثة فى عهد سليمان بن عبد الملك [١].

وبعد العرب بدأ الاتراك فى شن هجوم على الامبراطورية البيزنطية لاول مرة فى عهد السلطان بايزيد الاول العثمانى بالهجوم على القسطنطينية عام ١٣٩٦م ، حتى أفتتحها محمد الثانى الذى عرف بمحمد الفاتح فى ٢٩ مايو ١٤٥٣ م [٢]، وتحولت منذ ذلك التاريخ إلى مدينة إسلامية فى مبانيها ومؤسساتها الجديدة وفى نشاطها العلمى والفكرى والدينى والسياسى ، وصارت عاصمة للدولة العثمانية ومركزا لانطلاق حملات الفتح لبقية أراضى شبه جزيرة البلقان ، بحيث أنه مع نهاية العشرينات من القرن السادس عشر حتى كانت جيوش السلطان العثمانى سليمان القانونى قد وقفت أمام أسوار فينا عاصمة النمسا ، هذا وقد تغير إسم القسطنطينية فى العهد العثمانى إلى «إسلام بول» ثم تحرف إلى إستانبول والاستانة .

وهكذا صارت معظم أقطار شرق أوروبا مقرا لجاليات إسلامية ، حيث وجدنا دولة ألبانيا دولة إسلامية ، بينما يعيش فى يوغسلافيا جالية إسلامية كبيرة ، كما يوجد فى اليونان ورومانيا وبلغاريا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندة وألمانيا الشرقية إلى جانب روسيا جاليات إسلامية تنظر بعين الولاء والانتماء إلى الدول العربية الاسلامية تنتظر منها الدعم والتأييد .

وفيما يلى أمثلة على الوجود الاسلامى بدول أوروبا الشرقية : -

١- ألبانيا :

دولة بلقانية تقع بين يوغوسلافيا واليونان وبحر الادرياتيك ، وقد دخلها الاسلام مع الغزو التركى لها فى القرن التاسع الهجرى الموافق للقرن السادس عشر الميلادى حيث ظلت تركية إلى أن حصلت على أستقلالها عام ١٩١٧م ، ثم سيطر الشيوعيون على الحكم عقب معارك الحرب العالمية الثانية ، ويمثل الاسلام فى ألبانيا الغالبية العظمى من السكان ، إذ تبلغ

١- د. حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ص ٢٤٢ .

٢- كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ٢١٨ .

نسبتهم ٧٢٪ من عدد السكان البالغ ٢,٢٥ مليون نسمة ، ويعيش الالبانيون المسلمون تحت سيطرة حكومة شيوعية لا تعترف بالاديان .

٢- يوغوسلافيا :

دولة بلقانية تتاخم حدودها جميع الدول البلقانية - المجر ، رومانيا ، بلغاريا ، اليونان ، ألبانيا - وهى جمهورية اتحادية تتكون من ست جمهوريات هى : صربيا وهى أكبر الجمهوريات وعاصمتها مدينة بلجراد العاصمة الاتحادية ، وسلوفينيا ، وكرواتيا وعاصمتها مدينة زغرب ، والبوسنة والهرسك وعاصمتها مدينة «سيراجيفو» ، ومقدونيا ، الجبل الاسود[١].

ويمكن التأريخ لدخول الاسلام إلى يوغوسلافيا بهجرة البوشناق المسلمين من منطقة الفولجا أواخر القرن الرابع الهجرى إلى البلقان ، كما دخل كثير من الصرب الدين الاسلامى فى القرن الرابع عشر قبل أن تصبح صربيا ولاية عثمانية عام ١٤٥٩م ، وقد تعرض المسلمون للاضطهاد فى البوشناق وصربيا تحت حكم إمبراطورية النمسا والمجر ، حتى إذا تأسست الدولة اليوغوسلافية عام ١٩١٨م تعرض المسلمون لاضطهاد الارثوذكس مما أضطر الكثيرين منهم إلى الهجرة خارج يوغوسلافيا .

وبعد الحرب العالمية الثانية سيطر الشيوعيون على الحكم فى يوغوسلافيا فتعرض المسلمون لمذابح أخرى وصب الشيوعيون جام حقدهم وغضبهم عليهم ، فهدمت المساجد والمدارس الاسلامية . وقد كان فى ولاية البوسنة والهرسك قبل الحرب العالمية الاخيرة ١٧٠ ألف مسجد وفى العاصمة «سيراجيفو» وحدها ٨٧٠ مسجدا ، وكان فى بلغراد ٢٧٠ مسجداً خربت جميعها ما عدا واحدا بقى منها لكن هدمت مئذنته ، وسادت موجة عنيفة ضد الدين بعامة وضد المسلمين بخاصة ، فقد قتل ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة[٢].

وتتألف المجموعات الإسلامية فى يوغوسلافيا من البوشناق والالبان والاتراك والصرب والكروات ، وتبلغ نسبة المسلمين ٢٠٪ من مجموع السكان البالغ ٢٣مليون نسمة ، وفى السنوات الأخيرة صار للمسلمين اتحاد يرأسه رئيس العلماء ومجالس للعلماء ، كما صار لهم مدارس ومساجد وغيرها من المؤسسات الدينية ، كما توجد بقايا للمؤسسات الاسلامية التى تعرضت للتدمير سابقا وصارت اثارا اسلامية تشهد على عظمة الاسلام فى تلك البلاد ، هذا

١- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٠٩ - ٧١٠ .

٢- المرجع السابق ص ٧١٢ .

وقد أخذ عدد الحجاج اليوغوسلاف يتزايدون سنة بعد أخرى الآونة الأخيرة . حتى حدثت مأساة البوسنة والهرسك منذ عام ١٩٩٤م واستقلال ولايات يوغوسلافيا .

٣- اليونان :

دولة بلقانية دخلها الاسلام أثناء الغزو التركى فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ومن ثم صار المسلمون فى اليونان يتألفون من الاتراك ومن الالبان والشراكسة والبلغار إلى جانب بعض اليونانيين الذين أسلموا ، وعندما حصلت اليونان على استقلالها من تركيا أول الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، وعندما نشبت الحرب بين تركيا واليونان عام ١٩٢١م تأثر الاسلام فى اليونان بهجرة كثير من الاتراك المسلمين ، ومع ذلك فمازال هناك حوالى ٢٠٠ ألف مسلم ثلاثة أرباعهم من الاتراك ، ويعيش ٢٠ ألف مسلم فى جزر بحر إيجة (الدوديكانيز) التابعة للسيادة اليونانية [1].

كريت ورودس :

جزيرتان بالحوض الشرقى للبحر المتوسط تتبعان حاليا اليونان ، وقد دخل الاسلام إلى جزيرة كريت منذ القرون الاولى للاسلام - القرن الثالث الهجرى بصفة محددة - ثم تعرضت الجزيرة لضغوط من مختلف القوى الخارجية كالدولة البيزنطية والبنادقة تعرض المسلمون أثناءها لاضطهاد شديد حتى فتحها الاتراك عام ١٦٦٩م ، فصار نصف سكان الجزيرة مسلمون ولكن المسيحيين المؤيدين من الدول الاوروبية واليونان أضطروا العثمانيين إلى ترك الجزيرة عام ١٨٩٨ ثم تسلمتها اليونان عام ١٩٠٨، وقد هاجر كثير من مسلمى كريت إلى مصر وإلى برقة . ومن ثم أخذ عدد المسلمين هناك فى التناقص من ٨٩ ألف مسلم عام ١٨٩٨م حتى تكاد الجزيرة اليوم أن تخلو منهم .

وأما جزيرة رودس فقد دخلها الاسلام حين فتحها المسلمون فى القرن الاول الهجرى ، ثم دخلها العثمانيون منذ عام ١٥٢٢م . وحينما فقدها العثمانيون عام ١٩١٣م أخذ عدد المسلمين فى التناقص تدريجيا أذ هاجروا تباعا إلى مصر والشام هربا من الاضطهاد المسيحى الاوروبى حتى كادت الجزيرة أن تخلو من كل أثر للاسلام ، وقد صارت رودس عقب الحرب العالمية الأولى تابعة لليونان .

١- نفس المرجع السابق ص ٧١٦ .

٥- مالطة :

جزيرة تقع جنوب صقلية ، وقد دخلها الاسلام على يد الاغالبة حكام تونس منذ عام ٢٥٦هـ ولكن النورمان إستولوا عليها عام ٤٨٣هـ فأصاب مسلميها ما أصاب مسلمى جزيرة صقلية من إضطهاد وتهجير ، حتى أستولى عليها العثمانيون عام ٩٥٩هـ الموافق ١٥٥٢م فنشط الاسلام بالجزيرة حتى إحتلها الانجليز أواخر القرن الثامن عشر أثناء مطاردة الاسطول الانجليزى للحملة الفرنسية على مصر ، وظلت خاضعة للانجليز حتى حصلت على إستقلالها فى إطار مجموعة دول الكومنولث .

وعدد السكان فى جزيرة مالطة ٣٥٠ ألف نسمة تقريبا بينهم أربعون ألف مسلم هم من بقوا فى الجزيرة من المسلمين ، وبذا تكون نسبتهم الآن بين سكان مالطة هى ١١٪ ، ويتكلم السكان اللغة المالطية ، وهى لغة تختلط فيها ألفاظ عربية وإيطالية وإنجليزية وتكتب بحروف لاتينية [١]، وبهذا يبدو أثر الثقافة العربية الاسلامية فى الجزيرة التى تشهد بعض المؤسسات الاسلامية كالمساجد .

٦- بلغاريا :

دولة صغيرة فى البلقان تشرف على البحر الاسود ، وقد دخلها الاسلام عندما فتحها الاتراك عام ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م واستولوا على عاصمتها «صوفيا» ، وقد بقيت تحت حكم الاتراك حتى مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨م وعندما حصلت على إستقلالها وصارت مملكة عام ١٩٠٨م ، وقد لقى المسلمون الاضطهاد على يد الشيوعيين الذين استولوا على السلطة فى البلاد عام ١٩٤٤م .

وعدد سكان بلغاريا تسعة ملايين نسمة بينهم ما يقارب المليونين من السكان مسلمين يتكونون من البلغار الذين اعتنقوا الاسلام ويتواجد معظمهم فى المناطق الجنوبية من البلاد ، والاتراك الذين استقروا منذ الفتح التركى إلى جانب بعض التتار الذين نزحوا إلى بلغاريا بالاضافة إلى مجموعات من الغجر الرحل ، ويتعرض المسلمون للاضطهاد من جانب السلطات الشيوعية الحاكمة ، إذ منعوا من الحج ، وليست لهم مدارس خاصة ، كما حاولت الحكومة تنصير المسلمين بالقوة ، وأجبرت النساء على السفور ، وهدمت المساجد ، وحظرت النحر يوم عيد الاضحى [٢].

١- نفس المرجع السابق ص ٧٢١ .

٢- نفس المرجع السابق ص ٧٢٥ .

كما منعت الحكومة البلغارية المسلمين من ختان أبنائهم ، ومن دفن موتاهم على الطريقة الاسلامية وأجبرتهم على الدفن فى صندوق على الطريقة المسيحية بكامل لباس الميت ، ومنعت المسلمين أيضا من عقد زواجهم بعقود نكاح إسلامية وأجبرتهم على الزواج بالطريقة المتبعة عندهم ، كما دأبت على منع المسلمين من الصلاة بمساجد القرى الاسلامية حتى أهملت هذه المساجد وصارت مهددة بالسقوط ، بل ومنعت المسلمين من إستعمال المواصلات العامة ، وقد أدى كل ذلك إلى جعل المناطق الاسلامية متخلفة عن بقية المناطق .

٧- رومانيا :

يمكن التأريخ لدخول الاسلام إلى تلك الدولة البلقانية بدخول الاتراك إلى تلك البلاد منذ عام ١٤٨٤م ، وعندما ترك الاتراك رومانيا عقب الحرب العالمية الاولى هاجر كثير من الاتراك المسلمين من رومانيا ، ثم زادت هجرتهم بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد قيام الحكم الشيوعى فى البلاد ، ويقدر عدد المسلمين فى رومانيا بأكثر من خمسين ألف مسلم من جملة السكان الذين يبلغ عددهم ٢١ مليونا ، وتوجد بعض المساجد لخدمة المسلمين فى العاصمة «بوخارست» وغيرها ، كما يوجد للمسلمين مفتى بمثابة الزعيم الدينى لهم .

٨- المجر :

دخل الاسلام إلى هذه الدولة البلقانية منذ القرن الحادى عشر الميلادى على يد بعض القبائل البلغارية المسلمة ، كما أعتنق عدد من المجريين الاسلام بعد الفتح العثمانى لبلادهم عام ١٥٨٦م ، إلى جانب الاتراك الذين إستقروا حتى بعد خروج الاتراك من البلاد عام ١٦٨٧م ، وقد ترك المسلمون آثارا كثيرة هناك كالمساجد والمدارس والمكتبات ، ويبلغ عدد المسلمين فى المجر حاليا ٤٥٠٠ مسلم يقيم منهم فى العاصمة «بودابست» قرابة ٦٥٠ مسلما[١].

٩- بولندة :

دولة بوسط أوروبا دخلها الاسلام على يد قبائل مسلمة من التتار فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد كانت بولندة إحدى حلقات الاتصال بين الشرق الاسلامى الادنى والغرب ولا سيما فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، وتأثرت كثيرا بالفنون الاسلامية ، وقام البولنديون بارسال أبنائهم إلى مصر لطلب العلم والتفقه فى الدين ، كما كان الحج سبيل إتصال مسلمى بولندة دولة مستقلة عقب الحرب العالمية الاولى أقبل المسلمون فيها على دراسة العلوم الدينية واللغات الشرقية ، ولكن عندما خضعت للحكم الشيوعى عقب

الحرب العالمية الثانية تقلص نشاط المسلمين حتى إنخفض عدد المساجد فى البلاد من ١٦ إلى ٣ مساجد فقط ، ويقدر عدد المسلمين فى بولندة اليوم بنحو ٢٥ ألف بعد أن كانوا ١٥٠ ألفا بعد الحرب العالمية الاولى [٢]. وعدد سكان بولندة ٣٣ مليون نسمة وعاصمتهم مدينة «وارسو» .

١٠- تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية :

هذه البلاد بوسط أوروبا ، وقد دخلها الاسلام إما على يد القبائل المسلمة من التتار أوعلى يد الاتراك ، وقد مارس المسلمون هناك شعائرهم فى ظل حكومات غير متعصبة ضد الاسلام ، ولكن المسلمين تعرضوا للاضطهاد عندما سيطر الشيوعيون على الحكم فى هذه البلاد ، وإن كان يوجد حتى الان عدة آلاف من المسلمين فى كل من تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية فانهم يعيشون ظروفا لا تساعدهم على أداء شعائرهم الدينية بالحرية الواجبة .

١١- أقطار أخرى فى شرق أوروبا :

وإلى جانب مسلمى وسط آسيا الخاضعين للاتحاد السوفيتى السابق توجد جماعات إسلامية فى عدة جمهوريات أوروبية داخلة ضمن الاتحاد السوفيتى ، وهذه الجمهوريات وقد حصلت على إستقلالها هى :

١- جمهورية «كاريليا» الفنلندية وعاصمتها «تبروزا فودسك» ، وقد ألحقت بجمهورية روسيا الاتحادية .

٢- جمهورية «إستونيا» وعاصمتها «تالين» .

٣- جمهورية «لاتفيا» وعاصمتها «ريفا» .

٤- جمهورية «ليتوانيا» وعاصمتها «فتليس» .

وهذه الجمهوريات الاربع تقع على بحر البلطيق .

٥- جمهورية «مولدافيا» وكانت تسمى «البغدان» وتقع على ساحل البحر الاسود الغربى وعاصمتها «كيشينيف» .

٦- جمهورية «أوكرانيا» وعاصمتها «كييف» وهى منطقة روسية .

١- المرجع السابق ص ٧٢٨ .

٢- نفس المرجع السابق ص ٧٣٠ .

٧- جمهورية «روسيا البيضاء» وعاصمتها «منسك» وهي منطقة روسية [١].

وبذلك يصبح عدد جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق ١٥ جمهورية تكون الاتحاد قلبها جمهورية روسيا الاتحادية ومركزها مدينة «موسكو» ، وتشمل كل المناطق الباقية فى الاتحاد السوفييتى فى آسيا وأوروبا وتمتد من البحر الاسود حتى المحيط الهادى ، ومن أواسط آسيا حتى البحر المتجمد الشمالى . وجناحها الاسيوى يضم ٣ جمهوريات فى تركستان و٥ جمهوريات فى القوقاز ، و٦ جمهوريات فى الجناح الاوروبى إلى جانب القلب الذى فيه العاصمة موسكو . وإذا كان مسلمو الجناح الاسيوى يتكلمون اللغة العربية أو التركية ، فان مسلمى الجناح الاوروبى لا يتكلمون بهاتين اللغتين وإنما يتكلمون بالليتوانية والروسية ومن ثم يجب عمل منح دراسية لطلاب العلم من أبناء هؤلاء المسلمين حيث يؤخذون إلى مصر لاجل تعليمهم أصول اللغة العربية والدين الاسلامى الحنيف[٢].

ومما تجب ملاحظته أن المسلمين كانوا يعيشون وراء حدود الستار الحديدى عيشة لا نعرف عنها شيئا بل لا يعرف أحد عنهم خبرا ، ولا يعرفون هم عنا شيئا حيث انقطعت أخبارهم عن العالم الخارجى ، وقطعت أخبار العالم عنهم منذ أصبحوا يرزحون تحت وطأة الحكم الشيوعى ، وليست حياة السكان هى التى كنا نجهلها فقط بل حتى الارض التى يقطنون عليها أصبحت دراستها مهملة منذ أصبحت ملحقة بالارض الروسية رغم أن هذه المنطقة قد أرتبطت حقبة من التاريخ ليست قصيرة بالارض العربية [٣]. ورغم أن مسلمى الاتحاد السوفييتى السابق يعتبرون البلاد العربية بلاد النور ما دام الاسلام فيها نشأ ومنها خرج ويعتبرون العرب المثل الاعلى فى الكمال والعلم والخلق والفضيلة ، وأن الاسلام فى البلاد العربية هو الحاكم فيها لا محكوم عليه [٤]. وقد أصبحت الاقطار الاسلامية فى وسط آسيا دولا مستقلة تتطلع إلى التعاون الوثيق مع الدول العربية والاسلامية [٥] .

١- محمود شاكر : المرجع السابق ص ١٠٨ .

٢- لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٨٨ .

٣- محمود شاكر : المرجع السابق ص ٦٦ .

٤- محمود شاكر : تفقاسيا ص ٨٤ .

٥- يمكن الرجوع للفصل الخامس من المسلمون فى آسيا .

المسلمون فى أمريكا

مقدمة :

دخل الاسلام إلى أمريكا عن طريق المهاجرين العرب المسلمين ، إلى جانب إنتشار الاسلام بين الزنوج الامريكيين وغير الزنوج الذين هداهم الله إلى دينه ، فعلى سبيل المثال هاجر من العرب إلى الولايات المتحدة الامريكية فى الفترة من عام ١٨٩٩ إلى ١٩١٤م حوالى ٨٦ ألف مهاجر إلى جانب هجرة عدد آخر يتراوح بين ٤٠ ألف و١٦٠ ألف إلى الارض الامريكية قبل عام ١٨٩٩م ، كما هاجر ١٦ ألف من الارمن عقب الاضطهادات التى تعرضوا لها أواسط عام ١٨٩٠م ، بالاضافة إلى ٤٦ ألف أرمنى هاجروا إلى الارض الامريكية فى الفترة من ١٨٩٩ إلى ١٩١٤م [1].

ورغم وجود الزنوج الامريكيين القادمين أصلا من أفريقيا وبعضهم مسلمون فى أمريكا كعبيد قبل تحرير الرق الذى حدث بعد الحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١- ١٨٦٥م) . فقد قدم إلى أمريكا ومنذ عام ١٩٠٠م وحتى أول الخمسينات من القرن العشرين حوالى نصف مليون من المهاجرين الزنوج ، بعضهم مسلمون [2].

وللحديث عن المسلمين فى أمريكا يحسن أن نتناول النقاط الآتية :-

أولا : المسلمون فى أمريكا الشمالية :

رغم أن قارة أمريكا الشمالية تضم إلى جانب الولايات المتحدة كلا من كندا والمكسيك ، إلا أن النشاط الاسلامى كان أوضح فى الولايات المتحدة منه فى الدولتين الاخريين ، ومن هنا فأننا سنتناول النشاط الاسلامى فى هذه الدول كما يلى :-

١- الولايات المتحدة :

وقد شهد القرن العشرين هجرات إسلامية بعضها من البلاد الاوروبية التى خضعت للحكم الشيوعى ، وبعضها من البلاد العربية وخاصة بلاد الشام واليمن ومصر ، إلى جانب مهاجرين من إيران وتركيا والهند وأندونيسيا والفلبين وغيرها ، وقد استقر هؤلاء فى مناطق متفرقة من الولايات المتحدة ، ودعم موقف الاسلام هناك ذهاب الكثيرين من طلاب العلم المسلمين للتعلم

١- De Nova , J.A : American interests and Policies in the Middle East, P . 42 .

٢- ماكس ليرنر : أمريكا كحضارة جـ ٢ ص ٧٨٩ .

فى الجامعات الامريكية ، إلى جانب أعتناق بعض الامريكيين للاسلام نتيجة إتصالهم بالمسلمين داخل أو خارج الولايات المتحدة .

وإلى جانب كل هؤلاء فان الاسلام دخل بين الزنوج فى الولايات المتحدة ، سواء منهم الذى أتى من أفريقيا مسلما أو إعتنق الاسلام على أرض الولايات المتحدة ، وظهور زعماء من المسلمين السود فى الولايات المتحدة قادوا حركة الحقوق المدنية وتصدوا للتفرقة العنصرية هناك وأخذوا ينشرون الاسلام وينشئون المدارس والمساجد والروابط والمنظمات فى مدن «شيكاغو» و «نيويورك» و «لوس أنجلوس» وغيرها .

ففى نيويورك تقيم جماعة إسلامية كبيرة وبها مركز إسلامى أنشىء منذ عام ١٩٥٦م ، وفى نيويورك يوجد إلى جانب السود المسلمين جماعات إسلامية وافدة كثيرة ولهم روابطهم ونواديهم ومساجدهم ، وفى لوس أنجلوس أكبر مدن الغرب تقيم أكبر جماعة إسلامية فى غربى الولايات المتحدة إذ تبلغ أكثر من ٣٥ ألف من المسلمين وبها مسجدان ومركز إسلامى . وفى مدينة واشنطن العاصمة تقيم بها جماعة مسلمة وبها مركز إسلامى يضم مسجدا يعد من اكبر المساجد فى الولايات المتحدة [١].

هذا إلى جانب وجود تجمعات إسلامية ولها مؤسساتها الدينية والاجتماعية فى كل من توليدو «طليطلة» ومدينة «ديترويت» ، ومدينة «فيلادلفيا» ، ومدينة «أنديانابولس» ، ومدينة «سكرمنتو» ، ومدينة «سان فرانسسكو» ، إلى جانب مناطق أخرى توجد بها تجمعات إسلامية قليلة ، وهى أريزونا ، وتكساس ، وفلوريدا ، وأوكلاهوما ، ونيوأورليانز ، وايوتا ، وميتشجن ، وكنتكى ، وألباما ، وغيرها .

ويقدر عدد المسلمين فى الولايات المتحدة بحوالى خمسة ملايين مسلم من أمريكيين ومستوطنين ومقيمين بشكل مؤقت ، ينتظمون فى عدة منظمات وروابط مثل : إتحاد الطلبة المسلمين ، وإتحاد علماء الاجتماع المسلمين وإتحاد العلماء والمهندسين المسلمين ، وأتحاد الاطباء المسلمين ومقر هذه الاتحادات مدينة «أنديانابولس» بولاية أنديانا . ومراكز إسلامية ، ومساجد وجمعيات وأندية ومدارس لخدمة التجمعات الاسلامية فى المدن والولايات المختلفة[٢].

ومع ذلك فان للمسلمين فى الولايات المتحدة مشكلات تتمثل فى عدم إنتظامهم فى رابطة

١- د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٦٨ .

٢- المرجع السابق ص ٧٦٩ - ٧٧٠ .

واحدة ولا إقامتهم فى مكان واحد فى أحياء محددة كما توجد بينهم خلافات نابعة من إنتماءات الوافدين منهم الاقليمية مما يدفعهم إلى تشكيل جمعيات إسلامية إقليمية مختلفة .

٢- كندا والمكسيك :

توجد أقليات إسلامية فى كل من كندا والمكسيك لا يتجاوز عددها مائتين وخمسين ألف مسلم فى كندا ، ومائة وعشرين ألف مسلم فى المكسيك لهم روابط تخدمهم وتتصل بمثيلاتها فى الولايات المتحدة .

ثانيا : المسلمون فى أمريكا الوسطى :

يعيش مئات من المسلمين كأقليات فى جمهوريات أمريكا الوسطى . وإن كانت جزر البحر الكاريبى تتواجد بها أقليات أسلامية تتراوح أعدادها بين الألف والخمسة آلاف مسلم ، يتركزون فى جزر «جامايكا» ، وجزر الأنتيل الانجليزية ، «وجوادالوب» [١].

ثالثا : المسلمون فى أمريكا الجنوبية :

يعيش فى قارة أمريكا الجنوبية اليوم ما يقرب من المليون و ٤٠٠ ألف مسلم موزعين على البلاد الآتية :-

١- البرازيل :

يعيش فى البرازيل حوالى ٥٠٠ ألف مسلم معظمهم فى مدينة «سان باولو» معظمهم من العرب ثم الافارقة ، وبها أول مسجد بأمريكا الجنوبية ولهم جمعية تشرف على شئونهم هى الجمعية الخيرية الاسلامية .

٢- الارجنتين :

ويقيم بالارجنتين حوالى ٥٠٠ ألف مسلم معظمهم من بلاد الشام يتجمع معظمهم فى العاصمة «بيونس ايرس» ولهم مسجد هناك وجمعية هى الجمعية الخيرية الاسلامية .

٣- جويانا الانجليزية :

يسكنها ١٦٠ ألف مسلم يمثلون ٩٪ من مجموع السكان ولهم مسجدهم فى مدينة «جورج تاون».

٤- جويانا الفرنسية :

ويعيش على أرضها ٧ آلاف مسلم يمثلون ١١٪ من مجموع السكان .

١- المرجع السابق ص ٧٧٢ .

٥- سورينام :

ويعيش فيها ١٤٠ ألف مسلم يمثلون ٢٥٪ من مجموع السكان أكثرهم من أصل أفريقى .

٦- ترينداد :

وهى جزيرة سكانها ١٣٠ ألف بينهم ٦٪ من هذا العدد مسلمون .

٧- بقية دول أمريكا الجنوبية :

توجد جماعات إسلامية فى بقية دول أمريكا الجنوبية لهم نشاطهم ومؤسساتهم حيث يمارسون شعائرهم الدينية هناك بحرية ، ومن أمثلة ذلك وجود خمسة آلاف مسلم فى جمهورية شيلى ، وألف وخمسمائة مسلم فى جمهورية فنزويلا ، وألف وخمسمائة مسلم فى جمهورية كولومبيا [١].

ويمكن الرجوع للجداول الإحصائية فى الصفحات التالية :-

الأقليات المسلمة فى أمريكا الشمالية

الدولة	السكان سنة ١٤٠٨هـ - ١٤٠٩هـ	المسلمون فى سنة ١٤٠٨ - ١٤٠٩هـ	النسبة ٪
الولايات المتحدة الامريكية	٢٤٦٠٧٩٠٠٠	٤٦٤٤٠٠٠	٪١,٨٨
كندا	٢٥٩٣٢٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٪٠,٨
الجملة	٢٧٢٠١١٠٠٠	٤٨٩٤٠٠٠	٪٠,٩

الأقليات المسلمة فى مناطق البحر الكاريبى

الدولة	السكان سنة ١٤٠٨ - ١٤٠٩ هـ	المسلمون سنة ١٤٠٨ - ١٤٠٩هـ	النسبة٪
ترينداد وتوباجو	١,٢٤٤,٠٠٠	١٢٣,٠٠٠	٪١٠,٦
جزر الأنتيل الهولندية	٢٧٠,٠٠٠	٢,٥٠٠	٪٠,٩
جريناادا	١٠٠,٠٠٠	٢٠٠	٪٠,٠٩
برباادوس	٢٦٠,٠٠٠	١,٢٠٠	٪٠,٢
الجزر العذراء	١٤٠,٠٠٠	٢,٢٨٠	٪١,٦
بويرتوريكو	٣,٥٩٨,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٪٠,٥٥
دومنيكان	٦,٨٦٧,٠٠٠	١٠٠	٪٠,٠١٤
هاييتى	٦,٢٣٦,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٪٠,١٩
جامايكا	٢,٤٤٠,٠٠٠	٢,٥٠٠	٪٠,١
كوبا	١٠,١٥٤,٠٠٠	١,٠٠٠	٪٠,٠١
جزر بهاما	٢٥٢,٠٠٠	١,٠٠٠	٪٠,٤٩
جوادلوب	٣٣٨,٠٠٠	٤٧٥	٪٠,١٤
برمودا	٥٧,٠٠٠	٥٠٠	٪٠,٠٨
جزر كراكاو		١,٥٠٠	٪,٠
المارتنيك	٣٣٠,٠٠٠	٤٥٠	٪٠,١٣
	٣٢,٢٨٦,٠٠٠	١٦٨,٧٠٥	٪٠,٥

الأقليات المسلمة فى أمريكا اللاتينية
أولا : أمريكا الوسطى

الدولة	السكان فى سنة ١٤٠٨هـ	المسلمون ١٤٠٨هـ
الولايات المتحدة المكسيكية	٨٤,٨٨٤,٠٠٠	١١٠,٠٠
جواتيمالا	٨,٦٨١,٠٠٠	٢٠٠
هندوراس	٤,٨٣٠,٠٠٠	١٠٠
السلفادور	٥,٠٣١,٠٠٠	١٠٠
نيكاراجوا	٣,٦٢٢,٠٠٠	٢٠٠
كوستاريكا	٢,٨٦٦,٠٠٠	٢٠٠
بنما	٢,٣٢٢,٠٠٠	٢٥٠٠
بليز	١٧٥,٠٠٠	١٥٠
الجملة	١١٢,٤١١,٠٠٠	١١٣,٤٥٠

ثانيا : الأقليات المسلمة فى أمريكا الجنوبية

الدولة	السكان فى السنة ١٤٠٨ / ١٤٠٩هـ	المسلمون ١٤٠٨ / ١٤٠٩هـ	النسبة ٪
سورينام	٣٥٣٠٠٠	١٣٣٦٢٠	٪٣٤
جويانا	١٠٠٠٠٠٠	١٥٦٠٨٥	٪١٥,٥
جويانا الفرنسية	٨٠١٠٠٠	٦٦٧٥	٪٧,٥
فنزويلا	١٨٣٥٧٠٠٠	٣٠٠٠٠	٪١,٥
كولومبيا	٣٠٥٦٧٠٠٠	٥٠٠٠	٪٠,٠٥
جمهورية البرازيل الاتحادية	١٤٤٤٢٨٠٠٠	٥٠٠٠٠	٪٠,٣٤
إكوادور	١١٢٠٤٠٠٠	٦١٢	٪٠,٠٠٦
بيرو	٢١٢٥٦٠٠٠	١٢٠٠	٪٠,٠٠٥
بوليفيا	٦٩١٨٠٠٠	٧٠٠	٪٠,٠١
باراجواى	٤٠٤٩٠٠٠	١٢٠٠	٪٠,٠٠٣
أوروجواى	٣٠٨١٠٠٠	١٥٠٠	٪٠,٠٤
الأرجنتين	٣١٥٣٦٠٠٠	٤٠٩٩٦٨ -	٪١,٣
شيلى	١٢٧٤٨٠٠٠	٢٥٠٠	٪٠,٠٢
المجموع	٢٨٤,٩٩٨,٠٠٠	١,٢٤٦,٥٦٠	٪٠,٥٣

الفصل التاسع

مسلمو الشيشان والبوسنة والهرسك

مقدمة

هذه صفحات من تاريخ الاسلام والمسلمين فى كل من شيشانيا أو الشيشان فى بلاد القوقاز فى مواجهة الغزو والتسلط الروسى وتاريخ الاسلام والمسلمين فى البوسنة والهرسك .

فان الاسلام الذى دخل شيشانيا فى وقت مبكر وانتشر بين سكان القوقاز بسرعة عن طريق العلماء والطرق الصوفية ، ومن بين هؤلاء وهؤلاء من قاد الكفاح ضد الغزو الروسى العنصرى ثم ضد التسلط الشيوعى للاتحاد السوفيتى ، ومازال الصراع قائما بين الشيشانيين من جهة ، وبين روسيا الاتحادية حول مطالب الشيشان بالاستقلال التام .

وبالنسبة للبوسنة والهرسك فان الاسلام تسرب إلى هذه البلاد الواقعة وسط شبه جزيرة البلقان قبل الفتح العثمانى ، ثم إزداد إنتشار الاسلام مع وجود الحكم العثمانى ، ومن ثم عندما إنحسر الوجود العثمانى من شبه جزيرة البلقان كان المسلمون مستهدفين للاضطهادمن جانب الصرب ولولا أن حكم الحزب الشيوعى فى إطار دولة يوجوسلافيا فى ظل الرئيس الراحل جوزيف بروزتيتو الذى سمح بمعايشة القوميات والديانات المختلفة فى الدولة الاتحادية فعاش المسلمون يمارسون شعائرهم الدينية .

وعندما سقط النظام الاتحادى عام ١٩٩٠م بدأت حركة الاستقلال فى يوجوسلافيا ، فمع الاعتراف باستقلال كل من سلوفينيا وكرواتيا فقد رفضت صربيا والجبل الأسود الاعتراف باستقلال البوسنة والهرسك ومن ثم دار الصراع بين المسلمين من جهة ، وبين الصرب من جهة أخرى ومازال الصراع مشتعلا وإن خبا بعض الشىء ..

الشيشان

نبذة جغرافية :

تقع جمهورية الشيشان والأنجوش فى الأطراف الشرقية لمرتفعات شمال القوقاز ، ويحد الجمهورية من الشرق والجنوب الشرقى جمهورية داغستان ، ومن الجنوب جورجيا ومن الغرب أوسيتنا الشمالية ، وأشهر مدن الجمهورية : جروزنى ، كوديرميس ، مالكوبيك ، أركون[1].

وعاصمة شيشانيا مدينة «جروزنى» وهى كلمة روسية تعنى الرهيب أو المهدد ، وهو لقب كان يطلق على القيصر «إيفان» الملقب بايفان الرهيب ، وهو أحد القياصرة الأوائل الذين أرسوا دعائم روسيا القيصرية ، ومدينة جروزنى بناها القائد الروسى «يرملوف» على أنقاض قرية شيشانية تقع على ضفاف نهر «السونجا» وكان اسم القرية «سونجارغالا» فقام «يرملوف» بهدم هذه القرية وبنى على أنقاضها قلعة ضخمة عام ١٨١٨م وأطلق عليها اسم «جروزنى» .

وتتكون جمهورية الشيشان من ١٢ مقاطعة و٤ مدن رئيسية ، وتقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز التى يصل إرتفاعها إلى ٤٤٩٣ مترا ، وكان الروس يقسمون شيشانيا إلى شيشان الكبرى وشيشان الصغرى ، وتقع الكبرى شرق نهر الأرجون والصغري غربه ، وتجرى فى البلاد عدد من الأنهار الصغيرة العميقة السريعة العديدة والتى تنبع من جبال القوقاز .

والشيشان من الشعوب القديمة التى سكنت القوقاز منذ آلاف السنين ويشكلون أحد الشعوب الأصلية لمنطقة القوقاز والتى تشمل أيضا شعوب الشراكسة والآفار (فى الداغستان) والأنجوش ، وشعب أوستينا الشمالية والجنوبية إضافة لشعب الكارتفيل ، وهو الفرق الأصلى للشعب الجورجى .

وسكان جمهورية الشيشان والأنجوش حوالى ١,٥ مليون نسمة يتكونون من عناصر الشيشان والأنجوش والداغستانيون والروس وعناصر أخرى ، ويتكلم كل من الشيشان والأنجوش والداغستانيون لغة خاصة بكل منهم ويظهر فى لغات هذه الشعوب تأثيرات اللغات العربية والفارسية والتركية والروسية .

والشيشان مسلمون يتبعون المذهب الشافعى ، وللطرق الصوفية نفوذ كبير فى بلاد القوقاز ومنها شيشانيا ، حيث إعتنق الشيشان الاسلام عن طريق الطرق الصوفية مثل الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية وهاتان الطريقتان من أكثر الطرق الصوفية انتشارا بين الشيشان[2].

١- د. محمد حرب : معومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية ، مجلة الأزهر شعبان ١٤١٥هـ ص ١٠٧٥ .

٢- قاسم ملكى : نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية - مقال مترجم عن الفارسية منشور فى كتاب ندوة أحرار الشيشان والدب الروسى - المركز العربي الدولى ٦ يناير ١٩٩٥ ص ١٩٦-١٩٧

واقتصاد جمهورية الشيشان يتركز فى إستخراج البترول وتكريره وتصديره عن طريق جمهورية الداغستان فى الشرق الواقعة على بحر قزوين ، وعن طريق البحر الأسود فى الغرب هذا إلى جانب استخراج وتصدير الفحم والغاز الطبيعى .

وتحتل الزراعة مكانة هامة فى الدخل القومى بجمهورية شيشانيا ، حيث تزدهر زراعة الفواكة وزراعة الدخان ، هذا إلى جانب وجود ثروة حيوانية تتطور عددا وإنتاجا ، بالإضافة إلى وجود مساحات كبيرة من الغابات تمثل أخشابها أحد مصادر الدخل القومى وفى الوقت نفسه تمثل ملجأ للثوار الشيشان عبر التاريخ ضد الروس .

وقد إعتنق الشيشان الاسلام متأخرين فى النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى على يد الدعاة والمبشرين والتجار من الداغستان المجاورة للشيشان شرقا ومن بخارى ومن شبه جزيرة القرم فى الغرب ، ومنذ إسلام الشيشان تمسكوا بدينهم أشد التمسك فى نضالهم ضد الروس فى عهد القياصرة وفى عهد الشيوعيين والآن فى عهد روسيا الاتحادية .

الصراع بين الشيشان والروس :

الصراع بين الشيشان والروس بدأ عندما بدأ الغزو الروسى لأقطار القوقاز وبلاد تركستان (وسط آسيا) وكان صراعا دينيا وقوميا حيث كانت زعامات الشيشان زعامات دينية إسلامية وقومية ومطالبهم دينية وقومية .

فقد أصبحت كل مناطق سيبيريا عام ١٦٠٣م تحت النفوذ الروسى ، وتوالت عمليات الاستيلاء الروسى على مناطق القوقاز وتركستان منذ عام ١٦٠٤م حتى عام ١٨٨٤م ضمت كلا من قرغيزيا والقرم وطشقند وبخارى وخيوة وتركمانستان[١].

وقد لاقت روسيا القيصرية أثناء زحفها على أقطار القوقاز مقاومة عنيفة من قبل الأديج الشركس والشيشان والداغستان ، وكانت السياسة التوسعية لروسيا القيصرية فى شمال القوقاز موجهة نحو حصرهم فى الجبال وسلبهم المراعى والمناطق الزراعية ، وفى الوقت نفسه فرضت الادارة القيصرية بالإكراه قواعد جديدة للنظام السياسى والإدارى فى المنطقة ، وقضت على الأحكام والمؤسسات الأجتماعية التى تشكلت على مدى قرون لدى هذه الشعوب .

وفى عام ١٧٨٥م ظهر على مسرح الأحداث فى القوقاز الشيخ منصور - وهو من شيشانيا- وقد ألتف حوله الآلاف من الشيشان وقسم من الأديج والداغستان ، وكان شعار الشيخ منصور : تطهير النفس على أسس وقواعد الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الحرية

١- مصطفى دسوقى : الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين . مجلة الأزهر ١٤١هـ ص ٦٨ .

ثم وقع الشيخ منصور فى الأسر وجرى التنكيل بأنصاره على يد المستعمرين الروس .

ثم ظهر من عام ١٨١٨م قائد إسلامى آخر هو الإمام «غازى مولا» من داغستان لمواجهة تعسف وسيطرة الجنرال الروسى «ألكس برملوف» وقد قاد الإمام غازى الداغستانيين والشيشان وخاصة بين عامى ١٨٢٨ و ١٨٣٢م لمحاربة المستعمرين الروس ، وسار على نهج الشيخ منصور[١].

ثم ظهر من عام ١٨٣٤م زعيم شيشانى قوقازى آخر هو الامام «شامل» الذى يعود إليه الفضل فى إقامة نظام إدارى وسياسى وقانونى توحد فى إطاره أبناء شعوب الداغستان والشيشان وقسم من غرب القوقاز فى دولة واحدة ، وكان لهذه الدولة جيش تراوح عدده بين ٢٠ ألف و٢٥ ألف جندى ، وسلطة تمثيلية بشكل مؤتمرات ، وهكذا ترسخت روح الاستقلال وتقاليد الإدارة المستقلة على أساس الشريعة الإسلامية ، وأصبحت أساس الدولة التى أقامها الشيخ شامل مما أتاح لشعوب شمال القوقاز الصمود على مدى حوالى ٣٠ سنة أمام قوات القيصر الروسى المتفوقة فى العدد والعدة [٢].

وفى نهاية الاربعينات وأوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر وجهت روسيا القيصرية قوات مسلحة قوامها حوالى ٢٠٠ ألف جندى لمقاتلة قوات الشيخ شامل ، حيث عانى شعب الشيشان أكثر من غيره من هذه الحرب غير المتكافئة التى لم تستمر طويلا حيث أضطرت شعوب القوقاز بسبب الظروف القاسية إلى التسليم ، حيث استسلم شعب داغستان وشعب شيشانيا فى أغسطس عام ١٨٥٩م ، واستسلم شعب الأديج والشركس فى مايو عام ١٨٦٤م ، وتم طرد الشراكسة من بلادهم فأستقروا فى أراضى الدولة العثمانية .

ومع ذلك فقد ظل الشيشان وشعوب القوقاز يقاومون المستعمرين الروس حتى سقط حكم القياصرة وقامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧م ليبدأ الصراع بين الشيشان والشعوب المسلمة فى جبال القوقاز وتركستان من ناحية وبين الروس الشيوعيين الماركسيين من ناحية أخرى .

وقد حاولت روسيا البلشفية إستقطاب شعوب شمال القوقاز فأبقت على كثير من المؤسسات التى إستحدثها الإمام شامل بدون تغيير ، فأبقت المحاكم الشرعية فى بلاد الشيشان وداغستان حتى عام ١٩٢٦م ، حين ألغتها سلطات الحكم الشيوعية ، كما سمحت تلك السلطات لأبناء جبال القوقاز بحمل السلاح باعتبار ذلك من مظاهر إحترامها لتقاليدهم ،

١- مصطفى دسوقى : المرجع السابق ص ٦٩ .

٢- نفس المرجع ص ٧٠ .

وأعفتهم من الخدمة العسكرية الإجبارية وقدمت لهم تسهيلات أخرى ، وأرادت السلطات بهذه الإجراءات كسب مودة أبناء شمال القوقاز ونظرا لعدم ثقتها فى الشعوب القوقازية فانها أقامت فى بلاد الشيشان وداغستان شبكة من الحصون العسكرية [١].

وفى المقابل أسس مندوبو شعوب شمال القوقاز جمهورية إتحاد أبناء جبال القوقاز فى سبتمبر ١٩١٧م وتشكل لهذه الجمهورية برلمان وحكومة هدفها بناء جمهورية شمال القوقاز الديموقراطية الفيدرالية ضمن الاتحاد الروسى الديموقراطى مستقبلا . ثم تأسست فى مايو عام ١٩١٨م الجمهورية الجبلية المستقلة المتحدة وتضم كل جمهوريات شمال القوقاز التى إنضمت إلى الاتحاد السوفيتى فى ٢٠ ينلير ١٩٢٠م ، ثم إنسلخت منها داغستان عام ١٩٢١م وغيرها من الأقاليم ، حتى لم يأت عام ١٩٢٣م حتى أصبحت هذه الجمهورية المتحدة تضم فقط كلا من أقاليم الشيشان والأنجوس وأوسيتنا الشمالية ، وكلها بدورها أصبحت أقاليم مستقلة .

أخذت حكومة الاتحاد السوفيتى تغير وتبدل وتهجر من وإلى جمهورية الجبل المتحدة وفقا لمصالح ومطامع الحكومة السوفيتية ، مرة تعتبرها أقاليم مستقلة ثم لا تلبث أن تحولها إلى جمهوريات ذات حكم ذاتى . وفى يناير ١٩٣٤م ضمت جماعات الشيشان والأنجوش وكونا إقليما مستقلا ، ثم تطور إلى جمهورية ذات حكم ذاتى ، ثم تلغى هذه الجمهورية بتهجير الجماعتين إلى أماكن متفرقة ، أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية تهجيرا جماعيا إجباريا ، وتغيير اسم الجمهورية إلى إقليم جروزنى بعد ضم الكثير من أراضيها إلى كل من جمهوريتى جورجيا وأوسيتنا المجاورة [٢].

وفى إطار عملية الترحيل الجماعى والبطش الشيوعى بأهل الشيشان والأنجوش فقد تم ترحيل مئات الألوف إلى قازقستان وقيرغيزنيا ، الذين ظلوا بالمنفى حتى رد لهم إعتبارهم عام ١٩٥٧م ، بينما تعرض من بقى من الشيشان للكثير من البطش الشيوعى باعدام الشيوخ والأئمة وإغلاق المساجد . وقد أعادت السلطات السوفيتية الاسم القديم للبلاد عام ١٩٥٧م وهو جمهورية الشيشان والأنجوش .

ظلت سياسة الاتحاد السوفيتى نحوجمهورية الشيشان والأنجوش ونحو غيرها من الجمهوريات الإسلامية ذات الحكم الذاتى فى القوقاز أو الجمهوريات الاسلامية المستقلة

١- المرجع السابق : عن صحيفة الشرق الأوسط ١٧ ديسمبر ١٩٩٤ ص ١٠١ .

٢- محمود أبو العلا : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية ، القاهرة ١٩٩٣ ص ٣٩ .

أعضاء الاتحاد السوفيتى والواقعة فى تركستان الغربية بوسط آسيا ، ظلت هذه السياسة التعسفية ضد المسلمين فى هذه البلاد حتى تفكك الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩٠م وإعلان الجمهوريات المستقلة إستقلالها الكامل وإنضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة كدول مستقلة ذات سيادة ..

أما الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتى فقد ظلت تخضع لسيطرة روسيا ألاتحادية وريثة الاتحاد السوفيتى ، وعندما حاول الشيشان إعلان الاستقلال تدخلت القوات الروسية بالقوة الغاشمة لتحارب شعب الشيشان المسلم المناضل فى حرب ضروس مازالت نارها مشتعلة التى أوقدها القائد جوهر دوداييف حتى قتل فى المعارك فى أوائل عام ١٩٩٦م ليخلفه قائد يقود نضال الشيشان .

وجوهر دوداييف مسلم متحمس للإسلام وهو متصوف يتبع الطريقة النقشبندية ومذهبه شافعى وهو من الداعين إلى وحدة شمال القوقاز : داغستان - شيشانيا - الأنجوش - أوسيتنا - الكباردين - البلكار ، وهو يبحث عن النموذج الاسلامى المعتدل ولايميل إلى العنف ، وقد تخرج فى الأكاديميات العسكرية الجوية حتى وصل إلى رتبة اللواء طيار فى جيش الاتحاد السوفيتى .

وقد أعلنت جمهورية الشيشان إستقلالها عام ١٩٩٠م بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، ونتيجة لتحريض روسيا الاتحادية انفصل الأنجوش وقبلوا تكوين جمهورية ذات حكم ذاتى ضمن روسيا الاتحادية ، وذلك عام ١٩٩١م . وأجريت انتخابات رئاسة الجمهورية فى شيشانيا فى أواخر أكتوبر ١٩٩١م حيث فازبالرئاسة «جوهر دوداييف»[١].

ولم يعترف الرئيس الروسى «يلتسن» باستقلال الشيشان فقام بأنزال قوات أمن ولكن العملية لم تنجح ، وفى أواخر عام ١٩٩٤ م بدأت العمليات العسكرية الروسية الكبيرة ضد الشيشان حتى سقطت فى أيدى الروس العاصمة جروزنى ومعظم المدن والقرى الشيشانية رغم المقاومة العنيدة للشيشان ورغم الخسائر المادية والبشرية للشيشان وللروس معا .. ومازال الصراع قائما بين الشيشان والروس وسوف يستمر طالما ظل الشيشان مصرونَ على الاستقلال وطالما ظل الروس يرفضون مطالب الشيشان .

١- د. محمد حرب : الشيشان والوجود المصرى فى القوقاز - صحيفة الأهرام ١٩ يناير ١٩٩٥م

البوسنة والهرسك

يشتق اسم البوسنة من سكانها الأول الذين عرفوا باسم البشناق الذين كانوا قبل إعتناقهم الاسلام لهم كنيسة خاصة نأت كثيرا عن عقائد الكاثوليك والأرثوذكس ، فكانت أقرب إلى التوحيد ، فلما جاءهم الاسلام جاءهم ما عرفوا فصاروا أكثر تمسكا باعتباره آخر ما نزل من السماء طبقا لما كانوا يعتقدون .

ولم يأت الإسلام إلى بلاد البوسنة والهرسك وغيرها من بلاد البلقان لأول مرة على يد الفاتحين من سلاطين آل عثمان ، بل وصلت حملات دولة الأغالبة التى تحكم فى شمال أفريقيا فى الفترة من ١٨٤هـ - ٢٩٥هـ الموافق لعام ٨٠٠ - ٩٠٩م ، وصلت حملاتهم إلى مصب نهر البوسنة من إيطاليا وإلى مصبه فى بلاد السلاف .

كما أن النشاط البحرى الإسلامى وصل فى عام ٨٦٦م إلى ميناء «دوبرفنيك» من موانى البوسنة . ومما يجب ملاحظته أن اسم «دوبرفنيك» ورد فى كتاب ألف ليلة وليلة حيث جاء مانصه وهناك تجمع جيش روما كله ولحق به الفرنسيون والألمان وأهالى «دوبرفنيك» كما سجل التاريخ استخدام الخلفاء والأمراء فى الدولة الإسلامية حرسا من أبناء البوسنة والهرسك وغيرهم من السلاف والصقالبة .

وعندما حدثت الفتوحات العثمانية لبلاد البلقان - أراضى الإمبراطورية البيزنطية - إستخدام السلاطين العثمانيون رجالا من البوسنة والهرسك فى تولى مناصب قيادية عليا وفى قيادة الجيوش العثمانية وفى تولى ولايات عثمانية ، بما يؤكد ثقة السلاطين العثمانيين فى إسلام وولاء سكان البوسنة والهرسك .

وإذا كانت مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية قد سقطت فى يد السلطان محمد الثانى (الفاتح) عام ١٤٥٣م ، فان السلطان سليمان المشرع قد استولى على مدينة بلغراد عاصمة الصرب الآن فى ٢٥ رمضان ٩٢٧ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٥٢٥م ، وإستمر فى فتوحاته باتجاه الغرب لتأمين الفتوحات البلقانية حتى وصل إلى أسوار مدينة فيينا عاصمة النمسا فى عام ١٥٢٩م دون أن ينجح فى إقتحامها ، ولكنه ضمن تأمين الممتلكات العثمانية فى بلاد البلقان ومنها البوسنة والهرسك ..

وعلى مدى قرن ونصف منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى بداية القرن العشرين كانت البوسنة والهرسك ميدان الصراع ومعترك الحرب بين كل القوى الصليبية على إختلاف مللها من ناحية وبين المسلمين فى البوسنة والهرسك أساسا من ناحية أخرى ، لأن هؤلاء المسلمين كانوا أشد الأوروبيين إسلاما وأكثرهم إصرارا عليه وتمسكا به أمام كل المؤامرات الصليبية .

وكانت البوسنة والهرسك جزءا من دولة يوغوسلافيا الاتحادية منذ تحررها من السيطرة الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م ، وتتكون هذه الدولة من ست جمهوريات ذات ديانات مختلفة وعرقيات متباينة ولغات متفرقة ، وقد عبر الرئيس اليوغسلافى «جوزيف بروز تيتو» مؤسس هذه الدولة الاتحادية عن هذا التباين بين جمهوريات الدولة بقوله : حروف مختلفة (السيريلية واللاتينية) وثلاثة أديان (الأرثوذكسية والكاثوليكية والإسلام) ، وأربع أمم هى (الصرب والكروات والسلافينيون والمقدونية) ، وخمس لغات هى (السلوفينية والصربوكرواتية والمنتينجرية والمقدونية والألبانية) ، وست جمهوريات هى : سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والجبل الأسود والصرب ومقدونيا ، وأخيرا حزب واحد هو الحزب الشيوعى[١].

وقد نص الدستور الاتحادى فى يوغوسلافيا على السماح لشعوب يوغسلافيا بالتعامل بلغتهم بحرية ودون ممارسة أية تفرقة من جراء ذلك ، وكان تيتو ومعه الحزب الشيوعى يرون أنه لكى تكون يوغسلافيا قوية لابد أن تكون صربيا ضعيفة ، حتى إذا توفى تيتو عام ١٩٨٠م وعدم وجود شخصية تتمتع بثقل سياسى أو تاريخى فضلا عن الفشل فى التأقلم مع التغيرات التى سادت بلدان شرق أوربا وسقوط الهياكل الفيدرالية للاتحاد السوفيتى ، أدى إلى تفجر الصراعات فى يوجوسلافيا .

وعندما أعلن الحزب الشيوعى اليوجوسلافى فى يناير ١٩٩٠م تخليه عن إحتكار السلطة فى البلاد ، والسماح بإقامة نظام متعدد الأحزاب ، ومن ثم أعلن برلمان جمهوريتى سلوفينيا وكرواتيا الاستقلال فى ٢٥ يونيو ١٩٩٠م ، واعترفت المجموعة الأوروبية بهذا الاستقلال فى ٢٥ يناير ١٩٩٢م[٢].

وعندما صوت أغلبية سكان البوسنة والهرسك فى صالح الاستقلال عن يوجوسلافيا فى ٢٩ فبراير ١٩٩٢م إندلع الصراع بين الصرب من ناحية والكروات والمسلمين من ناحية ثانية ، وتدخل الجيش الاتحادى بجانب الصرب من أجل تمكينهم من السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أراضى البوسنة وفرض الأمر الواقع لحين التوصل إلى تسوية سياسية تأتى انعكاسا لهذا الأمر الواقع ، وأعلن صرب البوسنة دولتهم المستقلة فى أبريل ١٩٩٢م .

وتتمثل أسباب الصراع فى البوسنة والهرسك فيما يلى :

١- مجلة السياسة الدولية العدد ١١٣ يوليو ١٩٩٣م مقالة سمير أمين : استغلال العرقية فى يوغوسلافيا .

٢- نفس المصدر مقالة عماد جاد : أبعاد الصراع فى البوسنة والهرسك .

١- الانقسام العرقى الجاد فى هذه الجمهورية ، حيث توجد ثلاثة أعراق (قوميات إذ ينظر إلى الدين على أنه قومية) وهى المسلمون ويشكلون نحو ٤٣,٧٪ من عدد سكان الجمهورية البالغ ٤,٣ مليون نسمة ، ثم الصرب ويشكلون ٣١,٣٪ من السكان ، وأخيرا الكروات ويشكلون نحو ١٧,٢٪ من السكان .

٢- توظيف الدين كعنصر من عناصر الصراع ، سواء كان الاختلاف دينيا أى مسلمون/ مسيحيون أو مذهبى بين الأرثوذكس (الصرب) والكاثوليك (الكروات) .

٣- تقاطع الانقسامات العرقية / القومية / الدينية مع الخريطة الجغرافية حيث لكل عرق / دين / قومية مناطق تركز خاصة به ، فضلا عن وجود مناطق أخرى مختلطة .

٤- المزيج العرقى / القومى / الدينى معه فى نفس الوقت ميراثا من العداء الشديد سواء بين الصرب والكروات والمتمثل فى تاريخ العداء الطويل بينهما حيث يتهم الصرب الكروات بالتعاون مع النازى أثناء الحرب العالمية الثانية ، أو بين الصرب والكروات من ناحية والمسلمين من ناحية ثانية ، إذ ينظر الصرب والكروات للمسلمين فى البوسنة وباقى مناطق يوجوسلافيا (مقدونيا و كوسوفو) على أنهم بقايا الأتراك أو امتداد للدولة العثمانية هناك ، وما يحمله ذلك من ميراث شديد من العداء .

٥- إن اندلاع الصراع فى البوسنة والهرسك يعنى تحويلها إلى قطعة من الجحيم حيث أن الصراع سوف يدور بين مناطق داخل الجمهورية المحاطة بباقى جمهوريات الاتحاد اليوجوسلافى ومن ثم يمكن أن تتدخل كل جمهورية لصالح امتداداتها فى البوسنة ، فصربيا والجبل الأسود إلى جانب صرب البوسنة ، وكرواتيا إلى جانب كروات البوسنة ، ويظل المسلمون دون سند خارجى لاستحالة تدخل تركيا أو أية قوى إسلامية قريبة من يوجوسلافيا فهو أمر غير مسموح به أوروبيا ودوليا الأمر الذى يعنى أن أى صراع ينشب لابد وأن يأتى على حسابهم[1].

ورغم تدخل عدة قوى إقليمية ودولية وهيئة الأمم المتحدة لإنهاء الصراع فى البوسنة والهرسك ، إلا أن الصراع إشتد وكان المسلمون هم الضحايا بسبب التعاطف الأوروبى مع الصرب الارثوذكس والكروات الكاثوليك .

ففى الوقت الذى تم فيه تحجيم تركيا عن القيام بدور إلى جانب المسلمين فى البوسنة والهرسك خوفا من إتهامها بتأييد الأصولية الإسلامية ترك المجتمع الدولى لروسيا التحرك لتأييد الصرب وتسليمهم ومعارضة أية عقوبات دولية تفرض على الصرب .

١- نفس المرجع .

وقد تعددت محاولات إنهاء الصراع فى البوسنة خاصة بعد أن نجح الصرب - صرب البوسنة - بمساعدة يوجوسلافيا الجديدة (صربيا والجبل الأسود) فى الأستيلاء على ٧٠٪ من مساحة أراضى البوسنة والهرسك ، حتى تم التوصل إلى مشروع اتفاق «دايتون» بالولايات المتحدة الامريكية أواخر عام ١٩٩٥م .

المصادر

١- د. ابراهيم العدوى : يقظة السودان . القاهرة ١٩٥٦م .

٢- ابراهيم فوزى باشا : السودان بين يدى غوردون وكتشنر ٢جزء . القاهرة ١٩٠١م .

٣- ابن جرير (الطبرى) : تاريخ الأمم والملوك ١٣ جزء القاهرة ١٢٤٧هـ .

٤- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧١ .

٥- أبو الحسن على (المسعودى) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢ جزء القاهرة د .ت .

٦- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ أجزاء القاهرة د.ت .

٧- أبو حامد الغزالى تحقيق د. عبد الحليم محمود : المنقذ من الضلال مع أبحاث ودراسات عن الإمام الغزالى . القاهرة ١٩٧٢ .

٨- أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث . القاهرة ١٩٤٨م .

٩- أحمد بن تيمية : كتاب الزيارة من مجلد الجامع الفريد . الرياض د.ت .

١٠- أحمد حسنين : فى صحراء ليبيا . القاهرة د.ت .

١١- د. أحمد صدقى الرجانى : أحاديث عن تاريخ ليبيا فى القرنين ١٨ و١٩ . طرابلس ١٩٦٥م .

١٢- أحمد عسه : معجزة فوق الرمال . بيروت ١٩٦٦م .

١٣- التعليم الدينى فى ليبيا من بحوث مؤتمر وزراء التعليم والاقتصاد بالبلاد العربية. طرابلس١٩٦٦م .

١٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، طبعة ثالثة ٢٠ جزء ، القاهرة ١٩٦٧م .

١٥- د. السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث . القاهرة ١٩٧٠م .

١٦- الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ أجزاء ليدن ١٣٢٢هـ .

١٧- القاسم بن ابراهيم : الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع . بغداد ١٣٤٨هـ .

١٨- الليدى آن بلنت ترجمة محمد أنعم غالب : رحلة إلى بلاد نجد . الرياض ١٩٦٧ م .

١٩- المصحف الشريف .

٢٠- توماس أرنولد ترجمة حسن ابراهيم : الدعوة إلى الإسلام . القاهرة ١٩٧٠م .

٢١- جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية ماضيها وحاضرها طرابلس ١٩٦٢م.

٢٢- جلال مظهر : حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى . القاهرة ١٩٧٤م .

٢٣- د. جلال يحيى : الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية . القاهرة ١٩٥٩م .

٢٤- جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى . بيروت د . ت .

٢٥- حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين. القاهرة ١٩٣٥م .

٢٦- د. حسين ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ٣أجزاء طبعة ثانية . القاهرة ١٩٧٤ .

٢٧- حسن بن غنام : تاريخ نجد أو روضة الأفكار لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام القاهرة١٩٦١م .

٢٨- د. حسن سليمان محمود : المملكة العربية السعودية . القاهرة ١٩٦٠م .

٢٩- د. حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا . القاهرة ١٩٦٣ م .

٣٠- دستور الاتحاد العالمى الإسلامى للدعوة والإعلام ١٩٨٨م .

٣١- دستور رابطة الجامعات الإسلامية .

٣٢- ديلاسى أوليرى ترجمة تمام حسان : الفكر العربى . القاهرة ١٩٦١م .

٣٣- رابطة الأدب الإسلامى العالمية ، تعريف - الهند ، لكنو .

٣٤- رابطة العالم الإسلامى : النظام الأساسى .

٣٥- رابطعة العالم الإسلامى فى ٢٥ عاما : إنجازات وتطلعات ، جدة .

٣٦- د. رأفت غنيمى الشيخ : أفريقيا فى العلاقات الدولية . القاهرة ١٩٧٥م .

٣٧- د. رأفت غنيمى الشيخ : أمريكا والعلاقات الدولية. القاهرة ١٩٧٩م .

٣٨- د. رأفت غنيمى الشيخ : تطور التعليم فى ليبيا فى العصور الحديثة . طرابلس الغرب ١٩٧٢م .

٣٩- د. رأفت غنيمى الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث . القاهرة ١٩٧٥م .

٤٠- د. رأفت غنيمى الشيخ : مصر والسودان فى العلاقات الدولية . القاهرة ١٩٧٩م .

٤١- زاهر رياض : استعمار أفريقيا . القاهرة ١٩٦٥م .

٤٢- ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٠م .

٤٣- د. سعيد عاشور : السيد أحمد البدوى . القاهرة ١٩٦٧ م.

٤٤- شاتليه ترجمة مساعد اليافى : الغارة على العالم الإسلامى جدة ١٣٨٧هـ .

٤٥- د. طه حسين : الحياة الأدبية فى جزيرة العرب - مجلة الهلال مارس ١٩٣٣م .

٤٦- د. طه عبد الباقى سرور : الحسن بن منصور الحلاج شهيد التصوف الإسلامى . القاهرة ١٩٦٩م.

٤٧- عباس العقاد : الإسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله . بيروت ١٩٦٩م .

٤٨- عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . ٤ أجزاء . القاهرة د.ت.

٤٩- عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال . القاهرة ١٩٦٦م.

٥٠- عبد الرحمن السعدى : تاريخ السودان . القاهرة د.ت .

٥١- عبد الرحمن زكى : أفريقية الإسلامية . القاهرة .

٥٢- عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا . القاهرة .

٥٣- د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى . القاهرة ١٩٦٩م .

٥٤- عبد العزيز آل الشيخ : تعقيب على كتاب الدعوة الوهابية لعبد الكريم الخطيب . الرياض.

٥٥- عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان والأسس النفسية والإجتماعية التى قامت عليها . ٣ أجزاء . القاهرة ١٩٤٩م .

٥٦- عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية . القاهرة ١٩٧٤م .

٥٧- عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر (١٠٠-١٣٧٠هـ) . القاهرة .

٥٨- د. عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى أفريقيا . القاهرة ١٩٥٩م .

٥٩- عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب من القرن ١٦ إلى القرن ١٩ . القاهرة ١٩٥٨م.

٦٠- د. عزة النص : أحوال السكان فى العالم العربى . القاهرة ١٩٥٥م .

٦١- على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة. القاهرة ١٩٦٩ .

٦٢- د. فاروق العمر : طبيعة الدعوة العباسية (٩٨-١٣٢هـ - ٧١٦-٧٤٩م) .

٦٣- د. فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية لأفريقيا . القاهرة ١٩٦٥م .

٦٤- قاسم ملكى : نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية- مقال مترجمة عن الفارسية منشورة فى كتاب ندوة أحرار الشيشان والدب الروسى- المركز العربى الدولى يناير ١٩٩٥ .

٦٥- كارل بروكلمان ترجمة نبيه أمين : تاريخ الشعوب الإسلامية . بيروت ١٩٦٥م .

٦٦- لوثروب ستودارد ترجمة وتعليق الأمير شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ٤أجزاء، بيروت ١٩٧٣

٦٧- ماكس ليرنر ترجمة راشد البراوى : أمريكا كحضارة ٢ جزء . القاهرة ١٩٦٦ .

٦٨- مجلة السياسة الدولية العدد ١١٣ يوليو ١٩٩٣ . مقال سيد أمين : استغلال العرقية فى يوغوسلافيا ومقال عماد جاد : أبعاد الصراع فى البوسنة والهرك .

٦٩- د. محمد السيد غلاب : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر . الرياض ١٩٧٩م .

٧٠- محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير. القاهرة د.ت .

٧١- د. محمد بديع وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة، القاهرة د.ت.

٧٢- محمد بن عبد الوهاب : ثلاثة عشر رسالة فى مجلد الجامع الفريد . الرياض د.ت .

٧٣- محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد. الرياض د.ت.

٧٤- محمد بن عبد الوهاب : كتاب كشف الشبهات فى مجلد الجامع الفريد . الرياض د.ت .

٧٥- محمد بن على السنوسى : الدرر السنية فى السلالة الإدريسية . بنغازى ١٩٦٨م .

٧٦- د. محمد حرب : الشيشان والوجود المصرى فى القوقاز ، صحيفة الأهرام ١٩ يناير ١٩٩٥ م.

٧٧- د. محمد حرب : معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية - مجلة الأزهر شعبان ١٤١٥هـ

٧٨- محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ٣ أجزاء . القاهرة ١٩٣١م .

٧٩- د. محمد رياض : أفريقيا دراسة لمقومات القارة . بيروت ١٩٧٣م .

٨٠- د. محمد عوض : السودان الشمالى سكانه وقبائله . القاهرة ١٩٥١م .

٨١- د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة. القاهرة ١٩٤٨م .

٨٢- د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن ١٩ . القاهرة ١٩٥٧م .

٨٣- د. محمد فاضل الجمالى : الخطر الصهيونى . تونس ١٩٧٧م .

٨٤- د. محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام . القاهرة د.ت .

٨٥- محمد مصطفى بازامة : العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا فى ليبيا . طرابلس ١٩٦٥م .

٨٦- د. محمد منير مرسى : أبو دلف ورسالته الثانية مجلة الخليج الجديد عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٧٩م.

٨٧- محمود أبو العلا : المسلمون فى الإتحاد السوفيتى دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية . القاهرة ١٩٩٣م .

٨٨- محمود أبو ريه : جمال الدين الأفغانى . القاهرة ١٩٧١م .

٨٩- محمود شاكر : تركستان . بيروت ١٩٧٠م .

٩٠- محمود شاكر : قفقاسيا . بيروت ١٩٧٢ م .

٩١- مصطفى بعيو : دراسات فى التاريخ اللوبى . القاهرة ١٩٤٥م .

٩٢- مصطفى دسوقى : الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، مجلة الأزهر ١٤١٥هـ .

٩٣- د. مصطفى محمود : الماركسية والإسلام . القاهرة د. ت .

٩٤- مكسيم رودنسون ترجمة نزيه الحكيم : الإسلام والرأسمالية . القاهرة د. ت .

٩٥- د. مكى شبيكة : السودان عبر القرون . بيروت ١٩٦٤م .

٩٦- د. مكى شبيكة : مملكة الفونج الإسلامية . القاهرة ١٩٦٤م .

٩٧- د. نبيه عاقل : خلافة بنى أمية دمشق ١٩٧٣م .

٩٨- نعوم شعير : تاريخ السودان الحديث وجغرافيته ٣ أجزاء القاهرة ١٩٠٣م .

٩٩- نقولا زيادة : ليبيا من الاحتلال الإيطالى إلى الاستقلال . القاهرة ١٩٥٨م .

١٠٠- ويل ديورانت ترجمة محمد بدران : قصة الحضارة . القاهرة .

١٠١- يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . بيروت .

١٠٢- د. يوسف القرضاى : الحل الإسلامى فريضة وضرورة . بيروت .

الدوريـات :

١- جريدة الراية القطرية ، الدوحة العدد ١٤٠ السنة الثانية السبت ١٠ رجب ١٤٠٠هـ/ ٢٤ مايو ١٩٨٠ .

٢- د. محمد السيد سليم : فعالية منظمة المؤتمر الإسلامى دراسة تقويمية- مجلة السياسة الدولية العدد١١١ يناير ١٩٩٣م .

٣- د. محمد السيد سليم : منظمة المؤتمر الإسلامى وتسوية المنازعات ، مجلة السياسة الدولية العدد ١٠٥ يوليو ١٩٩١م .

٤- د. عبد الحميد البطريق : الوهابية ودولة - مجلة كلية البنات جامعة عين شمس .

٥- مجلة الفيصل العدد ١٨ ذى الحجة ١٣٩٨هـ. المركز الإسلامى فى بروكسل .

المراجع الأجنبية :

1- Polk , W. : The U . S . and the Arab world .

2- The American Assembly : The United States and the Middle East

3- Hilleson : Anglo - Egyptian Sudan .

4- Hamilton : Anglo - Egyptian Sudan .

5- Sudan Notes and Records .

6- Holt, P . M . : Egypt and the Fertile Crescent .

7- Kedourie, E . : Afghani and Abduo .

8- Awad , M . : Some A spects of the Diffusion of Arab influences in the Sudan .

9- Bartlett, V. : Struggle for Africa.

10- The African Continent .

11- Kirkwood , K . : Britian and Africa .

12- New African Year Book .

13- Coupland, R . : The Exploitation of East Africa .

14- De Nova , J . A . : American interests and Policies in the Middle, East .

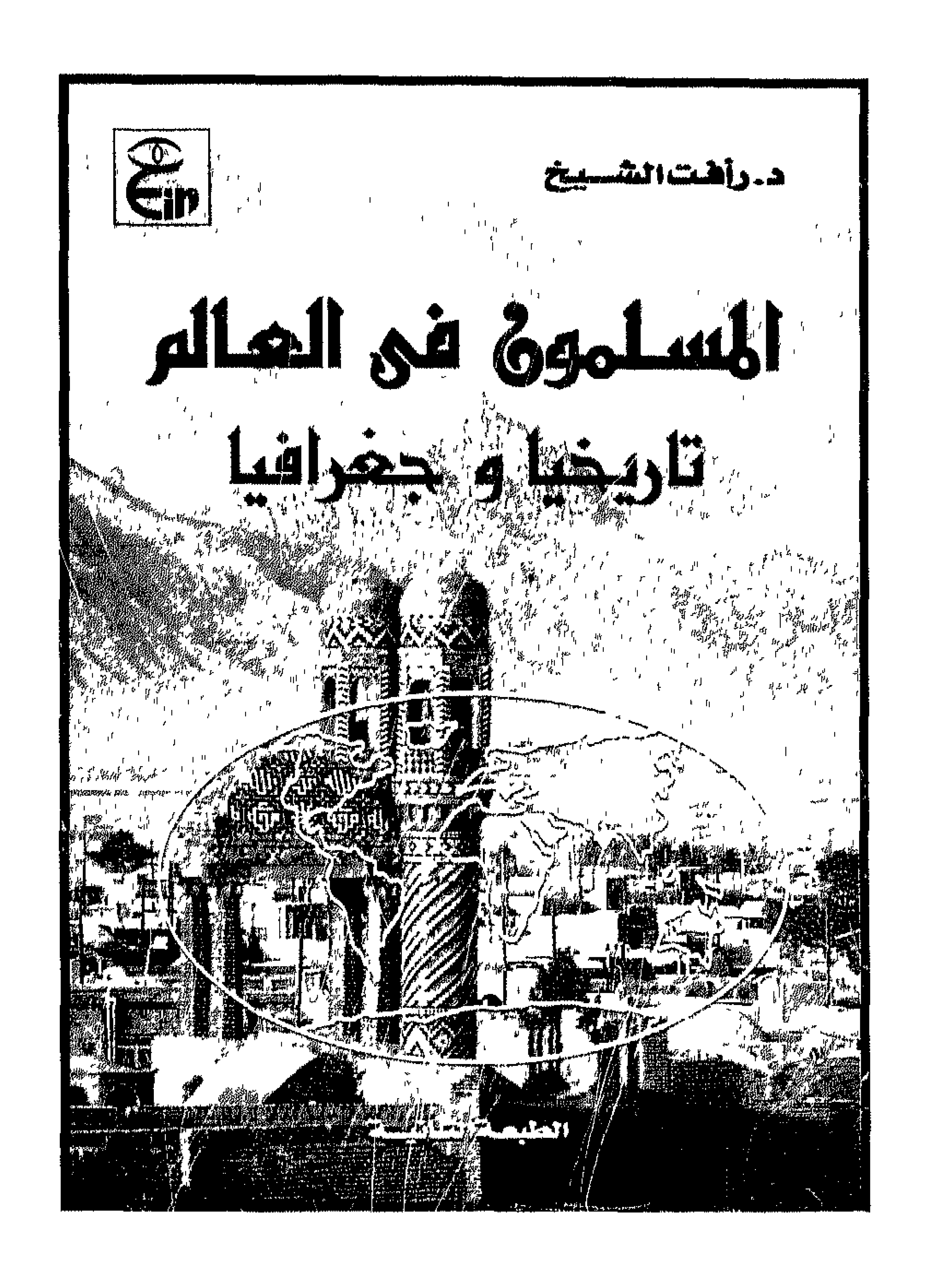
15- Hakins: Studies in History of Medieval Science .

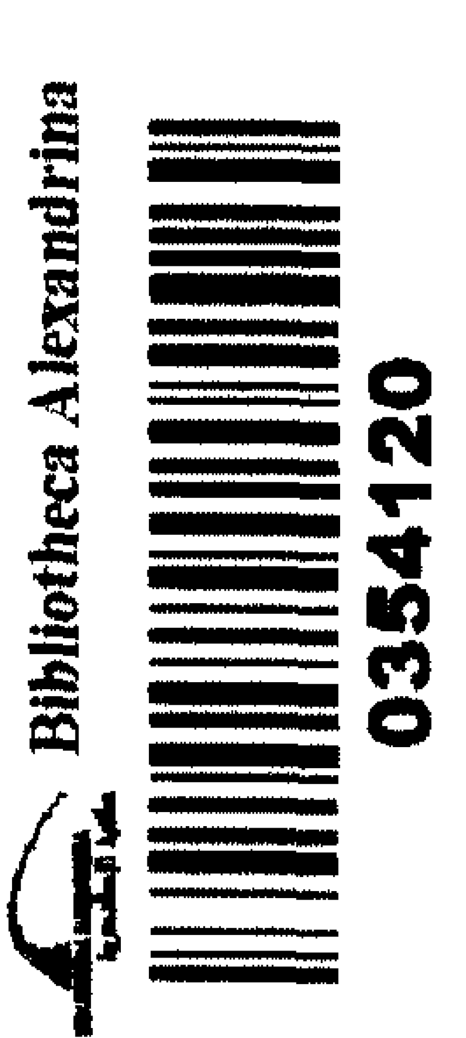
16- Beker : Islam in Deitch - Oatafrica .

محتويات الكتاب

صفحة

رقم الإيداع : ٤١٥٣ / ٩٨
I.S.B.N 977-5487-87-0
طبع بمطابع الهداية - البراجيل - الجيزة







للدراسات و البحوث الانسانيه و الاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES